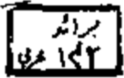
العربي





■ تشريح الانسان بين العلم والدين!





رولكس وسفينة الصحراء
الاقتصادية المطلقة

في الصحراء، قليلة هي الأشياء التي يمكن الاعتماد عليها. في تلك الأماكن الشاسعة القليلة الماء والكلأ، يعتبر الجمل من الضروريات التي لا يمكن الاستغناء عنها. وهو رمز حي لقدرة التحمل والصبر في حرارة الصحاري اللاهبة أثناء النهار، والباردة جداً أثناء الليل.

من خلال أصالة الجمل بالنسبة للعربي، إنه كان الوسيلة التي بها [illegible] عيش البدو [illegible] أو بيئة التنقل، بالإضافة لذلك أهميته من ناحية الغذاء، الاستفادة من الحليب واللحم، والى [illegible]، ومن الجلد.

لتلك الأماكن من العالم، حيث الاستقرار والحياة [illegible] كثير التنقل، أنتجت رولكس ساعات قوية كثيرة التحمل من الذهب الخالص عيار ١٨ قيراطاً أو من الفولاذ الذي لا يصدأ.

ساعة لا يدخلها الغبار أو الرمال إطلاقاً [illegible] علبة الأويستر المصنوعة على [illegible]. [illegible] الثلاثية [illegible] بطريقة طولية [illegible] على هيكل الساعة. حركة الساعة المصنوعة قطعة قطعة يدوياً ومصممة بكل إتقان ودقة، لا تتأثر إطلاقاً بالرطوبة أو الماء أو التغير المفاجئ للحرارة.







رولكس ديت جست، [illegible] من الذهب الأصفر عيار ١٨ قيراطاً.

٧٥٠٩

العدد ٣٧١ السنة الثانية والثلاثون أكتوبر ١٩٨٩



مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

عنوان المجلة
العربي
ص.ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 الكويت
تلفون: [illegible]
برقياً: «العربي» الكويت
تلكس: [illegible]
المراسلات باسم رئيس التحرير

AL-ARABI
Issue No.371 Oct. 1989, P.O.Box : 748
Postal Code No. 13008 Kuwait.
A Cultural Monthly Arabic
Magazine in Colour Published by :
Ministry Of Information
State Of Kuwait.

ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - الإعلام الخارجي
وزارة الإعلام - ص.ب ١٩٣ الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقاً لما يلي:
الوطن العربي ٦ د.ك أو ٢٠ دولاراً باقي دول العالم ٨ د.ك أو ٣٠ دولاراً

الكويت ٣٠٠ فلس	تونس ٥٠٠ مليم	سوريا ١٥ ليرة
العراق ٤٠٠ فلس	الجزائر ٥ دنانير	الإمارات ٧ دراهم
الأردن ٤٥٠ فلساً	السعودية ٦ ريالات	المغرب ٥ دراهم
البحرين ٤٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٤ ريالات	ليبيا ٥٠٠ درهم
اليمن الجنوبي ٣٠٠ فلس	قطر ١٠ ريالات	بريطانيا جنيه استرليني واحد
مصر ٧٥ قرشاً	سلطنة عُمان ٤٠٠ بيسة	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٥ قرشاً	لبنان ٥٠ ليرة	أمريكا ٣ دولارات



قضايا عامة :

عروبة وإسلام :

طب وعلوم :

استطلاعات مصورة :

● ألمانيا الديمقراطية - الحياة والناس ... ص ٦٨



● تشريح الإنسان بعد الموت بين العلم والدين ص ٥٠

أدب وفنون :



● وجهاً لوجه : أدونيس
وخليل حاوي ص ٩٧

منتـــدى العـــربي :

تاريخ وتراث وأشخاص :

مكتبة العربي :

أبواب ثابتة :

صورة الغلاف

في حضرموت حيث يمتزج التاريخ بشواهده المتصدعة، مع الطموح البشري في خلق مجتمع حديث . شاهدت بعثة «العربي» خصوصية المكان وإبداع الإنسان .

(طالع الاستطلاع ص ١٣٢)

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

عزيزي القارئ

الكويت وهموم المسلمين

منذ فترة ليست بعيدة كتب المحقق البريطاني بيتر مانسفيلد دراسة عن أوروبا الموحدة عام ١٩٩٢م. ولاحظ في تلك الدراسة ما فيه الخطورة من إيجابيات كثيرة. ولكنه لاحظ أن أوروبا، تلك التي تلوح بحرية الإنسان وكرامته، تزوج نفسها في إطار ديني، وهو يشير إلى طرد [illegible] المسلمين من بلادهم. لا لشيء سوى إلا كونهم مسلمين. هذا التشبيه على أساس [illegible] الكتاب [illegible] إلى الخلف. ومع أهمية قضية المسلمين البلقان فإن كثيرا من وسائل الإعلام الغربية ومسؤولين كثيرين [illegible] هذه القضية [illegible] على المستوى السياسي، وعلى المستوى الثقافي، [illegible] آلاف المسلمين من ديارهم [illegible] فترة طويلة.

لقد قامت الكويت بشخص أميرها الشيخ جابر الأحمد [illegible] دولة عربية مسلمة، يهمها شأن العرب والمسلمين [illegible] المؤتمر الإسلامي [illegible] الموضوع [illegible] [illegible] الكويتية [illegible] مشكلات التي يواجهها [illegible]

[illegible] الأمة الإسلامية [illegible] الأحداث [illegible] الأمة الإسلامية [illegible] الأحداث [illegible] في الأرواح والممتلكات [illegible] الذي فيه مصلحة الشعبين.

وانطلاقا من حرص الكويت على أن تلعب دورا فعالا في الأسرة الدولية. فقد قامت ممثلة في شخص أميرها بحضور مؤتمر قمة دول عدم الانحياز. وفي كلمته في هذا المؤتمر قال أمير الكويت [illegible] التحرر من قيود الديون يوازي التحرر من الاستعمار. [illegible]

وهو قول يبلغ له أبعاده التاريخية على جميع المستويات العالمية

وقد ربط سموه ذلك القول ببرنامج محدد من أربع نقاط اقترحه لمعالجة مشكلة الديون. مع تحديد برنامج زمني لعقد لقاء تحضره مجموعة الدول الدائنة وممثلو صندوق النقد الدولي والبنك الدولي. لتدارس الأسس والمعايير اللازمة للتنفيذ على أن يتم هذا اللقاء في مدة أقصاها ستة شهور. وقد لقيت مقترحات الأمير ترحيبا كبيرا لما تعكسه من اهتمام الكويت بهذه المشكلة العالمية المستعصية.

وقد أثبتت وقائع المؤتمر أن دور الكويت ودعوتها لإعادة الحوار بين الشمال والجنوب وتخفيف آثار الأزمة الاقتصادية التي تأخذ بخناق العالم، كان دورا مؤثرا، ولقي استجابة وترحيبا واسعين من الدول، وقادة من قادة العالم الثالث. وكان سمو أمير البلاد قد قام في إطار تحركه السياسي بزيارة مصر والعراق لتوطيد العلاقات العربية وتوكيدها، كما قام برحلة إلى الجمهورية الفرنسية، وذلك لتنشيط العلاقات العربية الأوروبية، خاصة مع موقف فرنسا المتفهم لقضايا دول العالم الثالث. ثم أتبعها برحلة إلى أفريقيا، إيمانا من الكويت بأن أفريقيا هي عمقنا الاستراتيجي في الوطن العربي. وأن التعاون العربي الأفريقي هو تعاون ضرورة وحتمية مستقبل.

كل هذه الزيارات تأتي في الواقع إكمالا لدور الكويت الحضاري والإنساني والإسلامي والعربي في تعزيز التعاون وتوثيقه، في عالم أصبح اليوم مترابطا أكثر من أي وقت مضى □

المحـــــرر



بقلم الدكتور
محمد الرميحي

إزالة الحواجز



بماذا نحكم على مايجرى في الدول الشيوعية من بولندا إلى الصين ، مروراً بالاتحاد السوفيتي نفسه ، وانتهاء بهنغاريا وتشيكوسلوفاكيا ؟

إن مايجري هناك يستحق النظر والدراسة .

قد يحق لبعضهم أن يصدر حكما على الأمور التي تجري هناك على أنها إحدى الاحتمالات العديدة التي تؤدي إلى النتيجة نفسها . إنها بداية موت الايديولوجية الشيوعية . وقد يجوز لبعضهم أن يقول : إن الماركسية لم يعد لها مستقبل لقد كان لها ماض فقط .

وقد يقول بعض آخر بتحفظ : إنها أزمة في النظام الاشتراكي العالمي . يقوم هذا النظام الآن بمحاولات تجاوزها . وعلى الرغم من أن هذه المحاولات عسيرة فإنها الطريق الوحيد لتجاوز تلك الأزمة . وقد يفسرها آخرون بما يستطيعون تقديمه من حجج مؤيدة أو حجج مضادة ، إلا أن مايبدو أوضح شيء يستحق التسجيل والتأمل . ويستحق فوق كل

ذلك أن نعرف ماذا يمكن أن تكون نتائجه ، ليس على أصحاب العلاقة المباشرة فقط ، وإنما على منطقتنا العربية القريبة جغرافيا من بعض بلدان النظام الاشتراكي ، وكذلك من حيث أن بعضنا قد أخذ ببعض تطبيقاته . إننا نشهد في الحقيقة نهاية عصر كامل من الاجتهادات الاقتصادية والسياسية ودخول عصر جديد .

الموضوع الذي نرى على السطح جزءا من تفاعلاته ، في بولندا وفي الصين وفي الاتحاد السوفيتي وكذلك هنغاريا وتشيكوسلوفاكيا ، هل هو موضوع خاص بإدارة الاقتصاد الاشتراكي ، وأن هذا الاقتصاد قد أدير فترة طويلة بطريق الخطأ ، حتى تراكمت كل هذه السلبيات التي تحاول هذه المجتمعات أن تجد حلولا لها ، ومظاهرها الطوابير الطويلة أمام مخازن السلع الأساسية التي ينتظر فيها رب - أو ربة - الأسرة الساعات الطوال حتى يحصل على قوت يومه وعياله ؟ وكذلك هذا التضخم الكبير في عملة هذا البلد أو ذاك التي لا تكاد تفي بحاجات المأكل - دع عنك الملبس أو المسكن - للإنسان العادي ، أو في تراكم الديون بأرقام فلكية ، لا يستطيع الدخل القومي أن يفي حتى باحتياجات خدمة الدين المترتبة عليها سنويا ؟ أم أن القضية أكبر من ذلك بكثير ؟ أي أن القضية مرتبطة بموضوع السياسة ، وموضوع الحريات العامة والشخصية ، والحوار غير المقيد الذي يتيح للناس أن يقرروا كيف يحكمون ، وكيف توزع السلع والخدمات بينهم ، وأن يشركوا بجلاء حياتهم في تحمل الأعباء والنتائج ؟

بعضهم يقول بأولوية الموضوع الاقتصادي ، وآخرون يقولون بأولوية للموضوع السياسي ، ولكن الأهم من هذا وذاك أن شيئا ما يحدث في هذه الأماكن ، شيء يثير كثيرا من الأسئلة قبل أن يقدم بعض الإجابات ، شيء سوف يؤثر على العلاقات الدولية في فترة قادمة من الزمن ، وشيء سوف يترك بصماته على نوعية الحياة لملايين من البشر في العقود القادمة .

ويبدو أن المجتمع - أي مجتمع إنساني - له كيمياء خاصة ، هذه الكيمياء بعضها مشترك مع الجنس البشري ، وبعضها خاص بثقافة معينة . ولكن كيمياء التفاعل هذه لا يمكن إعاقتها وإن عطلت أو جمدت فترة طويلة ، فلا بد لها أن تعاود العمل ، وربما بشكل أكثر حزما أو أعظم اضطرابا ، ولكن لا بد لها في النهاية أن تعمل . هذه الكيمياء التفاعلية (أو الميكانيكية) هي بمنظور عام الإشباع (المادي) والإشباع (المعنوي) لحاجات الإنسان المختلفة ، ونقصد بالإشباع المادي توافر الحدود الدنيا من

قد يتساهل الإنسان فترة على مستوى الإشباع المادي والمعنوي ولكن يرجاه حياة أفضل في المستقبل

وسائل الحياة والانتاج المعقولة التي تحفظ للانسان حياته وتحفظ لأسرته كرامتها ، أما الإشباع المعنوي فهو أن يعيش الانسان بكرامة إنسانيته ، ولايتنازل عن هذه الكرامة لأي سبب أيديولوجي على المدى الطويل .

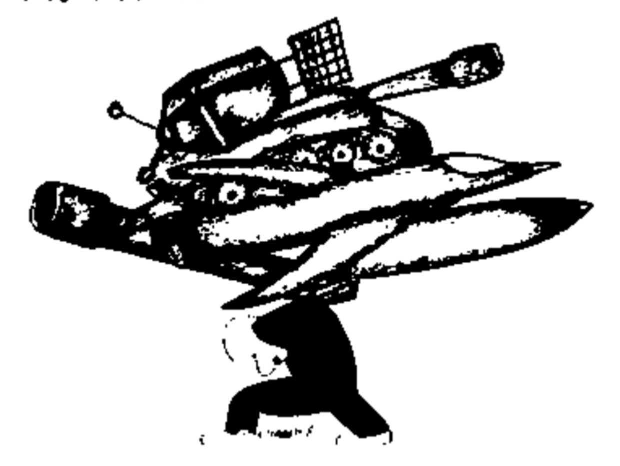
وقد يتساهل الإنسان فترة - في سبيل تحقيق إنجازات اجتماعية كبرى - عن مستوى معين من الإشباع المادي والمعنوي ، ولكن هذا التنازل يكون برجاء حياة أفضل في وقت ما ، في المستقبل ، وعندما يتبين له سقوط هذا الأمل في التقدم والرخاء - أي الحصول على اشباع مادي ومعنوي أفضل - يتحول للبحث عن طريق أو طرق أخرى ، يحقق من خلالها مايصبو إليه .

ونحن نعيش اليوم في مرحلة هذا التحول الكبير بالنسبة لأوربا الشرقية ، ولا يستبعد اليوم الذي يصل فيه هذا التحول الى بلدان شيوعية أخرى في الشرق الأقصى ، أو بلدان أخرى في أطراف عالمنا ، فاتها أن تأخذ بالحد المطلوب فيه توازن (الماديات) مع (المعنويات) .

بولندا الرمز والبداية :

عالمنا اليوم ، أصبح عالم تداخل عقائدي أوجد «دوزنة» في الفكر العالمي

في الأربعين سنة الماضية ، منذ أن قسم العالم في اجتماع يالطا إلى معسكر (اشتراكي) ومعسكر (رأسمالي) ، تبنت دول أوربا الشرقية ، تحت قيادة موسكو ، الحل الاشتراكي من أجل التقدم والبناء ، وطبق هذا الحل في بعض الأوقات تطبيقاً تعسفياً ، فأممت - على سبيل المثال - بعض مؤسسات الإنتاج التي هي من الصغر بحيث يتعذر ضبط إيقاعها في الاقتصاد الوطني ككل ، وأثبتت التجربة بعد التجربة أنه لايمكن القطع بصلاحية نموذج معين لإدارة السياسة والاقتصاد صلاحية مطلقة لكل المجتمعات ، وتجلى هذا الاعتقاد في إطار أوربا الشرقية التي اتسم التطبيق الاشتراكي فيها بسمتين رئيسيتين هما تعبير عما ساد في الاتحاد السوفيتي : السمة الأولى المركزية الشديدة في الاقتصاد والادارة ، والثانية محدودية الديمقراطية السياسية . وأدى ذلك إلى زيادة انحسار مشاركة الجماهير ، وسيطرة بيروقراطية جامدة ، هي بيروقراطية الدولة . وجرت محاولات واحدة إثر أخرى في بعض دول أوربا الشرقية للخروج من هذا المأزق فلم تنجح . كانت إحدى هذه المحاولات المبكرة في المانيا الشرقية ١٩٥٣م ، ثم تبعتها هنغاريا عام ١٩٥٦ ضمت بشدة ، وبعدها بحوالي اثني عشرة سنة انطلقت المحاولة الثالثة في تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ وتم قمعها بعنف



كذلك ، وأصبحت كل من تجربتي هنغاريا وتشيكوسلوفاكيا عنوانه كلاسيكية يتذكرهما الإعلام الغربي بشكل دوري على أنه حد مفصل الانعتاق والتحرر التي حاولتها بعض دول أوروبا الشرقية في الفهم الغربي للانعتاق والتحرر .

قيادة "تضامن" لحكومة في بلد شيوعي قد تصبح مثالاً يحتذى في المستقبل

وقتذاك كانت موسكو تقود التوجهات السياسية معظم دول أوروبا الاشتراكية من (الطوق الحديدي) ثم يقولون . فلم يحتج أحد في محاولات الإصلاح .

وجاءت تجربة بولندا في الثمانينات التي تسرع في عملية وقف التطورات السياسية إلى حد الرجوع إلى التحديات المباشرة [illegible] في (يونيو) حزيران الماضي . وحصلت نقابة تضامن [illegible] على ٣٥٪ من مقاعد البرلمان ، وهي [illegible] لانتخابات فيه . وقد [illegible] ١٩٩١ [illegible]

[illegible]

[illegible]

برلمانية عددها ٢٦٠ مقعداً في مقابل ١٧٣ مقعداً حصل عليها الشيوعيون
وحلفاؤهم في الحزب الشيوعي ، وهناك مثل حزب شيوعي بولندي من
حكم طوال الأربعين سنة تقريباً في تلك الانتخابات . وبتشجيع من إزاء
تشكيل حكومة . وطلب من نقابة تضامن مع الأحزاب الصغيرة
الأخرى أن تشكل حكومة بولندية جديدة . مع احتفاظ الحزب الشيوعي
ببعض المقاعد الوزارية المهمة ، مثل وزارتي الدفاع والداخلية .

هذا الأمر بحد ذاته يعني تحولاً في إطار البناء السياسي لأوروبا
الشرقية . ويشكل مثالاً قد يحتذى به في المستقبل في بقية هذه الدول .

الأمر إذن بدأ بتغيير من تجمع نقابي عمالي مستقل ، دخلت بعض
قياداته إلى السجن عندما أعلنت الأحكام العرفية في بولندا عام ١٩٨١ ،
إلى مساهمة رئيسية في حكومة بلد شيوعي . لقد استنفد العمال عن حزب
العمال . وبدأت التحليلات تخرج لنا ما عندها من توقعات : هل هذه
بداية النهاية للأنظمة الشيوعية في أوروبا الشرقية ، وقد تلحقها بعض
الأنظمة الأخرى ؟ أو هل يتدخل الاتحاد السوفييتي من جديد ، ليكرر ماتم
في هنغاريا عام ١٩٥٦ ، وتشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ ؟ أم أن ذلك كله
مناورة من السوفييت للتخلص من عبء الاقتصاد البولندي المريض مرضاً
مزمناً ، ولا يمكن لأحد أن يصلح شأنه إلا من خلال مساعدات ضخمة من
الغرب ؟ وكأن حال السوفييت هنا يقول ماقاله فرانز فانون الذي ناضل في
صفوف الثورة الجزائرية وأرخ لها ، فقد لاحظ بعد الاستقلال أن لسان حال
المستعمر يقول : « تريدون الاستقلال ؟ خذوه وموتوا ! » .

وهنا : « تريدون اقتصاد بولندا ؟ خذوه وادفعوا ! » .

وكأنما قال السوفييت للغرب : تريدون اقتصاد بولندا ؟ إذن خذوه وادفعوا !

الاختلاف الذي يجب ملاحظته هنا أن ماحدث في بولندا قد حدث
لأن موسكو قد بدأت منذ عام ١٩٨٥ تطبيق خطوات العلانية وإعادة
البناء ، وهي خطوات أساسها إصلاح جذري للاقتصاد والسياسة ، وعدم
بعد الموقف المتصلب تجاه ما يحدث في أوروبا الشرقية كما كان في السابق
من رفض وعدم موافقة ، كما أنه في موسكو نفسها شكوك أن الحزب
على حلف وارسو . ليخ فاليسا نفسه ، قائد نقابة « تضامن » ، الحاصل
على جائزة نوبل للسلام عام ١٩٨٣ ، يؤكد من جديد أن الإصلاحات
المرجوة إنما هي داخلية لمعالجة الوضع المتدهور في بولندا . ولا تمس علاقات
بولندا الخارجية . بل إن قيادات « تضامن » تطلب من موسكو العون في
مسيرة الإصلاح . هل هذا الموقف هو تكتيك مؤقت ، أم استراتيجية طويلة



المدى ؟ ستكشف لنا الأيام ذلك ، ولكن التعليق الأشمل الذي نقل عن فاليسا يشير إلى أمور أخرى ، لقد قال : « الآن بدأ من كان تحت العربة يهم بركوبها » .

ولكن مهما اختلفت الأسباب والتحليلات في تفسير مايحدث في بولندا تبقى القضية الأولى التي يمكن ملاحظتها هي أن تشكيل حكومة في دولة أوربية شرقية (اشتراكية) بقيادة من خارج الحزب الشيوعي ، تشكل بحد ذاتها ظاهرة لم يكن أحد يفكر في إمكانية حدوثها منذ سنوات قليلة ، وهي بحد ذاتها علامة بارزة في التحولات الجديدة .

نقابة « تضامن » ليست أيضا حركة مكونة من ملائكة ، فقد كان عدد أعضائها في بداية الثمانينات يقدر بحوالي عشرة ملايين عضو ، وأصبح عددهم الآن لا يتجاوز مليوني عضو . كما أن قيادتها للحكومة ستضطرها لاتخاذ إجراءات اقتصادية صعبة ، ستؤثر أول ماتؤثر في مستوى معيشة مؤيديها ومناصريها ، بل لقد بدأت منذ الآن تشير إلى أن الاضطرابات المتكررة في القطاعات الإنتاجية البولندية هي معيقة للاقتصاد ، بينما كانت الحركة إلى وقت قريب أول من يؤيد أي اضطراب أو توقف عن العمل . إذن فإن اللعبة لم تنته تكتيكاتها بعد .

لذلك فإن المسرح البولندي السياسي سيكون مسرحا مهما للمشاهدين والمختصين في الأشهر القليلة القادمة . فهو مكان لاختبار

النوايا . وهو مكان أيضاً لاختبار التوجهات . وفوق ذلك كله لاختبار الصلابة عند هذا الفريق أو ذاك

ربيــــــع الصـــــين :

في الوقت الذي يتذكر فيه العالم مرور واحد وعشرين سنة على ما عرف في الصحافة الغربية « ربيع براغ » . أي المحاولات الإصلاحية التي جرت في تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ وجرى قمعها في ذلك الوقت . مازال هذا الإعلام يتذكر ما حدث في الصين . في يونيو الماضي . [illegible] . ففي الصين . [illegible]

[illegible]

[illegible] الإصلاحات تلك [illegible] . بعضهم [illegible] الحسبان . وقد ثارت الشكوك [illegible] في أن يحقق بكفاءة التغيرات الكبيرة المنتظرة من الإصلاحات الموعودة . وقاد هذه الشكوك ـ للمفارقة ـ الطلاب في جامعة بكين . ونقول (للمفارقة) لأن هؤلاء الطلاب أنفسهم هم الذين أشبعوا تثقيفاً بمبادئ الماركسية الماوية . ولم يمنعهم ذلك من رصد الأخطاء ، والمطالبة بالانفتاح والتحرر . ويعني ذلك أن أي نوع من التثقيف القسري لا يتجاوز القشور إلى اللب إذا لم يتحقق على أرض الواقع ، ما يسمى بالاكتفاء المادي والمعنوي لأغلبية الناس .

فالطلاب يجدون ظروف معيشتهم وظروف تعليمهم بائسة ، والمثقفون يشعرون بمصير يتناقص أولاً بأول [illegible] وصحتهم [illegible] ما وعدوا به . وكان ظهور (المواطن الجديد) يتأخر . وفي إطار البحث عن مخرج عمت الصين مناقشات . بعضهم يريد الانخراط في تنفيذ إصلاحات أكبر ، حتى لو كانت نتائجها على المدى القصير سيئة . وبعضها الآخر يحبذ تشديد القبضة . وهي الطريقة التقليدية للسلطة في الصين . حتى وقعت المواجهة في ميدان « تيان آن من » . وهو الانفجار الذي تحدثت عنه كل وسائل الاتصال في العالم .

طلبة الصين الذين أشبعوا تثقيفاً بمبادئ ماو هم الذين طالبوا بالانفتاح والتحرر!



ومن سخرية القدر أن هذا الانفجار جاء بعد نجاح حققته الإصلاحات في العشر سنوات الماضية . فقد حققت تلك الخطوات كثيرا من النتائج الإيجابية . فعلى صعيد زراعة الأرض مثلا ، عندما أخذت السلطات قرارا بتصفية الزراعة الجماعية وتحويلها إلى زراعة عائلية ، زادت أسعار المنتجات الزراعية ، وزاد دخل الفلاحين ، حتى أن بعضهم أصبح في يده من النقود ـ كما نقلت التقارير وقتئذ ـ مالا يستطيع صرفه وتصاعدت وتيرة الإصلاح في المدن ، وجذبت الأموال للاستثمار من الخارج في مناطق حرة شملت أقاليم بكاملها . بمضي هذه الإصلاحات ـ وصاحبه التطبيق ـ مما صعد قوة التيارات المحافظة لمقاومتها . ولكن هل تنتهي المشكلة بإخلاء ساحة (تيان آن من) في مايو ـ أيار الماضي من المتظاهرين . أو أن القضية الأساسية مازالت عالقة؟ وهي قضية تنتمي إلى صلب مشاكل الإدارة والسياسة ، وعلاقة قوانين السوق الاقتصادية بمركزية الاقتصاد والحوار بدلا من التسلط .

يبدو أن ذلك ما يثبته معظم التقارير والدراسات التي صدرت منذ مايو الماضي . فالخلاف بين فصائل في الحزب الشيوعي الصيني ، بعضها مؤيد للإصلاحات ، وبعضها معارض لها قد طالب بتصفية هؤلاء (الليبراليين) الذين شقوا الحزب وشجعوا المعارضة .

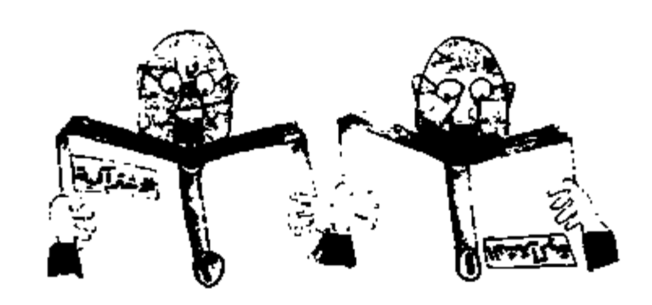
وستبقى هذه القضية عالقة ، يؤثر عليها بالطبع ما يحدث في أماكن أخرى من المعسكر الاشتراكي .

وفي أمـــاكـــن أخـــرى :

في أماكن أخرى من الدول الاشتراكية ، وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي ، تجري مجموعة من الظواهر السياسية التي تلاحظ بشدة ، فلأول مرة يتحقق قيام إضراب في إحدى القطاعات الاقتصادية المهمة في الاتحاد السوفيتي ، وهي المناجم في الشمال ، بل ويعلن عن هذا الإضراب ، ويتابع ، ثم يحل بالطرق السلمية ، وتنقل وسائل الإعلام العالمية مطالب القوميات المختلفة في الاتحاد السوفيتي ، من جمهوريات البلطيق الثلاث إلى أرمينيا وأذربيجان وجورجيا . وبين ذلك كله توزع المجلات اليومية الغربية في موسكو ، وترفع الأجهزة كل أنواع الحظر حول الكتابات والكتب والمنشورات ، ومنها كتابات وكتب لمواطنين سوفييت هربوا إلى الغرب في السابق ، وكانوا حتى فترة متأخرة يعدون من (المنشقين) .

في الوقت نفسه يتسرب عشرات الآلاف من ألمانيا الشرقية عن طريق هنغاريا ثم النمسا إلى ألمانيا الغربية . لقد كان الغرب لسنوات طويلة - خاصة الألمان - ينادون بشدة بفتح أبواب الهجرة ، لمن يريد ، من أوروبا الشرقية إلى الغربية ، وبخاصة الألمان الشرقيين الذين تعدهم ألمانيا الغربية مواطنين ألمان ، وتعتبر أنها ممثلة للألمان بعامة . بعد الانفتاح الأخير نجد أن اللهجة السابقة عن تشجيع الهجرة قد تغيرت ، بل قامت ألمانيا الغربية بإغلاق قنصليتيها في برلين الشرقية وبودابست لإيقاف هذا النزف الإنساني ، وأخذت ألمانيا الغربية تطالب بتحسين المستوى الحياتي الإنساني للألمان الشرقيين ، « وهم في بلادهم » . وذلك أيضاً تطور آخر على صعيد أوروبا . وفي تطور آخر في هنغاريا - على سبيل المثال - والتي من المفترض أن تعقد فيها انتخابات لأحزاب متعددة في وقت قريب لأول مرة ، يتصارع على حلبتها السياسيون الإصلاحيون والمتشددون ، وهم يراقبون ما يحدث في بولندا علّه يحدث في وقت لاحق في بلادهم .

ليخ فاليسا يقول : لقد حققنا الحرية .. الآن نريد الخبز !



مــــاذا يعني كل هــذا التحول ؟

نعود إلى سؤالنا الأساسي : ماذا تعني كل هذه الظواهر ، والاستجابات العديدة لها ؟ لا توجد إجابة قاطعة عن هذا السؤال ، فهناك أولاً سوء إدارة في الاقتصاد لم يعد أحد ينكرها ، أدت في بعض البلدان إلى تراكم غير محتمل من السوء . بلد مثل بولندا ينتج البطاطس والشمندر ، تحول إلى إنتاج صناعات ثقيلة ، وفي المناجم ومصانع الحديد والصلب تكاد تنتمي لاقتصاد القرن التاسع عشر بدلاً من القرن العشرين ، والنصف الثاني منه على الأخص ، وتغرق في ديون ، فهي مدينة للغرب بحوالي ٣٩ بليون دولار ، وللمعسكر الاشتراكي بحوالي ٦ بلايين روبل . ويبلغ ماتدفعه لخدمة الدين ٣ر٣ بليون دولار سنوياً .

على سبيل المثال : يتم تخطيط مركزي للانتاج في بلاد أخرى ، يُحمّل مصنع الأثاث كذا طن من الإنتاج دون الالتفات إلى الشكل أو مستوى التصنيع ، فينتج المصنع أثاثاً بأحجام ضخمة ، ولايصلح للاستهلاك ، وإنما لتحقيق أهداف الخطة فقط ، وتضيع ملايين الوحدات المنتجة نتيجة المركزية في النقل والتخزين ! نعم كل ذلك صحيح « إنه سوء إدارة الاقتصاد » .

ولكن هل صحيح أيضاً أن فكرة الاشتراكية ، بمعناها الذي تبناه المعسكر الاشتراكي ، هي فكرة خطأ يجب أن تُهمل وتُسقط من الحساب ؟



العالم لا ينتظرنا إذا كنا نقدم رجلا ونؤخر أخرى

هذا السؤال تصعب الإجابة عنه بشمولية في هذا الوقت ، خاصة الإجابة عنه بإجابة قاطعة .

فالأفكار الرأسمالية التي يتبناها المعسكر الاشتراكي اليوم ، من إطلاق قوى السوق إلى الملكية الفردية ، هي أفكار بدأت تتخلل الواقع الاشتراكي العالمي وتحوله من قطعي متشدد وحرفي إلى معتدل مرن ، يأخذ بالحسبان أهمية مشاعر الإنسان وتطلعاته ، ولكن بالمثل لابد ألا ننسى أن هناك أفكاراً (اشتراكية) قد تخللت الواقع السياسي الغربي ، فقد قامت أحزاب اشتراكية تبنت أفكاراً اشتراكية معدلة مع تزاوجها بروح ديمقراطية ، وقد وصلت مثل هذه المجموعات التي أنشأت هذه الأحزاب في أوروبا الغربية إلى الحكم ، ومثال على ذلك فرنسا وأسبانيا اليوم ، وبريطانيا الخمسينيات والستينيات ، وبعض دول أوروبا الشمالية .

إذن حدث هناك تبادل وتلاقح في الأفكار بين الشمال والشمال . أفكار الديمقراطية والحرية تتسلل إلى ماكان يسمى (المعسكر) خلف الستار الحديدي ، والعكس صحيح . أصبح هناك (توزنة) في الفكر العالمي . وأصبح عالمنا اليوم عالم تداخل عقائدي ، وغدت بعض المطالبات السياسية القديمة غير ذات قيمة ، كالمطالبة مثلا بفتح هجرة الأوروبيين الشرقيين إلى الغرب ، ومثل هذه الفكرة لاتمثل اليوم إلا أفكارا عاطفية خيالية ، ليس لها علاقة بواقع الحال .

وفي السوق الاشتراكية : هل ما يحدث هو تحول عن ... الاشتراكية ... تعديل وتصحيح ... هو تقلبات ... ؟



مساره ؟ وهل يستعاض في الإقناع والمشاركة عن القوة بصناديق الاقتراع ؟ إنها مرحلة سقوط الايديولوجيات ، فالايديولوجيات لاتنتعش إلا في أوقات احتدام الصراع ، والمراجعات العميقة التي تحدث الآن في المعسكر الاشتراكي ، كما هي المراجعات التي حدثت في المعسكر الرأسمالي عندما حولت الرأسمالية من رأسمالية بشعة مستغلة إلى رأسمالية بوجه إنساني ، هي ظاهرة عامة وسمة من سمات عصر بوجه إنساني .

يبدو أن المعسكر الاشتراكي يبحث أيضاً عن وجه إنساني ، لاشتراكية تصاحبه الديمقراطية واحترام الحريات . إنها فترة حوار بين الشمال والشمال ، حوار يعتمد على مراجعة عميقة وجذرية لبعض الخيارات السابقة ، حوار يحمل بوادر وفاق أعظم وأكبر في هذا العالم الذي نعيش فيه ، والذي أصبحت أولوياته الحفاظ على السلام ونظافة البيئة ، وتوفير العيش الكريم للإنسان .

وماذا عنا :

في بداية الحديث قلت : هذا التحول الذي نشهده في المعسكر الاشتراكي ، ماذا يعني بالنسبة لنا نحن في هذه المنطقة العربية ؟ وأعود من جديد لأقول : إن هذا الحوار والمراجعة بين الشمال والشمال ، بين المعسكرين الكبيرين بوصلهما إلى نقاط اتفاق كانت مدخلاً لنا ، نحن في العالم الثالث ـ عندما كانت نقاط خلاف ، وقتها كانت بعض دول العالم الثالث تصطف مع هذا المعسكر أو ذاك على أساس نقاط الاختلاف الظاهرة بين هذين المعسكرين ، الآن لم يعد بالإمكان الحديث عن خلافات بين المعسكرين يمكن أن تفيد العالم الثالث أو الوطن العربي ، الصوت الأعلى الآن بناء الأجهزة والمؤسسات التي توكل إليها مهمات الحكم والرقابة ومهمات الانتاج والتوزيع ، فقد غدت هي « الترمومتر » الأساسي الذي تقاس به نجاحات الاقتصاد والسياسة للأمم ، والاختلاف المرئي في التطبيق لم يعد له شأن متى ما تأكدت حقوق المواطن المدنية والتصويت على حد سواء ، ودون هذا التأكيد سوف نجد العالم من حولك يغير تكتيكاته بضبط إيقاعه على التقدم والتنمية ، ونعيش نحن متنقلين من الضعف إلى الضعف أكثر ، نقدم رجلاً ونؤخر أخرى ، والبعد لا يتغير ☐



(الحياة مجموعة من الخبرات المتراكمة ، وليس بالضرورة أن تتشابه وتتكرر ، إنما كثير من الخبرات منفردة تضيف معنى جديدا للحياة ، وتعطيها لذة التراكم ، وقد اختارت العربي مجموعة من المتميزين العرب ليروي كل بطريقته الخاصة بعضا من ذكرياته التي أصبحت دروسا في الحياة) .

بقلم : الدكتور غازي القصيبي*

أول ما تفتحت عيناي عليه كان أبي شيخاً صاخباً بالحياة . ومرت سنوات ، وهزل وانحنى ، ومرت سنوات أخرى ، ومشيت وراء النعش مذهولاً ، لا أكاد أصدق أن العملاق النابض بالحياة يحمل جسداً ضئيلاً ، بعيداً عن الحياة .

قيل لي حين سألت أمي ما عمره : «أبوك في الستين» ، ولم يكن الرقم يعني شيئاً لي حينذاك . وكبرت قليلاً ، وأدركت أن الستين ترتبط في الأذهان بالشيخوخة ، وأصبحت بطيئاً .

كان أبي تحدياً للمنطق ، فكيف يجمع متقولاً وكبر ؟! كانت خطواته تهز الأرض ، وتبتلع الدرج قفزاً ، كان منتصبا كالرمح ، كان أوسم من رأيت من الرجال .

وقبل أن يودع الدنيا بأيام كان لقائي الأخير معه ، كان قد تجاوز الثمانين ، بدا كأنه يعتذر بالضعف عن الحيوية التي لازمت شبابه وكهولته ، كان يتجلد أمام الزوار ويصمد ، يجلس بكامل هيبته ، يخشى أن تخونه الذاكرة ، أو ينزلق لسانه بجملة لا معنى لها . اعترف للسنين بانتصارها على جسده ، لكنه لم يسمح لها بالتسلل إلى روحه ، أو الاقتراب من ذهنه .

---

* شاعر ووزير سابق وسفير حالي للمملكة العربية السعودية في البحرين .

وبين المشاهد الأولى والمشاهد الأخيرة تومض مواقف وقصص . في البداية لم يكن غير وجود مهيب (ومخيف أحياناً) ، أقف عندما يجيء ، أقبل يده كلما رأيته ، أنظر الى الأرض وهو يحدثني . في النهاية ، أصبح الصديق الوديع ، ظل الوجوه مهيباً (ولم يعد مخيفاً) ، ظللت أقبل يده كلما رأيته ، أتحدث إليه وعيناي لا تفارقان وجهه .

أذكر كيف علمني السباحة ، كنت في ذلك الوقت في السادسة ، كنا نصطاف في البركة . كان يسبح ، وكنت أتعلق على حافة البركة . نظر إليّ وقال ببساطة متناهية :

- متى تنوي أن تسبح ؟

لم يقل شيئاً غير هذا : لم يهدد ، ولم يوبخ ، ولم يلح ، مجرد سؤال وبعد ذلك بساعات كنت أسبح .

كان هذا أسلوبه في التعامل : التلميح الذي لا يجرح ، والإيماءة التي لا تحرج . لم يقل لي قط « صلّ ! » ولكنه ظل ، في كل رسالة تقريباً ، يذكرني بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن الصلاة . لم يقل لي قط « ذاكر ! » ، ولكن فرحه بكل نجاح أحققه كان أوضح من أن يخفيه . لم يقل لي قط « حسّنْ خطك ! » ، ولكنني سمعته يقول عن أحد الرفاق بمسمع مني « ليته يُحسّن خطه » .

أهدى لي ، وأنا على مشارف المراهقة ، كتاباً دينياً ضخماً ، وبعد ذلك بشهور أقبل عيد الفطر ، وأعطاني « العيدية » . قلت :

- هذه « عيدية » السنة الماضية نفسها ، لم تزد !

- ولماذا تزيد ؟

- لأنني أصبحت أكبر بسنة .

- وهل تتوقع أن تكبر « العيدية » معك ؟

- نعم ، لقد قرأت في الكتاب الذي أعطيته منك أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال ما معناه : إنّ طمع ابن آدم يزيد كلما ازداد سنه

- صدق الرسول عليه الصلاة والسلام ! ألم تقرأ في الكتاب شيئاً آخر ؟ ألم تجد فيه شيئاً عن القناعة ؟

قالها وهو يضحك ويضاعف « العيدية » .

ذات يوم ، وأنا في ذروة المراهقة المغرورة ، دخل مكتبه ليجدني فيه أتحدث بالتليفون مع السامي . سألني بهدوء :

- لمَ تصرخ أثناء حديثك معه ؟

- لأنه غبي .

- وهل هذا ذنبه ؟ لو أعطي قدراً من الذكاء أتراه كان سيرضى بالجلوس في موقع يتحمل فيه إهانات مثلك ؟

عبر السنين ، ظلت كلماته تطن في أذنيّ . كم تمنيت لو أقولها كلما سمعت رئيساً « ذكياً » يتذمر من مرؤوسه « الغبي » .

كان يؤمن « بإقتسام » الأشياء ، حتى أصغر الهدايا كان يقتسمها مع الحاضرين . كانت طلبات الآخرين ترهقه . سألته مرة لِمَ لا يتجاهلها . قال :

- لا يابني ، اليد العليا خير من اليد السفلى .

عندما كنت أحضر أطروحة الدكتوراة ، وأدركت لأول مرة أهمية الوثائق التاريخية ، طلبت منه أن يدوّن مذكراته ، وعرضت عليه أن أتفرغ بعض الوقت لمساعدته ، ولكنه رفض ، وألححت عليه . في النهاية ، قال :

- هل تريدني أن أكتب ما يعرفه الناس جميعاً ؟ هذا لا قيمة له . هل تريدني أن أفضح أسراراً هي عندي بمثابة الأمانات ؟ هذا ما لا أستطيعه . هل تريدني أن أكذب ؟

هذه الأيام ، كلما قرأت مذكرات شخصية عربية ، تذكرت موقفه من المذكرات ، وترحمت عليه ، وعلى الموقف .

كان أبي في حياته يعني أشياء كثيرة ، ولكنني لم أدرك كل ما يعنيه ، إلاّ بعد وفاته ، إنه كان معلماً موهوباً . □

نوفمبر ١٩٨٩

العربي

قناة السويس: تحديات مستمرة وحياة متجددة



د. مازن مبارك
ود. أحمد القدور

واقرأ أيضا للكتاب:

وللإسلام علينا حق

بقلم : الدكتور عبدالعزيز كامل

سلوك الطريق الذي يقود الإنسان إلى [illegible]

مصالحة الداخلية بين العقل والإرادة [illegible] والمصالحة الخارجية بين [illegible]

﴿ [illegible] ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ﴾ (آل عمران ، ١٩٣) .

كلمة « آمنا » هذه تحمل الطمأنينة والمعنى معا . وضوح الفكرة ووضوح الطريق . ثم تحمل مسئوليات العمل والصبر عليه بغير حدود ، إلا حدود الحياة . فالإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل .

وحين نتكلم عن « حق الإسلام » إنما نتكلم عن « الحق المصاحب » لا « الحق العابر » . فالعلاقة بالإسلام تعاقدية ﴿ ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور ﴾ (لقمان ، ٢٢) .

وهي علاقة تتشكل صورها حسب [illegible] [illegible] هو [illegible] . هناك أولا [illegible] في هذا التعاقد ، [illegible] يكون به [illegible] في [illegible] وسلوكه . ثم هناك [illegible] التخصص حسب فروع المعرفة التي يحتاج إليها المجتمع في [illegible] . [illegible] هذه التخصصات [illegible] [illegible] [illegible] . بعضها يقوم به [illegible] ، وبعضه [illegible] ، وبعضه تقوم به [illegible] ، وبعضه تتعاون الدول الإسلامية فيما بينها على القيام به . والبعض الآخر والأخير تتعاون هذه الدول مع المجتمع الدولي على التنسيق بين معطيات الحضارات المتنوعة ، ومن بينها الحضارة الإسلامية ، في عالم معاصر يزداد ترابطا وتقاربا .

تكامل الحضارة الإسلامية

[illegible] الحضارة الإسلامية ، [illegible] لا [illegible] كائنا [illegible] [illegible] لا [illegible] فيها [illegible] [illegible] الجوانب [illegible] [illegible] الاجتماعي ، [illegible] [illegible] .

في هذه الصورة [illegible] [illegible] العقيدة والشريعة . [illegible] الأخلاق والسلوك اليومي [illegible] أن نقيم خطوط الاتصال [illegible]

بين الدين والفن ، والاقتصاد والسياسة ، والأدب والإبداع العلمي وأخلاقياته ، فهناك فرق كبير بين حرية البحث العلمي وبين مجالات التطبيق في الحياة التي تحكمها الشرائع والقوانين ، وأقرب الأمثلة إلى ذلك بحوث هندسة الوراثة ، واحتمالات تطبيقاتها .

وإن على مؤرخ الحضارة أن يواجه هذه المهام : أن يدرس حضارته ، وكيف قامت وتكونت ، وأن يكون قادراً على تمثلها في مستويين أساسيين : الأول مستوى القطاع الزمني (كأنه يلتقط صورا « فوتوغرافية ») ، والثاني مستوى التحولات الزمنية (كأنها شريط سينمائي) . بعبارة أخرى أن يكون قادراً على نقل الصور الزمنية في سكونها وحركتها معا . ولنتفق على تعبيرين : الصورة والمسار .

في الحضارة الإسلامية ـ وهي في هذا لا تختلف عن أي حضارة أخرى ـ صور متعددة ومتتالية ومتعاصرة . وعلينا أن نبحث عن الخطوط المشتركة في هذه الصور جميعاً ، كما تحس عندما ترى الصيني مثلا أنه صيني : بعينه اللوزية ، ووجنته الأميل إلى البروز ، وبشرته الأميل الى السمك ، وشعره المسترسل ، هذا مع خلاف بين فرد وفرد هو من طبيعة الحياة البشرية . وأنت تحس الخطوط الحضارية المشتركة مع تغير في المستوى الحضاري ترتفع به موجة العطاء أو تنخفض ، وتندفع أو تبطيء . ولا تسلم حضارة من هذه التغيرات ، وإن استطاعت بعض الحضارات أن تجدد شبابها ، ولم يستطع البعض الآخر لعوامل داخلية أو خارجية ، فانطوت صفحاتها ، ولم تبق منها إلا آثار على الأرض أو في المتاحف ، وفي مؤلفات عن إبداع كان ، ثم انقضى . ولا نستطيع أن ننكر ـ والتاريخ شاهد ـ توهج الحضارات وذبولها ويقظتها وصحوها . والأمثلة أمامنا من الشرق والغرب : في مصر والهند والصين واليونان وقلب الجزيرة العربية وأطرافها ، هذا إلى حضارات أمريكا قبل الكشف الجغرافي كالمايا والإنكا والأزتك ، وقد دمر منها الأسبان قدرا وهيا من أجل إبادة أي مقاومة بشرية ، ومن أجل الاستيلاء على ما فيها من ثروات .

الإسلام حضارة متجددة

والحضارة الإسلامية من الحضارات المتجددة التي استطاعت البقاء والاستمرار على الرغم من كل ما لقيت من عنت ومحاولات إبادة ، ويكفي أن نذكر الحروب الصليبية وحروب المغول وعنف بعض الدول الاستعمارية ومحاولاتها محو الهوية الإسلامية من بعض الأقطار ، وقد تكررت فيها الصحوات بعد الكبوات .

ونستطيع في هذا الأمر أن نميز في العالم الإسلامي بين ثلاثة قطاعات :

الأول : شمال البحر المتوسط (بصفة عامة) وقد اشتد الضغط الأوربي على هذا القطاع ، حتى استطاع استعادة اسبانيا ، وغربت شمس الإسلام عن الأندلس ، وعن صقلية ، وبعض جزائر البحر المتوسط ، وأصبح هذا البحر والمسلمون يعيشون على شواطئه الجنوبية والشرقية وفي آسيا الصغرى ، وثم جاليات في شرق أوربا ، بينما انحسر عن أكثر شواطئه الشمالية .

الثاني : ونستطيع أن نسميه ـ بحق ـ جسم الإسلام الممتد من شواطيء المحيط الأطلسي غربا ويضم الوطن العربي حيث مهد الإسلام واللقاء بين العقيدة الإسلامية واللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم ، ثم يمتد جناح شرقي له شعبة شمالية إلى قلب آسيا حتى غرب الصين وأجزاء من شرقها ، وشعبة جنوبية إلى إيران وأفغانستان وشبه القارة الهندية الباكستانية إلى اندونيسيا والجزائر الآسيوية في المحيط الهادي كالفلبين . وفي هذا القطاع الشرقي نرى الإسلام

عقيدة ، واللغة العربية لغة دينية ، بينما استطاعت لغات أخرى - أو بقيت - مستخدمة في الحياة اليومية .

الثالث : القطاع الجنوبي ، وبخاصة في إفريقية جنوب الصحراء الكبرى ، وفي أجزاء من جنوب شرق آسيا حيث الصراع أو الحوار بين العقائد . وأبرز شركاء الحوار : الإسلام والمسيحية . وبخاصة الكنائس الأوربية والأمريكية ، وهي مزودة بقدرات وإمكانات كبيرة ، كما دعا الجماعات والجمعيات الإسلامية إلى مضاعفة الجهد وتوسيع مجالات التعاون وآفاقه بين قلب الإسلام - فكريا وماديا - وبين هذه الأقاليم التي لا تزال مفتوحة أمام الامتداد الديني .

ولكل قطاع مشكلاته وحلوله

نعود إلى القطاع الشمالي وقد تحسنت كثيرا صورة الإسلام فيه : كان قطاع التراجع ، فأصبح من قطاعات التقدم . ومع سهولة الاتصال وقيام الدول الجديدة في إفريقية جنوب الصحراء ، وفي أجزاء من الوطن العربي وفي جنوب شرق آسيا ، ومع توافر فرص العلم والعمل في الأقطار الصناعية المتقدمة اتجهت تيارات الهجرة من الجنوب إلى الشمال ، واجتذبت مسلمين وغير مسلمين . وفي غرب أوربا الآن - ونحن على مطلع العقد الأخير من القرن العشرين - نحو ستة ملايين مسلم : في بريطانيا نحو مليونين ، وفي فرنسا بين مليونين وثلاثة ، وفي ألمانيا نحو مليون ، هذا إلى جانب وجود جاليات إسلامية في هولندا والسويد وسويسرا ، وهي جاليات مستقرة ، وقد زاد عدد المساجد في فرنسا فأصبح نحو ألف ، وفي بريطانيا نحو ماتين وخمسين ، هذا عن طريق تحويل شقق أو أدوار في منازل إلى مساجد وأماكن لقاء ، وتكونت في أوربا جمعيات قد ستركها تكشير هنا حوضا .

ولا يختلف الأمر عن هذا في العالم الجديد : الولايات المتحدة وكندا ودول الكاريبي وأمريكا اللاتينية ، حيث يقدر إجمالي عدد المسلمين الآن بنحو تسعة أو عشرة ملايين : فالثلثان في الشمالية والثلث موزع بين الوسطى والجنوبية .

ولا نستطيع القول بأن مسلمي هذه المواطن الجديدة على كلمة سواء ، أو أن مشكلاتهم تشابه مشكلات إخوانهم في العالم الإسلامي ، فقد هاجروا ولقوا ظروفا جديدة تحتاج منهم إلى فكر جديد واجتهاد جديد ، هو ما يطلقون عليه في الإسلام المعاصر ، فهذه الأقليات الإسلامية التي تبحث عن السماحة والأمن والنصر الماديين والقدرة على تربية الأجيال الجديدة على مبادئ الإسلام ، دون أن ينفصلوا عن حياة الغرب الذي يعيشون فيه ، ولا عن حضارته السائدة المسيطرة الحاكمة .

ولقد استطاعت الشعوب الأسيوية والافريقية أن ترتبط ارتباطا عضويا بالحضارة الغربية : في الحياة اليومية ، في العمل المشترك ، في المصانع ، في الرياضة ، في الأدب والفنون : الموسيقا والسينما والمسرح ، وبقي المسلمون أو أكثرهم خارج دوائر الترابط اليومي ، ويكفي أن ندرس - بإمعان - عددا من الأفلام السينمائية لنرى فيها مكانة « العربي » والمسلم ، وسنرى الفوارق إذا قارناها بمكانة الأسيوي أو الافريقي ، الصور غير متشابهة ، ودرجات الاتصال والتفاهم متباينة . ويختلف معها شعور الرأي العام الغربي - المتأثر بمؤثرات معادية أو مصادقة أو متخلفة - اقترابا أو ابتعادا عن الإسلام والجاليات الإسلامية والتعاون معها .

كما أننا لا نستطيع أن نغفل التطرف عن الجماعات الدينية المتعصبة في بعض الأقطار الغربية التي لا ترحب بهذا المد الإسلامي ، ولا بموقف القوى الصهيونية التي انفردت بالميدان في بعض الأقطار . واستطاعت الوصول إلى مركز

التأثير على القرار السياسي والتمهيد له، ومتابعته حتى صدوره وتمييعه لصالح «إسرائيل».

ثم لنا أن نتابع الدراسة لنرى آثار ذلك في الحياة السياسية والأدبية والفكرية، وما يصدر عن دور النشر من كتب تستطيع أن تعبر حدودها إلى الأقطار الإسلامية، وتؤثر في صياغة الأفكار والمواقف، وعلى ردود الأفعال، وفي إصدار مواقف استفزازية للقطاعات من العالم الإسلامي، وقد تكون بعض هذه الكتب لمؤلفين يحملون أسماء إسلامية.

وقضية كتاب «الآيات الشيطانية» لسلمان رشدي ما زالت حية منذ صدور الكتاب في خريف ١٩٨٨، وعلى الرغم من كل الضجة التي أثيرت حول الكتاب، ولعله بسبب هذه الضجة انتشر الكتاب وأعيدت طبعاته، وفي صيف ١٩٨٩ صدرت ترجمته الفرنسية، وذلك بعد صدور الترجمتين الإسبانية والإيطالية. واحتفظ الناشر الفرنسي «كريستيان بورجوا» باسم المترجم سرا. ولم ترض بعض دور العرض الكبرى كلافنايت وبرنتن في باريس أن تبيع الكتاب تحسبا لأي خطر. ولكن هذا لم يمنع الدور الأقل مكانة من عرض الكتاب، وبلغ عدد النسخ المبيعة في يومين خمسا وستين ألفا (مجلة التايم ٣١ يوليو ١٩٨٩ ص ١٥).

وهناك كتاب آخر، لا يقل سوءا عن «الآيات الشيطانية» يحمل اسم «الدائرة المغلقة»، بقلم الكاتب والصحفي دافيد برايس جونز، وهو من دار وايدنفلد ونيكلسون (لندن ١٩٨٩) وهو يتكون من مقدمة وثلاثة عشر فصلا وخاتمة. والكتاب عن الحياة العربية. وهو مختص في السيئات ولكنه يعرضها بموضوعية. ولكنه يختار من السيئات أشدها، ثم يلوي أعناقها، وينثر وراءه استشهادات كثيرة، هي في ذاتها مجال واسع في الاختيار، ثم يذكر السيئات [illegible]

هذه الاقتباسات والمراجع والصفحات، قد يقرؤه هذا ويدعوه إلى التصديق، لاسيما لو كان القارئ غريبا بعيدا عن ميدان الأحداث، ولا خبرة له بالرجال، ولا وقت عنده للموازنة؟

وواضح أن هذا النوع من الإنتاج يستهدف النيل من العروبة والإسلام، وأنه جزء من الحرب النفسية والفكرية التي تشنها بعض دوائر الغرب. ولكن.

أين النقد والتقييم في حياتنا؟

عند هذه المرحلة من الحديث نود أن نقف قليلا، هل نتابع عرض المشكلات في القطاع الشمالي ثم الأوسط والجنوبي؟ هل نذكر اشتعال الحروب والصراعات على مستوى الوطن الواحد، وعلى مستوى الجيران، بدءا من الشمال وموريتانيا في أقصى الغرب إلى الصراعات العرقية والطائفية والمذهبية في جنوب شرق آسيا، مرورا بلبنان وما بين العراق وإيران، وما يحدث في أفغانستان؟ هل نذكر وضع «إسرائيل» بين القطاعين الأفريقي والآسيوي من العالم الإسلامي؟ هل نتذكر ما تلقى الأقليات الإسلامية في الفلبين، ونظائر - أو ما يقرب من النظائر - فيما يلقاه مسلمو بلغاريا؟

ثم القطاع الجنوبي بكل الزحف التبشيري فيه، وهو أمر ليس سرا، وإنما له مؤتمراته ومنشوراته، وهيئاته المتخصصة التي تعلن عن أهدافها؟

ويمكن أن نتجه في الحديث نحو المصارحة إلى الاعتراف بأوجه النقص في حياتنا الإسلامية لنبادر بعد هذا إلى عرض خطة ذات شقين:

الشق الأول: هو حاجتنا إلى صياغة حديثة للحياة الإسلامية، يتميز فيها أمران: أن تحتفظ [illegible]

سبقتنا في الحياة المعاصرة إلى التقدم ، بدءاً من اليابان وكوريا شرقاً ، إلى العالم الجديد غرباً ، وأول هذا حسن إعداد الأجيال للحياة في نظرة متكاملة ، تكفل كرامة الفرد والمجتمع . الأمر الذي ما يكون به المسلم سلبياً : من عقيدة وخلق وثقافة . ذلك لأن أكبر عقبة في سبيل احترام الإسلام كحضارة عالمية ما يمارسه المسلمون في واقع حياتهم من حروب داخلية وصراعات وتخريب لمصادرهم وثرواتهم ، مما يصرفهم عن حسن إعداد الجيل الجديد لحياة خصبة مثمرة ، وليس من العدل في شيء أن نلقي اللوم على غيرنا ونكتفي بإدانة الاستعمار وأعداء الإسلام .

الشق الثاني : هو الجانب الفكري ، ولو شئنا اصطلاحاً أدق لقلنا : المناخ الفكري الذي تبتغي صياغته للمسلمين : كيف نفهم حضارتنا في شمولها وتكاملها ومسارها ؟ وكيف نعرضها على أبنائنا ، بحيث لا تكون مجرد سرد للأمجاد ، كأننا كراجعة في متحف ؟ علينا أن نبرز نقاط القوة لنزيدها قوة ، ونقاط الضعف حتى نحاول بقدر استطاعتنا تجنبها ، وهناك نقاط ضعف صبغت الجاهلين ، كأنها أمراض متوطنة ، تحتاج إلى معالجة وصبر وممارسة عملية : ومن أبرزها طبيعة التنافر بين الأجهزة الحاكمة والشعوب . نريد أن تكون دعائمها الثقة المتبادلة والمسئولية المشتركة والصبر على تكوينها ، بحيث نستطيع التغلب على النزوات العابرة . نريد احترام الوقت فهو الحياة . نريد حب العمل والعلم والإبداع ، بحيث يصبح العمل سعادة ، والسعادة في روعة الإنجاز . نريد أن ندعم روح الفريق وروح الجماعة .

وبعد : أليس من التناقض أن نؤمن في الدين أن صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد ، بينما نحيا أفراداً وهم يقدمون مصالحهم على مصالح الجماعة ؟

وأخيراً : أرجو القارئ الكريم أن يجعل ختام هذا الحديث قراءة ثانية لفقرته الأولى . □



● يعتقد كثيرون أن قلم الحبر الذي نعرفه اليوم هو من اختراع الأمريكي « لويس أديسون ووترمان » ، في القرن الثامن عشر ، إلا أن المتتبع لتراثنا العربي يجد أن ذكره قد ورد في إحدى المخطوطات العربية التي ترجع إلى عصر الدولة الفاطمية ، وهذه المخطوطة هي كتاب « المجالس والمسايرات » لأبي حنيفة النعمان ، ويذكر فيه أن المعز لدين الله الفاطمي هو أول من أوعز لاختراع أقلام الحبر التي تحوي خزاناً للحبر . فقد جاء في هذا الكتاب أن المعز لدين الله ذكر القلم فوصف فضله . ثم قال : نريد أن نعمل قلماً يكتب به بلا استمداد من دواة ، ويكون مداده من داخله ، فمتى شاء كتب به ما شاء ، ومتى شاء تركه ، فترفع المداد ، وكان القلم معه ناشفاً ، ويجعله الكاتب في كمه فلا يرشح شيء من مداده ، ليكون آلة عجيبة ، لم نعلم أنا سبقنا إليها ، ثم تكون دليلاً على حكمة بالغة . قلت : ويكون هذا يا مولانا ؟ قال : يكون إن شاء الله ، فما مر بعد ذلك إلا أيام حتى جاء الصانع الذي وصف له الصنعة بقلم من ذهب ، فأودعه المداد على مقدار الحاجة ، وكتب به أحسن كتاب ، ثم رفعه عن الكتاب ، فأمسك المداد ، فرأيت صنعة عجيبة ، لم أكن أظن أني أرى مثلها ،

لحنان في ليل أزرق

ليل أزرق
وطفلة تبحث القمر في المدى
حاملة فوق الجبين الأقاح
امرأة وشاح
يهمس تحسو فنجان الصلاة في غرفتها
تسألني : مَنْ أنتَ ؟ ومِنْ أين أتيت؟
فأجيبها : جئتُ مِنْ عشرين عاماً أترك
جئتُ مِنَ الأعشاب الباقية على
أقدام الريح
مَنْ أشرقَ على الأفق اللامعَ
حزيناً وغريبا

-٢-

ضحكتْ كفراشة تتلفّعُ
بثوب الروح

-٣-

قلتُ بريشة الشوق إلى أين
مستلقي القلب
سألني : إذ كنتَ عرفتَ الحبَّ
وأجبتُ :
الآن يذبحني
مِنْ شرفات القلب

-٤-

حين لمستُ يديها
كانت أنامل أصابعها
تمزّقني حبّا

يرقص بين يديه حقولك
حتى آخر قطرة
سقطتْ مِنْ غربتها
في حقل الشعر
يسألني : مَنْ أنتَ ؟ ومِنْ أين أتيت؟
وهل هذا الجنون الزرقاوي هو حبٌّ ؟
أعانقني ، وتضمّني
ما بين أمومة غربتها
وصلاة القلب

وراحتْ
كنّا نحنُ ، نذوبْ
بجنون ، فرحين
سكرتين ، كسرتين
سهرتين ، حزينتين
وحيدتين ، كثيرتين
حبيبتين ، مرّتين
ساهرتين ، وكئيبتين
شمعتين ، عروستين
وبعيدتين ، طليقتين ، حبيبتين
وطويلتين ، خائفتين
سالتين ، ماطرتين
ربيعين ، جميلتين
وشتاءين ، عاشقتين
جنونين ، حنونين
باردتين ، صادقتين

شعر :

محمد ابراهيم أبو سنة

[illegible] ، [illegible]

[illegible] ، [illegible]

[illegible] ، [illegible]

[illegible] ، [illegible]

[illegible] ، [illegible]

[illegible] ، [illegible]

أصبحنا في هذا الليل

[illegible]

[illegible]

[illegible] ، [illegible]

بعد [illegible]

[illegible]



لغة الحوار في المسرح العربي مشكلة بلا حل !

بقلم : الدكتورة حياة جاسم محمد

المسرحية نوع أدبي يتميز عن الأنواع الأدبية الأخرى باختفاء صوت الشاعر أو الكاتب واختفاء السرد ، فهي تتكون من خلال ما تقوم به الشخصيات من أفعال ، وما تتبادله من حوار ، ولكن هذا الحوار ظل مشكلة بلا حل ، فهل تكتب بالفصحى أم بالعامية أم بلغة ثالثة ؟ .

الحوار ثانوي في الرواية ، لأن الكاتب يسرد الأحداث ويطورها ، ويصف الشخصيات ويكشف عن نفسياتها . أما في المسرحية فالحوار أساسي ، وهو مابه تقوم المسرحية وتتشكل ، حتى أن « رينيه ويلك » ، في النظرية الأدبية ، يجعل الأنواع الثلاثة المجردة هي : السرد ، والحوار ، والأغنية .

وظائف الحوار في المسرحية

إن للحوار في المسرحية وظائف خطيرة ، ويقسم « مايلت » و « بتلي » في كتابهما « فن المسرحية » ، هذه الوظائف إلى ضمنية وغير ضمنية . أما الوظيفة غير الضمنية للحوار فهي أنه يروق ويمتع لما فيه من جماليات ، ولكن هذه

الوظيفة ثانوية إزاء الوظائف الفنية المتعددة للحوار ، وأهمها تطوير حادثة المسرحية ، أي جسم أحداثها ، وطريقة ارتباط هذه الأحداث ، ويتم هذا التطوير عن طريق مصاحبة الأفعال التي تقع على خشبة المسرح ، والكشف عن الأفعال التي تقع خارج المسرح ، أو التي تحصل في ماضي المسرحية ، وكذلك الإشارة الى ما يتوقع حدوثه في المستقبل .

والوظيفة الفنية الأخرى للحوار هي الكشف عن الشخصيات بتوضيح أبعادها المظهرية والاجتماعية والنفسية ، وذلك يقتضي أن يكون الحوار مناسبا للشخصية من حيث عمرها مثلا ، ودرجة ثقافتها ، ونوع نفسيتها ، انبساطية كانت أو انطوائية ، حادة أو هادئة ، متفائلة أو متشائمة ، وما الى ذلك من الاختلافات النفسية الأخرى.

مشكلة اللغة في الحوار

إن اللغة هي أداة الحوار المسرحي على الرغم من وجود التمثيل الصامت الذي يظل استثناء لا يخرق القاعدة ، وعلى الرغم من تأكيد المسرح الحديث على الأصوات والأشياء في عروضه الى درجة كبيرة . وفي المسرح العربي تكون لغة الحوار مشكلة كبيرة تفرض نفسها على الشاعر أو الكاتب المسرحي ، وعلى القارىء أو المشاهد ، والدارس الباحث . ومصدر هذه المشكلة وجود ثنائية الفصحى والعامية في اللغة العربية . فانطلاقا من البديهيات الفنية التي تحتمت لأبعاد الشخصيات ، في المسرحية العربية ، أن تتكلم عربية ملائمة لمستواها الاجتماعي والثقافي وتكوينها النفسي ، وهذا يعني أن الفصحى قد تبدو غير مناسبة للشخصيات التي لم تتعلم أو هي محدودة التعليم ، وأن العامية أنسب لها . وتكون النتيجة أن تختلف لغة المسرحيات العربية تبعا لاختلاف العامية في الأقطار العربية المختلفة ، وهو اختلاف كبير يقف حائلا دون التواصل الذي تسعى إليه المسرحية مع مشاهديها وقرائها ، ويظل فاعلية المسرحية محدودة بحدود القطر الذي كتبت بعاميته ، أو أقطار قليلة تفهم عامية ذلك القطر . وكون العامية المصرية بحكم انتشارها الواسع مفهومة في الأقطار العربية جميعها استثناء لا يقاس عليه ، ولا يغير من أبعاد المشكلة المدروسة ولا من النتائج المترتبة عليها .

استخدام الفصحى والعامية معا

لقد فرضت مشكلة اللغة نفسها على الكاتب المسرحي العربي منذ أول تجربة في كتابة المسرحية في العربية ، عام ١٨٤٧ ، وهي تجربة اللبناني مارون النقاش . وذهب الكتاب المسرحيون العرب مذاهب مختلفة في مواجهة هذه المشكلة .
فأما مارون النقاش نفسه فقد رأى أن يستخدم في مسرحيته الأولى « البخيل » الفصحى والعامية معا ، فاختار الفصحى للشخصيات التي تؤهلها خلفيتها الاجتماعية والثقافية لاستخدامها في الحوار ، في حين اختار للشخصيات الأخرى أن تتكلم العامية المحلية للقطر الذي تنتمي إليه ، ثم ريثا الخادمة تتحدث العامية اللبنانية ، وعيسى يتحدث العامية المصرية حين يتنكر بزي كاتب مصري ، ويتحدث خالي وناصر كما يتحدث أتراك اللوند المرتزقة بالعربية . والى ذلك أشار النقاش نفسه في تقديمه مسرحية « البخيل » ، ووثق لذلك محمد يوسف نجم .

وأخذ بالطريقة نفسها ميخائيل نعيمة من لبنان ، في مسرحيته « الآباء والبنون » التي يعالج فيها صراع الجديد والقديم متمثلا في صراع الأبناء والآباء . وقد كتب هذه المسرحية عام ١٩١٦ ، ونشرها في كتاب عام ١٩١٧ . وقد ناقش هو الآخر قضية لغة الحوار في مقدمة كتبها لمسرحيته ، وبين أنه لم يجد حلا للمشكلة سوى

الجمع بين الفصحى للمتعلمين والعامية لغير المتعلمين ، وزاد على ذلك أن جعل إحدى الشخصيات تتكلم العامية وإن لم تكن أمية تماما ، لأن العامية توافق طباع تلك الشخصية ومداركها ، وأنه مال الى العامية في حديث الشخصيات المتعلمة مع غير المتعلمة « في بعض المشاهد التي تليق بها العامية أكثر من الفصحى » دون أن يحدد طبيعة هذه المشاهد .

وهناك بعض المسرحيات من النتاج المسرحي المعاصر تجمع بين الفصحى والعامية ، منها على سبيل المثال : « بلدي يابلدي » لرشاد رشدي ، « ده باليل ياقمر » لنجيب سرور التي استخدم في استهلالها (البرولوج) شعرا حرا بالفصحى والعامية في سائرها . « الواقد » ، « الخطاب » ، « ليلة مصرع جيفارا » لميخائيل رومان . وكذلك « النار والزيتون » لألفريد فرج . والصفحات الدرامية التي كتبها سمان عشور واستمدها من تاريخ الجبرتي وعنونها « شعب مصر » . ولم تشر أي من المسرحيات الأخيرة الى مشكلة الفصحى والعامية أو تبرر استخدامهما معا .

الفصحى في المسرحية العربية

مازالت الفصحى وسيلة تعبير لدى الكثير من كتّاب المسرح العربي ، وقد اتضح هذا الاتجاه منذ بداية التجربة المسرحية العربية في انتاج الرائد الثاني أبي خليل القباني من سوريا ، فقد استخدم الفصحى في مسرحياته ، ما كان منها تاريخيا أو مستمدا من تراث القصص الشعبي أو مقتبسا أو مترجما . كذلك فعل سليم النقاش ونجيب الحداد فيما ترجما أو ألفا من مسرحيات ، والشيخ سلامة حجازي في مسرحه الغنائي فقد كان لفرقته مسؤول خاص عن اللغة مهمته ضبط الألفاظ ضبطا صحيحا ، ومراعاة أداء الممثلين لها أداء فصيحا لايشوبه لحن . وحرص علي أحمد باكثير على استخدام الفصحى في المسرحيات الكثيرة التي كتبها ، والتي تنوعت ما بين تاريخية وسياسية واجتماعية معاصرة . واستمسك توفيق الحكيم بالفصحى في جل مسرحياته على اختلاف اتجاهاتها الفنية ، ولم يركن الى العامية إلا في القليل منها . أما في المسرحيات العراقية والمسرحيات السورية فتشكل الفصحى تيارا غالبا .

إن الفصحى بالطريقة التي استخدمت بها في المسرحية العربية ، قاصرة عن القيام بالمهمات الفنية المتوقعة منها ، وهو قصور ليس في طبيعة الفصحى نفسها ، لكن الكتّاب المسرحيين أحيانا ينطقون الشخصيات فصحى لا توجد إلا على صفحات الكتب القديمة ، وتضطرهم غرابة بعض المفردات إلى شرحها في هوامش ، وما يقال عن المفردات يصدق على التعابير وتكوين الجمل والصور والأخيلة . إن ذلك كله يبعد المسرحية عن روح العصر ويؤدي الى إنصراف الجمهور عنها ، فلا بد لكل مسرحية ، حتى التاريخية ، من أن تكون صادرة عن روح العصر ومنسجمة معه . والقصور الآخر يبدو في استخدام فصحى واحدة لشخصيات المسرحية جميعها مهما اختلفت مستوياتها الاجتماعية والثقافية ، فيبدو غير المتعلم أو قليل التعليم بعيدا عن المعقولية والواقع وهو ينطق فصحى غريبة لا يستخدمها حتى مثقفو العصر .

اللهجات العامية في المسرحية العربية

التزم الرائد الثالث للمسرح العربي يعقوب صنوع من مصر ، بالعامية لغة للحوار في جميع مسرحياته التي كتبها وقدّمها على المسرح المصري ابتداء من عام ١٨٧٠ ، وكان هدفه من تأسيس مسرحه ، كما ورد عنه ، إرشاد مواطنيه الى الطريق الذي يؤدي بهم الى الرقي والمدنية ، ولعل هذا دفعه لاختيار العامية لتناسب مدارك

الجمهور المصري حينذاك ، وتناسب شخصيات مسرحياته ووضعياتها ، وكانت جميعها مستمدة من واقع المجتمع المصري المعاصر في وقته .

وتواصل استخدام العامية في الحوار لدى عدد من كتاب المسرح المصري ممن جاء بعد صنوع ، وكذلك استعملها محمد عثمان جلال فيما ترجمه عن الفرنسية ، أو مصّره ، من ملاهي موليير ومآسي راسين ، حيث اختار الزجل المصري وسيطا ، وكذلك في المسرحية الوحيدة التي ألفها . ويبرر المترجم اختياره الزجل بأنه يتبع أصلها المنظوم ، ويسهل نظمها بفهمه العموم ، وأن اللغة الدارجة أنسب هذا المقام ، وأوقع في النفوس عند الخواص والعوام ، ولكنه لم يدلل على رأيه ذلك فنيا .

وآثر الكاتب المسرحي المصري محمد تيمور العامية في جميع ما كتبه من مسرحياته إلا مسرحيته الأولى التي كتبها بالفصحى ثم أعاد كتابتها بالعامية لأنه وجد العامية ، كما يقول ، أكثر مطابقة للحقيقة والواقع . وتابعه في ذلك ، في



مصر أيضا ، ابراهيم رمزي ، وعباس علام في بعض مسرحياته معللا ما فعله بأنه فضل أن يتوجه الى الشعب مستخدما لغته لكي يتمكن من التصدي للملاهي التي يعرض فيها ما يسيء الى أخلاق الناس ويفسد آدابهم . كذلك استخدم سيد درويش ومنيرة المهدية العامية في مسرحهما الغنائي ، والريحاني في ملاهيه وهزلياته ، وعلي الكسار الذي ذكر أنه يريد مخاطبة الشعب بلغة يفهمها ، لكي يمكنه من معرفة أمراضه ووسائل علاجها . وقد لجأ إلى العامية يوسف وهبي في عدد من مسرحياته الجادة ، ومحمود تيمور في مسرحياته الواقعية المعاصرة ، وتوفيق الحكيم في بعض مسرحياته الأولى ، ومنها ، « المرأة الجديدة » (١٩٢٣) ، « حياة تحطمت » (١٩٣٠) ، وبعض مسرحياته ذات الفصل الواحد ، مثال : « الزمار » (١٩٣٢) ، « جنسنا اللطيف » (١٩٣٥) . وشهد النصف الثاني من الخمسينيات مرحلة جديدة في مسيرة المسرح المصري بدأت بعرض مسرحية « الناس اللي تحت » لنعمان عاشور ، وكان ذلك عام ١٩٥٦ . ومن أهم مميزات هذه المرحلة كما حددها الناقد جلال العشري ، التصاقها بالواقع المصري المعاصر في موضوعاتها وشخصياتها وحلولها ، ولذلك استبدلت الفصحى بالعامية ، وظهر جيل من كتاب المسرح المصري ، هو جيل مابعد ثورة ١٩٥٢ ، يستخدم العامية فيما يكتب من مسرحيات جادة ملتزمة ، تتمتع بالنضج الفني الذي لم يتوافر لكثير من المسرحيات التي سبقتها . وترك لنا مسرح الستينيات في مصر تراثا مسرحيا كبيرا كانت العامية لغة حواره ، وأبرز كتابه : نعمان عاشور ، سعد الدين وهبة ، الفريد فرج ، يوسف ادريس ، رشاد رشدي ، ميخائيل رومان ، نجيب سرور ، محمود دياب ، علي سالم

وآخرون ممن واصل معظمهم الكتابة في السبعينات وبعضهم في الثمانينات .

وفي العراق كتب يوسف العاني للمسرح العراقي ، منذ بداية الخمسينات ، مسرحيات ملتزمة تعالج قضايا سياسية واجتماعية من واقع العراق المعاصر حين كتابتها ، وهي مسرحيات كما يذكر العاني نفسه ، كتبت لتمثل وتُمثّلت بالفعل ، ولذلك جعل المؤلف كلا من الشخصية المسرحية والجمهور موضع اهتمامه .

إن إعادة كتابة الحوار بالفصحى عند نشر المسرحية ليس حلا لمشكلة لغة الحوار في المسرحية العربية ، فمن البديهيات المعروفة أن المسرحية تشاهد ، ولا يكتمل وجودها إلا بعرضها على خشبة المسرح . وإذن ، فمازالت المشكلة قائمة ، وستظل المسرحية المكتوبة بالعامية مفقودة الفاعلية بسبب عاميتها تلك . وبالإضافة الى ذلك ، فإن إعادة الكتابة تتطلب من الكاتب جهدا فنيا ووقتا ، كما أن من العبث واللامعقول أن يكتب الكاتب نسختين من كل مسرحية يؤلفها ، ولابد أنه غير مقتنع بإحداهما .

وفي المسرح الكويتي الجهد واضح في معالجة القضايا الاجتماعية المحلية والمعاصرة ، مما أدى بكتّاب هذا النوع من المسرحيات الى اتخاذ العامية لغة الحوار . وتطغى العامية على المسرح الجزائري ، وتظهر واضحة في النتاج المسرحي في تونس والمغرب .

اللغة الثالثة

استخدم توفيق الحكيم الفصحى في أغلب مسرحياته والعامية في القليل منها ، ولكنه في مسرحية « الصفقة » ومن بعدها « الورطة » جرّب استخدام لغة ثالثة ، كما يدعوها ويحددها بأنها لغة التخاطب في الحياة اليومية ، ولكنها مع ذلك قريبة الى العربية الصحيحة ، وهي لن تحتاج عند التمثيل الى نقلها الى العامية ، وبذلك لن يكون للمسرحية نصان بل نص واحد ، ينطقه الممثل عاميا ويقرؤه القارىء فصيحا .

إن ما يقترحه الحكيم ليس بقادر على أن يحقق للمسرحية العربية شمولية يحول استخدام العامية دون تحققها ، فإن الارتقاء بلغة التخاطب وتقريبها من الفصحى ، في مصر وحدها ، بالمقترحات التي أشار إليها الحكيم يتطلب جهدا ووقتا من الأدباء والدارسين للاتفاق على الرخص والاختزالات والتغيرات المطلوبة لإيجاد اللغة الجديدة ، وإلا فإن كل كاتب سيجتهد في ذلك ، وستكون ، في مصر وحدها ، لغات لا لغة واحدة جديدة ، ويصير الصدع كسرا يحتاج أن يُرأب . إن اللغة الثالثة الجديدة حين تظهر ، ستكون لغة المسرحيات المصرية ، لأنها قائمة ، أساسا ، على التقريب بين استعمالات العامية المصرية والفصحى ، ولأن لكل قطر عربي عاميته التي تختلف عن العاميات الأخرى في مفرداتها وتراكيبها وتكوين جملها ، ولذلك فإن إيجاد لغة ثالثة يقتضي وقتا وجهدا في كل قطر عربي ، أو في أحسن الأحوال في أقطار قليلة تتقارب عامياتها ، للاتفاق على التجاوزات والاختزالات المطلوبة . وعلى الرغم من ذلك ستظهر لغات جديدة بدلا من لغة واحدة منشودة ، بالإضافة الى أن اللغات الثالثة ستكون لغات مصنوعة وليست لغات طبيعية تفرضها احتياجات الواقع ، وسيظل للمسرح العربي ، بعد تلك الجهود كلها ، إقليميا لا يحقق التواصل الشامل المرجو له . وقد ناقش محمد غنيمي هلال ، في كتابه « النقد الأدبي الحديث » اللغة الثالثة التي استخدمها الحكيم في مسرحيته « الصفقة » ، وأشار الى ركاكة العبارات وعاميتها .

إن الدليل على قصور لغة الحكيم الثالثة يظهر في أن الحكيم نفسه لم يستخدمها في غير مسرحيته

المذكورتين سابقا ، ولم يستخدمها سواه من الكتاب المسرحيين في مصر على الرغم من مضي زمن طويل على دعوة الحكيم إليها ، فظهرت مسرحية « الصفقة » عام ١٩٥٦ ـ وكذلك لم تقم في الأقطار العربية الأخرى أي محاولة نظرية أو جهود عملية لإيجاد لغة ثالثة بديلة .

مشكلة بلا حل ؟

إذن ، هل هي مشكلة دون حل ؟ بدءا ، ينبغي الإشارة الى أن المسرح ، مثل أي فن آخر ليس الواقع نفسه ، وإنما هو فن وصنعة ، وله جمالياته المعروفة . وليست مهمة الفن ـ حتى الواقعي منه ـ نسخ الواقع وإنما إختلاؤه وتفسيره مستخدما في ذلك وسائل فنية مختلفة ، ومستعينا بخيال الجمهور الذي يسد الفراغات ويرى في المسرح ماقد تقصر طاقات العرض المسرحي عن توفيره . وكما يتقبل الجمهور مشهد غابة مرسومة على ستارة على أنها غابة حقيقية تجري فيها الأحداث ، وكما يستسيغ الجمهور نوعا معينا من الإنارة ويجد فيها ضوء القمر دونما قمر حقيقي ، كذلك ينبغي التعامل مع لغة الحوار في المسرحية على أنها لغة فنية لا لغة الواقع نفسه كما هي ، وتلك حقيقة يتفق عليها الباحثون .

إن استخدام الفصحى « المحدثة » المعاصرة في الحوار يمكن المسرح العربي من التغلب على المشكلة الفنية ، مشكلة مناسبة اللغة للشخصية ، وعلى ما يسببه استخدام العامية من محدودية وانغلاق ، ويحقق كذلك الارتفاع بلغة الجمهور ، فليس المفروض في المسرح أن يهبط بالجمهور ، وإنما يفترض فيه أن يرقى بالجمهور وهو يمتعه ويسليه ، وأن يسمو بمشاعره وأفكاره ولغته . وذلك ما حققته وتحققه المسارح الجيدة في أنحاء العالم . وما يقال عن المسرح يصدق على وسائل الاتصال الجماهيري ، لاسيما التلفاز .

إن مشكلة لغة الحوار في المسرح العربي جزء من مشكلة أكبر هي الابتعاد عن الفصحى في التخاطب والحوار حتى في أوساط المثقفين وفي المناسبات الثقافية ، بل وحتى في التدريس على اختلاف مستوياته . وفي دروس اللغة العربية نفسها . وهذه المشكلة على خطورتها ، لم تحظ بالاهتمام والعناية اللازمين ، ولم تبذل جهود جادة من أجل البدء بتجاوزها . لن يكون إحلال الفصحى « المحدثة » المعاصرة على العامية أمرا ميسورا ، ولكن يمكن تحقيق الصبر حين يتوفر الاعتقاد بأهمية الهدف والاستعداد للعمل ، ألا نبدأ ؟ . ☐



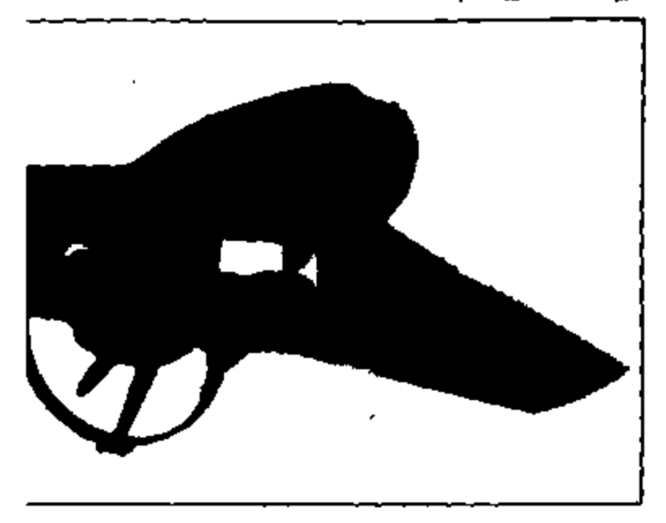
نابليون

زمن نابليون

سئل برنارد شو مرة : في أي عصر كنت تفضل أن تعيش ؟
فأجاب : في عصر الامبراطورية الأولى ، ففي ذلك الزمان كان رجل واحد يزعم أنه نابليون .

أنا ضد الشرح الطويل ، فهو يخدع إما من يقوم به أو من يصغي إليه ، وعادة مايخدع الاثنين معا .

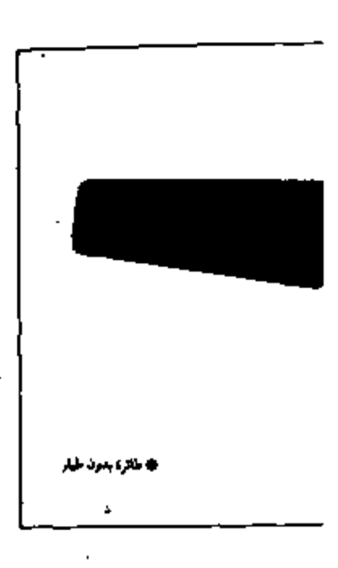
« غوته »



طائرة ركاب بدون طيّار .. وبلا وقود !!

بقلم : سعد شعبان

تحقق في كندا - في نهاية عام ١٩٨٧ - إنجاز سيكون له ما بعده في عالمي الطيران والفضاء . فقد أمكن تحليق طائرة بلا وقود ولا طيار ، وأخذت حركتها من محرك كهربائي على متنها وهذا يعمل بطاقة اشعاعية تصل اليه من الأرض . فتحركت الأحلام لتسيير طائرة ركاب بلا وقود ، وشطحت الأحلام الى حد الاستغناء عن بعض الأقمار الصناعية وتصميم صاروخ فضائي يعمل بهذه الاشعاعات .



طائرة بدون طيار

ليس المهم ببعيد عندما انقطع تدفق النفط عن أوروبا عام ١٩٧٣ إثر المقاطعة العربية عندما اشتعلت الحرب بين العرب و «اسرائيل» ، ووراءها ظهرت الطوابير الطويلة أمام محطات البنزين ، وتكرر المشهد في أغلب شوارع المدن الأمريكية والأوروبية ، وتصاعد الحديث عن أزمة الطاقة ، ومنذ ذلك الحين بدأ الغرب يفكر جديا في صور الطاقة البديلة للذهب الأسود . وجدّ العلماء في بحوثهم سعيا وراء الاستقلال والبحث عن صورة أرخص للطاقة ظل العلماء يحلمون بها سنوات طوالا ، ولم يجدوا أيسر ولا أرخص من الطاقة الشمسية ، باعتبارها مصدرا للحياة توجد في المياه بلا ثمن ، وكذلك من البحوث الرائدة في هذا المجال ، بحث يهدف إلى تسييل غاز الهيدروجين الموجود في الماء وحرقه ، ليحقق هدفين هما سهولة المصدر باعتباره أحد مكونات الماء ، وسهولة الاحتراق لكونه غازا جيد الاحتراق ، لكنه يحتاج للأوكسجين كمؤكسد ، وهو أيضا موجود في الماء . وبوجودها تحققت أحلام علماء الطيران ، لأن مثل هذا المصدر للطاقة لو تحقق لأمكن أن تطير الطائرة بلا توقف . فهي تستمد الهيدروجين من الوسط الذي تطير فيه ، ولكن ذلك يستلزم أن تتغير تصميمات محركات الطائرات ، وقد يتوارى بعضها إلى عالم النسيان ، حتى تتلاءم مع الوقود الجديد . ومازالت بحوث العلماء ماضية في هذا السبيل وقد تتحقق يوما ما .

طائرة بلا طيار :

على نفس المسار ظهرت في أواخر الحرب العالمية الثانية الطائرات الموجهة اليكترونيا التي تطير بلا طيار . شاع استخدامها في الحرب الكورية ثم حرب فيتنام . ومازالت تحقق كثيرا من الأهداف العسكرية دون التضحية بطيار لتشغيلها ، والإقلال من مخاطر تعرض الطائرة للدفاعات الجوية المعادية . وأغلب هذه الاستخدامات وأهمها الاستطلاع العسكري وكشف الأهداف المعادية ، أو يجري أمثل التجسس لمعرفة مايدور لدى الأعداء أو تبين تحركاتهم .

لذلك تجهز الطائرات التي بلا طيارين بأجهزة التصوير اللازمة لتصوير الأهداف المعادية التي تطير فوقها فإذا كان الوقت نهارا ، استخدمت آلات التصوير العادية . وإذا تحول الوقت إلى الليل وحل الظلام ، استخدمت آلات تصوير تعمل بالأشعة تحت الحمراء ، أو تستخدم أيضا آلات التصوير التليفزيونية الأكثر دقة والأكبر مدى .

ولأن الطائرة بلا طيار وليس مفروضا أن تعود إلى أراضيها ـ وغالبا لا يتم لها ذلك ـ فإنه يلزم متابعتها وتوجيهها منذ وقت الإقلاع حتى تخترق مجال الأعداء وتقوم بمهامها الاستطلاعية .

ولذلك توضع على متن هذه الطائرات أجهزة اليكترونية تتعامل مع محطات التوجيه الأرضية التي تحقق لها سلامة الطريق المختار بعيدا عن الدفاعات

للقنابل . كما تحقق التحكم في سرعتها وارتفاعها وتغيير اتجاهها من أجل المناورة في انجاز مهامها . كما تقوم الأجهزة الالكترونية أيضا بمهمة نقل الصور لاسلكيا الى محطات المتابعة ، لأن عودة الطائرة ليست مضمونة بأفلام التصوير .

بذلك تتحقق سرعة نقل المعلومات في حينها ، وهو أمر لم يكن متاحا عند الاعتماد على الاستطلاع بواسطة الطائرات التي يقودها طيارون . لأن المعلومات كانت تأتي متأخرة بضع ساعات تستغرق في الطيران والعودة وتحميض الأفلام وتكبيرها ، ثم تفسير الصور ونقلها الى حيث يستفاد منها .

لقد تعددت استخدامات الطائرة بلا طيار فأصبح لها - الى جانب الاستطلاع والتصوير - أدوار جديدة في مجالات الاستطلاع الالكتروني والتشويش على الرادارات العسكرية . أو حمل حمولات ناسفة لاستغلالها أو السقوط بها فوق أهداف معادية محددة وتدميرها .

كما استخدمت هذه الطائرات أيضا لتضليل الصواريخ المعادية ، باستغلالها سطوحاً معدنية كأوراق القصدير أو عبوات معينة تحمل أليافا معدنية تنعكس عليها نبضات الرادار فتحدد لها أهدافا وهمية ، أو لتكشف مواقع انطلاق هذه الصواريخ .

الالكترونيات والميكروويف :

ومع تقدم تقنية الالكترونيات ، تقدمت صناعة أجهزة توجيه الطائرات بلا طيارين ، وأصبحت أكثر دقة وأبعد مدى . ومع تقدم استخدام الحواسب الالكترونية زودت كثير من الطائرات بأجهزة « الطيار الآلي » سواء الطائرات العسكرية أو المدنية لتستغني عن التعامل مع المحطات الأرضية . فالطيار الآلي يقوم بمهام التحكم في الاقلاع والتوجيه والمناورة والتصوير والتشويش والاستقامة والتحكم في كل شيء حتى لحظة الهبوط .

ومن صور التقدم في تقنية الالكترونيات عامة بعد الحرب العالمية الثانية ، تركيز الأشعة اللاسلكية في حزم ضيقة للتحكم في اتجاهاتها وكذلك بزيادة ترددها .

والمعروف أن كل الموجات اللاسلكية هي في طبيعتها موجات كهرو - مغناطيسية تنتقل في الهواء أو في الفضاء بسرعة الضوء التي تساوي ٣٠٠ ألف كيلو متر في الثانية الواحدة . وكلما زاد تردد الموجات اللاسلكية قصرت أطوالها وتقلص مدى انتشارها . وتقاس الترددات بوحدات يطلق عليها اسم « الكيلو هرتز » أي (الألف تردد في الثانية) أو « ميجاهرتز » أي (مليون تردد في الثانية) .

لقد تمثل هذا التقدم الالكتروني في ابتكار الرادار في نهاية الحرب العالمية الثانية ، وأصبح قادرا على اكتشاف مواقع الطائرات المعادية ، الأمر الذي كان له أثره في وضع نهاية للغارات التي ركزها الألمان فوق الجزيرة البريطانية . بل وفي وضع نهاية للحرب ، لأن تقنية الرادار ظلت سرا لدى المعسكر الغربي حتى وضعت الحرب أوزارها .

ولم يتوقف التقدم في زيادة الترددات على الرادار ، فقد ظهرت الى الوجود محطات الاتصالات المتعددة القنوات التي تطورت فيما بعد وأصبحت محطات « الميكروويف » أي الترددات متناهية القصر .

لقد أصبحت موجات « الميكروويف » قادرة على تحقيق التوجيه الدقيق نظرا لشدة تركيزها ، والانتقال في حزم موازية لسطح الأرض . وتحتاج أشعة « الميكروويف » الى هوائيات معدنية طبقية الشكل لنقلها من نقطة الارسال الى نقطة الاستقبال . ولقد نجحت موجات « الميكروويف » في تحقيق فتحا جديدا في عالم الاتصالات لأنه يمكن أن تحمل عليها « آلاف المكالمات الهاتفية والإشارات .

وفي حقبة السبعينيات أنفقت الولايات المتحدة الأمريكية ما يزيد على ٢٠ مليون دولار ، لوضع خطة تستهدف تحويل الطاقة الشمسية الى طاقة كهربية على منصات كبيرة المساحة تحلق في الفضاء وتستهدف البحوث نقل هذه الطاقة بعد ذلك من الفضاء وبثها الى الأرض بأشعة « الميكروويف » ، لكن مازالت هذه البحوث داخل المعامل ، وتلقى

كثيرا من الاعتراض لأنها ستزيد تلوث الغلاف الجوي بالاشعاعات .

المفاجأة الكندية :

في ٤ سبتمبر عام ١٩٨٧ تحقق انجاز جديد في عالم الطيران سيكون له أثره في المستقبل ، إذ أمكن لستة من الباحثين الكنديين في عالم الطيران اطلاق طائرة صغيرة في تجربة رائدة . ووجه التجديد أنها تطير بلا طيار وأيضا بلا وقود .

ولقد ارتفعت الطائرة في الهواء بدفع مروحة هوائية . واستطاعت أن تحلق على ارتفاع مئات قليلة من الأمتار فوق الغابات الكندية بسرعة بلغت ٣٥ كيلو مترا في الساعة .

ومن الناحية النظرية فإنه كان بوسع هذه الطائرة أن تظل في الجو لعدة أيام أو أسابيع أو حتى شهور ، لو أراد لها الباحثون ذلك . لأنها لم تكن تحمل وقودا على الاطلاق ، ولكن تأتيها الطاقة من شعاع « ميكروويف » يرسل من الأرض .



● نموذج الطائرة

لقد كانت الطائرة نموذجا صغيرا ، طول جناحيها لا يزيد عن خمسة أمتار .

وقد قام الباحث الكندي « جو شلزاك » وزملاؤه في مركز أبحاث الاتصالات الكندي بتصميم هذا النموذج الذي يمكن اعتباره « طائرة بلا طيار » لكي يقوم بدور قمر صناعي للاتصالات . أي لكي ينقل الاذاعات المسموعة والمرئية التليفزيونية الى مناطق نائية لتوفير النفقات الباهظة للأقمار الصناعية .

والسؤال الذي يطرح نفسه هو . كيف أمكن أن يطير هذا النموذج بدون محرك للاحتراق ؟ .

والحقيقة أن عملية توجيهه والتحكم في اتجاهه تمت باستخدام بطاقة الشعاعية بواسطة موجات « ميكروويف » وجهت اليه من الأرض في اتجاه رأسي الى أعلى . حيث استقبلتها هوائيات مسطحة مستطيلة الشكل ثبتت أسفل هيكل الطائرة وتحت أجنحتها . وقد كانت هذه الهوائيات بتقل هذه الطاقة لتحول داخل النموذج الى تيار كهربي يعمل على تغذية المحرك الكهربي الذي يمد المروحة بالحركة الميكانيكية اللازمة لدارنها .

وفي المستقبل القريب سوف يطور الباحثون النموذج المصغر للطائرة التي حلقت في سبتمبر ١٩٨٧ ، الى نموذج كبير طوله ٣٥ مترا . وسيظل هذا النموذج المطور يطير في الهواء لعدة شهور ، معلقا فوق حقل من الهوائيات تغطيه عشرات الأمتار . ويقدر أنه سيستطيع أن يصعد حتى ارتفاع ١٩ كيلو مترا . وعندئذ سيكون في وسع هذه الطائرة نقل اذاعات المذياع والتلفاز وبثها فوق مساحة واسعة تعادل ولاية أمريكية كاملة . ويمكن أن يبقى هذا النموذج الذي لا يقل في حجمه عن طائرة عادية الى أجل غير مسمى .

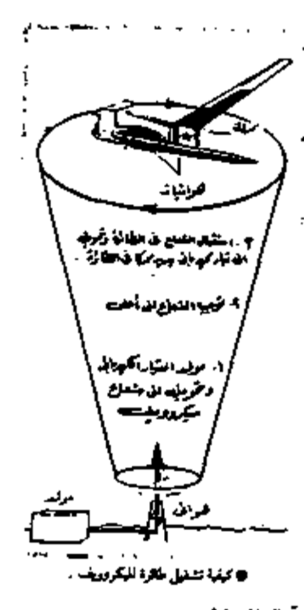
وكالة ناسا تخطط أيضا :

عقب هذه التجربة الكندية الرائدة ، شرع المسئولون في وكالة الفضاء الأمريكية « ناسا » في

عدد كبير من الجامعات الأمريكية ، في صنع طائرات بدون طيارين ، لكي تعمل « بالميكروويف » . والهدف الذي يتطلعون له هو أن تتمكن هذه الطائرة من أداء مهام علمية في أعالي الغلاف الجوي ومشارف الفضاء الخارجي . وربما تمتد المهام الى الأعمال العسكرية كمثل المراقبة والتصوير ، على غرار ما تقوم به الأقمار الصناعية التي تعمل في المدارات المنخفضة لأغراض التجسس . ولاشك أن مثل هذا الإنجاز سيكون أقل تكلفة من اطلاق قمر صناعي للقيام بنفس المهام ، لأن اطلاق القمر يحتاج لصاروخ ضخم وتجهيز قاعدة اطلاق ، ومحطات توجيه .

وقد أدرك الباحثون الأمريكيون أن طائرة « الميكروويف » يمكن أن تقوم بمهام لا تستطيعها الطائرة العادية ، مثل عمليات الاستطلاع من ارتفاعات عالية ، ولهذا يمكن أن تزود طائرة « الميكروويف » بكاميرات للتصوير المتنوع . ويمكن أن تمتد أغراض هذا الاستطلاع وتمتد الى غير الأغراض العسكرية مثل كشف المهربين ، ومراقبة زوارق الصيد على السواحل ، ومراقبة الأحوال الزراعية وتحديد أماكن الحرائق في الغابات ، وأحوال الطقس المحلية .

لقد تعاقدت وزارة الطاقة الأمريكية مع إحدى الشركات لتصميم طائرة « ميكروويف » تستطيع التحليق على ارتفاع ٢٢ كيلومترا لدراسة تجمع غاز ثاني أوكسيد الكربون ، والظاهرة جميعها تعرف في الأوساط العلمية باسم « تأثير المحميات الزراعية » التي نطلق عليها اسم (الصوبة) وذلك لاستكمال دراسة وتأثير هذه المحميات على الغلاف الجوي ، وزيادة غاز ثاني أوكسيد الكربون فيه ، وتأثير ذلك على التغيرات التي تطرأ على طقس الأرض . وقد اقترح مهندسو التصميم صنع طائرة ميكروويف يبلغ طول جناحها ٤٥ مترا ، ويمكنها حمل ٢٥٠ كيلو جراما من الأجهزة . ليكون بوسعها البقاء في الفضاء إلى أجل غير مسمى وإذا تعطلت الطاقة الصادرة إليها من حقل الهوائيات فيمكن أن يقوم محرك حوّل بالعمل بدلا منها .



● كيفية تشغيل طائرة الميكروويف .

آمال المستقبل :

بعد نجاح تجربة طائرة « الميكروويف » ، اتجه خيال العلماء الى تطوير هذا النجاح والقفز الى انجازات أكثر تقدما . وعلى سبيل المثال :

● إن وجود طائرة « الميكروويف » يعني أنه في المستقبل القريب ، سيمكن لأي دولة من دول العالم الثالث تتوافر لديها طاقة كهربائية رخيصة أن تحصل على مايعادل قمرا صناعيا للاتصالات .

● يتصور البعض إمكان استخدام « الميكروويف » في المستقبل في أغراض متطورة أكثر طموحا من امداد طائرة بالطاقة ، كاطلاق « سفينة فضاء » أو « محطة فضائية » الى مدارات مختلفة . ويشجع على ذلك

ما وصلت اليه تقنية المواد من التقدم في تخليق مواد خفيفة الوزن ، وما تحقق من نجاح فعلي في صناعة طائرة استطاعت خلال عام ١٩٨٦ الدوران حول الكرة الأرضية في فترة واحدة دون حاجة الى التزود بالوقود .

● والمدى هذا النجاح يعني أنه من الممكن مستقبلا أن تحلق في السماء طائرة « ميكروويف » ذات حجم ضخم ، وتظل في الهواء معلقة لمدة عشر سنوات لتقوم بأي مهام علمية أو عسكرية .

● ومن الناحية النظرية فإنه يمكن لطائرة « الميكروويف » أن تحمل ركابا ، ولكن سيصبح آنذاك متابعة مسار الطائرة لامدادها بطاقة « الميكروويف » بالتتابع كل مائتي كيلومتر تقريبا ، من محطات أرضية . لأن ذلك سيكون بمثابة ترخيص من استخدام الطائرات الحالية التي تلتهم كميات هائلة من البنزين .

● يقترح بعض الباحثين تصميم « صاروخ فضائي » يعمل « بالميكروويف » ، يمكن استخدامه في رفع الأقمار الصناعية من مدار منخفض الى مدار أعلى ، حيث يمكن تلك الأقمار أن تعمل في أغراض البث المباشر . لكن ذلك سيتطلب أجهزة إرسال لأشعة « الميكروويف » تكون بالغة القوة . وهو ما يتصور بعض العلماء أنه سيكون على تطوير أبحاثه برنامج « حرب النجوم » الأمريكي .

حفنة من المصاعب :

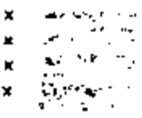
شأن كل اكتشاف جديد ، يكون هناك جانب براق هو الإنجاز الذي يحققه ، لكن يقف أمامه عدد من المصاعب ، أو قد تكون له آثار ضارة .

وبالنسبة لطائرة « الميكروويف » توجد مخاطر بيئية وصحية عديدة يلزم الإشارة اليها .

فكل لون من ألوان الإشعاعات له مخاطر على صحة الإنسان التي تزيد من احتمالات الإصابة بالسرطان . ولاشك أن تلك مدد من محطات « الميكروويف » التي ترسل طاقاتها في الهواء ، ستكون بمثابة مصدر جديد من مصادر تلوث البيئة بالاشعاعات . وعلماء البيئة يشعرون بكثير من القلق لمصير اللذين سيعيشون بالقرب من حقول هوائيات « الميكروويف » ، وخاصة أن بعض الافتراضات تصور أن مساحة حقل الهوائيات اللازم ستكون في مساحة ملعب لكرة القدم . فكيف سيمكن لجيران هذا الحقل العيش الى جواره دون مخاطر ؟ .

ولكن المتحمسين للمشروع يقولون بأنه من الممكن اقامة مثل هذه الحقول في أماكن نائية بعيدا عن التجمعات السكانية .

وعلى الرغم من أن المواد الخفيفة الوزن قد أصبحت حقيقة واقعة ، فإن هناك مصاعب أيضا في تصنيعها ، واستخدامها في طائرات « الميكروويف » ، أو صواريخ « الميكروويف » ، لأنها ستستغرق وقتا طويلا حتى تصل الى مقدرات عالية . إلا أن انخفاض تكاليفها الى درجة كبيرة تعادل ١ الى ٢٠ من الثمن ، أمر يغري بالتفكير ، ومحاولة تذليل المصاعب . □



× يقولون إنها دينامو بشري .. تشحن كل شيء بكهربائها .
× الزمن حائك ثياب تخصص في اجراء التعديلات .
× فيالق تجدها في الحياة بوفرة ، النصيحة الجيدة ، والمال السيء .
× الأفكار كالبراغيث ، تقفز من إنسان لآخر ، ولكنها لا تلسع كل إنسان .



بقلم : محمود المراغي

"السقا" مشكلة سياسية !

من يصدق انه ما زال في مدن عالمنا الثالث من يتعذر عليه الحصول على مياه الشرب فيلجأ للسقاء ويدفع لضعاف ما يدفعه من يتمتع بالمياه الصالحة للشرب المتدفقة عبر الانابيب؟

من يصدق ان نسبة هؤلاء . ووفقا لاحصاءات البنك الدولي . تصل الى ٢٢٪ من سكان الحضر في الدول النامية، وان النسبة ترتفع الى ٣٥٪ في افريقيا جنوب الصحراء!!

الظاهرة رصدتها المنظمات العالمية، وقالت انه نتيجة لذلك يدفع المواطن في نيجيريا للسقايين عشرة اضعاف ما يدفعه الآخرون الذين تصلهم المياه الى منازلهم. وترتفع النسبة الى ١٥ ضعفا في بيرو، وستين ضعفا في اندونيسيا. وتصل كحد اقصى . الى مائة ضعف في هاييتي!

الظاهرة مقلقة. ونحن على ابواب القرن الواحد والعشرين.. ومع ذلك فهي جزء من ظاهرة اوسع اسمها: مشكلة المرافق والخدمات في الدول النامية .

بعد الاستقلال

معظم هذه الدول التي نطلق عليها اسم الدول النامية، تمثل ضمن الدول حديثة الاستقلال.. ولهذه الدول سماتها.

.. فهي في العادة فقيرة في الامكانيات اللازمة للبناء.

وفقيرة في المرافق التي تمثل ما نسميه بنية اساسية، كالماء والكهرباء والطرق والصرف الصحي .

. وفي نفس الوقت.. فهي غنية بالتطلعات، حتى اطلق علماء الادارة والتنمية كلمة ثورة التطلعات او ثورة التوقعات تعبيرا عن المناخ السائد في الدول حديثة الاستقلال والتي تعتقد شعوبها انه بالتخلص من الاستعمار والسيطرة على الثروة الوطنية، لا بد ان يتحسن مستوى المعيشة ويجني الفرد ثمار الاستقلال.

في مثل هذه الاحوال يكون الاندفاع لبناء المرافق الاساسية واردا.. ويكون الضغط الجماهيري شديدا لانجاز المزيد من الخدمات، والتي يجري تقديمها في العادة بتمويل حكومي، وباقل من التكلفة.

نتائج متباينة

تختلف نتائج هذه السياسة من بلد الى اخر وفق ظروفه الاقتصادية، وتعداد سكانه، وحالة المرافق والخدمات.. ولكن وفي معظم الاحوال تمضي السنوات والصورة على هذا النحو :

.. المرافق والخدمات دون حد الاشباع.

.. القروض الخارجية يجري توجيهها للمرافق الداخلية غير المنتجة ماليا، فتتزايد القروض وتتزايد الأعباء، خصما من الدخل الجاري المنخفض في العادة.

.. الانفاق لا يقابله انتاج سلعي، او انتاج خدمات للبيع بالسعر الاقتصادي لتكون

النتيجة: المزيد من التضخم وارتفاع الأسعار.

.. تتم المرافق في كثير من الحالات اعتمادا على الخبرة والأموال الأجنبية، فتأتي تكلفتها أضعاف التكلفة الحقيقية.

ولكن.. كيف تواجه الدول ذلك، وهي لا تستطيع إلغاء التزامها تجاه مواطنيها؟

- في العديد من الحالات.. كان الحل ماليا، وإداريا، وفوضويا.

تتعقد مشكلة النقل في المدن الكبرى، فينسحب القطاع العام تدريجيا ويترك الفرصة للقطاع الخاص لتدفق السيارات، وتضيق بها الطرق، فيتدخل أصحاب سلطة التشريع بفرض رسوم مرور تحد من حركة المرور، أو تزيد من موارد الدولة. النموذج الأول - الحد من حركة المرور - جرى تطبيقه في سنغافورة حيث تقرر فرض رسوم على السيارات التي لا تحمل ركابها بأعداد كبيرة وتدخل للمناطق المزدحمة.. أما النموذج الثاني - وهو فرض رسوم لزيادة الموارد ومواجهة نفقات المرافق، فقد تم أخيرا - وعلى سبيل المثال - في مصر حيث يتزايد عدد الطرق «الأوتوستراد» التي يجري المرور عليها نظير رسم محدود يدفعه المسافر في أول الطريق.

نفس المنطق - وبنصيحة من البنك الدولي أو صندوق النقد الدولي - يجري تطبيقه في المياه والكهرباء والصرف الصحي.. حيث يجري تحريك أسعار استهلاك المياه والكهرباء وتقليل الدعم الموجه لهما أملا في زيادة الموارد وانقاص الاستهلاك.. حتى الصرف الصحي يجري استنباط الشكل لفرض رسوم عليه.. وحتى مياه الري تجري الدعوة لبيعها للفلاحين!.

الظاهرة متفاقمة.. فمشكلة المرافق لم تحل، وميزانيات الحكومات لم تنصلح، وأعباء المواطنين تتزايد.

نموذج القاهرة

القاهرة نموذج واضح لذلك.. فلقد نمت عشوائيا.. امتدت جغرافيا.. تزايد سكانها بشكل غير مخطط، يبلغ عددهم في القاهرة الكبرى والتي تضم محافظة القاهرة وأجزاء من الجيزة والقليوبية ١٢,٠ مليون نسمة، يتحرك في دروب المدينة أكثر من نصفهم كل يوم، في مجال واحد هو مجال الحركة والنقل نرصد الآتي كنموذج لما نقول:

.. نصف مليون سيارة خاصة تتحرك.

.. ٢٠ ألف أوتوبيس بري ونهري وعربة ترام ومترو.. تنقل كل يوم ٢٠ مليون راكب.

.. ٤٠ ألف سيارة أجرة و١٥٠ ألفاً مما يسمى «سيارة سرفيس».

و.. في مهنة واحدة هي مهنة بائع متجول يتحرك في القاهرة ٢٠٠ ألف بائع.

النتيجة: اختناق في الطرق والمواصلات.. ووقت ضائع في الانتقال وقضاء الحاجات.. آلاف الساعات وآلاف الملايين تضيع كل سنة، ومستوى منخفض من الخدمة.

المشكلة.. والحل

هل من حل لهذه الظاهرة التي تسود العالم الثالث؟.

في التحليل نقول.. إن الظاهرة اتسعت نتيجة النمو غير المخطط وغير المتوازن.. بعد الاستقلال فاندفع الجميع للإصلاح.. لكن كان إصلاحا أحادي الجانب.. وبينما نمت الخدمات وزادت المرافق لم ينم القطاع الإنتاجي بنفس الدرجة، ولم تمتد يد المخطط لتعيد توزيع السكان وتحدث نوعا من التحكم في الحركة والانتشار.. وبينما تولت الحكومات الإنفاق على هذه المشروعات.. فقد تخلت في كثير من الحالات عن وظيفتها الأساسية: التخطيط والتوجيه والتحكم في المتغيرات الأساسية للمجتمع.. لقد ألقت الحكومات بأعباء الحكومات الاشتراكية وسلكت مسلك الحكومات الرأسمالية.. والحل - لدول محدودة الموارد - هو التخطيط.. والتخطيط.. والتخطيط وحينئذ سيختفي الصداع وتختفي معه الكثير من الأشياء التي تدخل باب «لزوم ما لا يلزم». □





المرأة الأوربية على مسرح الحروب الصليبية

بقلم: الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور

من المعلومات المتواترة في كتب التاريخ ، أن المرأة الغربية في العصور الوسطى لم تلق قدراً كافياً من الاحترام والتقدير ، وأنها كثيراً ما كانت تتعرض للأذى والضرب والامتهان ، مما جعل الكنيسة تتدخل أكثر من مرة للتخفيف عنها . كيف كان موقف الكنيسة ؟ وماذا فعلت ؟

ربما كان من أطرف الإجراءات التي اتخذتها الكنيسة لرفع الظلم عن المرأة في تلك العصور ، ذلك المرسوم الذي صدر عن البابوية في القرن الثالث عشر ، والذي يحدد فيه حجم العصا التي يجوز استخدامها في ضرب المرأة ، فإذا كانت العصا مستوفية لشروط معينة من ناحيتي الطول والسمك ، فإن الضرب يكون جائزا مشروعا .

المرأة في ظل الإقطاع

علينا أن ندرك أن هذا الوضع السيىء الذي كانت عليه المرأة الأوربية في العصور الوسطى لم يشمل كل نساء المجتمع ، وإنما هناك فئات من النساء تمتعن بقدر كبير من حرية العمل والحركة ، ومارسن في الحياة العامة دوراً نشطاً ، ربما فاق دور الرجال . ذلك أن المجتمع الأوربي



الغربي في تلك العصور كان مجتمعا طبقيا تفاوتت فيه أقدار البشر وحقوقهم ، وفق الطبقة التي ينتمون إليها . وازداد هذا الطابع الطبقي وضوحا في حقبة ازدهار النظام الاقطاعي ، بين القرنين التاسع والثالث عشر للميلاد ، ففي ظل هذا النظام حرمت المرأة في طبقة الرقيق والأقنان من معظم الحقوق التي تكفل لها حياة بشرية كريمة ، في حين نعمت نساء النبلاء والفرسان بكل مظاهر الاحترام والتبجيل ، وتمتعن بامتيازات واسعة على الصعيدين السياسي والاجتماعي . وبقدر ما كان الفارس يمتهن زوجة القن أو ابنته ، بقدر ما كان ينحني أمام المرأة التي تنتمي إلى طبقته ، ويقبل يدها ، حتى قيل إن الفارس نصير الله والمرأة .

وفي ظل هذه التقاليد خرج الصليبيون من غرب أوربا في أواخر القرن الحادي عشر للميلاد ، على هيئة حملات متتابعة ، قاصدين للشرق الاسلامي ، حيث نجحوا في تأسيس ثلاث إمارات كبرى في الرها وانطاكية وطرابلس ، ومملكة قوية في بيت المقدس ، عدا الكثير من المواقع والحصون التي استولوا عليها . وكان للصليبيين في مستوطناتهم بالشرق نشاط واسع متعدد الأوجه ، أسهمت فيه المرأة بدور فعّال يتفق ومركزها الاجتماعي من جهة ، والأوضاع والتقاليد المتوارثة التي عاشت في ظلها في الغرب الأوربي من جهة أخرى .

قلة في النساء

هنا لا بد لنا من ملاحظة ، أن المجتمع الصليبي في الشرق ظل دائما يعاني من نقص في أعداد النساء الوافدات من غرب أوربا ، لأن الصليبي كثيرا ما كان يترك زوجته وأسرته في الغرب لرعاية مصالحه في غيابه ، أو تخوفا من مستقبل مبهم غير آمن . وهذا هو السر في أن نسبة لا يستهان بها من الصليبيين الذين استقروا

في الشرق ، فقد تزوجوا مسيحيات شرقيات من طوائف الأرمن والسريان والروم الأرثوذكس وغيرهم . هذا في حين لجأ دعاة الحروب الصليبية والمقاتلون لها إلى جلب أعداد من النساء من غرب أوربا وجزر البحر المتوسط إلى بلاد الشام ، لسد حاجة المجتمع الصليبي في الشرق ، ومعالجة الأمراض الاجتماعية التي تفشت في ذلك المجتمع . ولقد استرعت هذه الحقيقة أنظار المسلمين المعاصرين ، فذكر العماد الأصفهاني أنه حدث سنة ٥٨٥ هـ (١١٨٩ م) أن « وصلت في مركب ثلاثمائة امرأة فرنجية مستحسنة ، متحلية بشبابها وحسنها متزينة . وقد اجتمعن من الجزائر وانتدبن للجرائر ، واغتربن لإسعاف الغرباء ، وتأهبن لإسعاد الأشقياء . . . ورأين لا يعتصمن من العزبان ، ورأين أنهن لا يتقربن بأفضل من هذا القربان . . . وزعمن أن هذه قربة ما فوقها قربة ، لا سيما فيما اجتمعت فيه غربة وعزبة . »



ومن هؤلاء النساء الوافدات من غرب أوربا من أسهمن في محاربة المسلمين دفاعا عن الكيان الصليبي الذي ظل أشبه بجزر متناثرة وسط محيط إسلامي واسع كبير . واسترعت هذه الحقيقة انتباه المؤرخين المسلمين المعاصرين أيضا ، فأشار أسامة بن منقذ في كتاب الاعتبار إلى تلك المرأة الافرنجية التي هاجمت أسيرا مسلما ، وجرحته جرحا عميقا في وجهه لتثأر لزوجها القتيل .

شهادات المؤرخين

يقول العماد الأصفهاني الذي ربطته بصلاح الدين صلة المودة عن نساء الصليبيين : « وفي الفرنج نسوة فوارس ، لهن دروع وقوانس . وكن في زي الرجال ، ويبرزن في حومة القتال ، ويعملن عمل أرباب الحجا وهن ربات الحجال ، وكل هذا يعتقدنه عبادة ، ويخلن أنهن يعقدن به سعادة ، ويجعلنه لهن عادة » . وفي حوادث سنة ٥٨٤ هـ ذكر ابن الأثير أنه شاهد بنفسه استيلاء صلاح الدين على قلعة برزية « ورأيت أنا من رأس جبل عال يشرف على القلعة امرأة (فرنجية) ترمي من القلعة عن المنجنيق ، وهي التي عطلت منجنيق المسلمين . فلما رأى صلاح الدين أن المنجنيق لا ينتفعون به ، عزم على الزحف » .

أما في ميدان النشاط السياسي ، فإن المرأة الصليبية مارست دوراً مهما ، هو في الحقيقة دور متوارث ألفه المجتمع الأوربي في الغرب . فمن أركان النظام الاقطاعي في غرب أوربا أن الاقطاع كان يورث للابن الأكبر أو للابنة الكبرى . كل ما في الأمر هو أنه كان يشترط في وريثة الإقطاع أن تكون تحت وصاية رجل - الزوج أو السيد الاقطاعي - حتى يتسنى لها النهوض بالوظيفة الأساسية للمقطع ، وهي الحرب . وهكذا كان للمرأة شخصيتها



● قال العماد الأصفهاني : (ثلاث من الفرنج نسـاء فوارس .. لهن عروس وفوارس .. وكن في زي الرجال .. ويبرزن في حومة القتال ..) .

الاحتيالية التي أثارت طموحها في مجال السيطرة والسيادة ، وهي الصفات التي حملتها معها المرأة الغربية إلى الشرق زمن الحروب الصليبية .

نساء طلبن العون من المسلمين

لم تكتف المرأة الصليبية في الشرق بالسعي وراء تحقيق الزعامة لنفسها ، وإنما كانت تتصل بالقوى الاسلامية المجاورة أحيانا لتطلب المساعدة ضد منافسيها السياسيين من الصليبيين .

من ذلك أنه حدث في أوائل القرن الثاني عشر للميلاد أن تزوج بوهيموند الثاني صاحب إمارة انطاكية الصليبية من الأميرة أليس ابنة بلدوين الثاني ملك بيت المقدس ، وأنجبت له طفلة صغيرة هي الأميرة كونستانس . فلما قتل بوهيموند الثاني أرادت الأم ـ الأميرة أليس ـ أن تستأثر بحكم الإمارة ، وتحرم ابنتها صاحبة الحق الشرعي في الحكم . ولتحقيق غرضها ، لم تحجم الأميرة أليس عن التآمر ضد الصالح الصليبي العام ، فاتصلت بعماد الدين زنكي صاحب حلب ، وأرسلت إليه رسالة سرية تطلب مساعدته للوصول إلى حكم أنطاكية مقابل تعهدها بالتبعية له ، ومع الرسالة هدية وفرس مطهم .

وفي أواسط ذلك القرن ـ الثاني عشر للميلاد ـ توفي ملك بيت المقدس ، تاركا ولي عهده القاصر ـ بلدوين الثالث ـ تحت وصاية أمه ميلزاند . وكان أن استبدت ميلزاند بالأمور في المملكة حتى تسببت سياستها في إثارة العديد من المشاكل ، وإنزال أبلغ الضرر بالصليبيين حينذاك . وعندما بلغ ابنها سن الرشد رفضت الأم أن تتخلى عن شئون الحكم ، حتى أجبرت سنة ١١٥٢ على الموافقة على تتويج ابنها تحت تأثير الرأي العام . ومع ذلك لم يهن عزم ميلزاند أن تتخلى عن سلطانها ، فاتفقت مع بطرق بيت المقدس على أن يعاد تتويجها هي الأخرى مع ولدها ، ووضعت مشروعا لتقسيم المملكة الصليبية بينها وبينه !!

وفي المرحلة الحرجة التي كان يمر بها الكيان

الصليبي بالشام عندما أخذ صلاح الدين يتأهب لإنزال ضربته الكبرى بالصليبيين في حطين، قامت سيبل زوجة بوهيموند الثالث أمير أنطاكية بارتكاب خيانة كبرى ضد القضية الصليبية، تحقيقا لطموحها ومصالحها الخاصة. ذلك أنها دأبت منذئذ على إجراء اتصالات سرية مع صلاح الدين، أطلعته فيها على خطط الصليبيين وتحركاتهم. ويذكر المؤرخ أبو شامة - صاحب كتاب الروضتين - «وكانت امرأة إبرنس أنطاكية تتعرف بخدم (مقدم) سيبل في موالاة السلطان (صلاح الدين)، محبا له على العدو، وتهاديه وتناصحه، وتطلعه على أسرارهم، والسلطان يكرمها لذلك، ويهدي إليها أنفس الهدايا».

وأخيرا نكتفي بالإشارة إلى مرجريت زوجة لويس التاسع ملك فرنسا، وهو الملقب بالقديس. ذلك أن مرجريت لم تشأ أن تترك زوجها القديس لويس يخرج وحده على رأس حملته الصليبية الشهيرة على مصر في منتصف القرن الثالث عشر، وإنما حملت هي الأخرى شارة الصليب ورافقته. ويذكر جوانفيل - مؤرخ هذه الحملة - أن مرجريت كانت طوال إقامة زوجها في الشرق تقوم بدور المستشار الأول له، وصاحبة الرأي المسموع في الأمور كلها، حتى لو كان رأيا مخالفا لآراء مستشاريه.

لكنهم ظلوا ساكنين فيها قرابة خمسة أشهر قبل الشروع في الزحف جنوبا تجاه المنصورة. وطوال هذه الأشهر ظلت مرجريت توجه سياسة الملك، حتى إذا ما زحف الملك على رأس جيشه إلى داخلية البلاد، بقيت مرجريت في دمياط تقوم بدور حلقة الوصل بين الصليبيين في الداخل، والعالم الخارجي. وفي أرض دمياط وضعت مرجريت وليدها الذي أسمته حنا الحزين لأنه ولد بعد وقوع أبيه في الأسر بثلاثة أيام.

وعندما تم الصلح مع المسلمين في مصر سنة ١٢٥٠ م، وأفرج عن لويس التاسع من محبسه بالمنصورة، غادر دمياط إلى بلاد الشام، حيث عزم على تجميع قواته، والعودة مباشرة إلى فرنسا التي كانت أمه الملكة بلانش تدير شؤونها في غيابه. ولكن مرجريت أشارت على زوجها الملك لويس بالبقاء في الشام حتى ينجز عملا يعيد إليه ماء وجهه بعد هزيمته وأسره في مصر. وكان أن أقام الملك لويس بالشام نحوا من أربع سنوات (١٢٥٠ - ١٢٥٤) محاولا دعم المجتمع الصليبي. وفي هذه الفترة، وضعت مرجريت ابنا آخر أسمته بطرس وهو الابن الثاني الذي أنجبته في الشرق، مما يوضح أن قسوة الظروف التي مر بها لويس التاسع لم تصرفه عن حياته العائلية، وأن هموم الملك القديس ومتاعبه لم تنس زوجته مرجريت نصيبها من الدنيا.

هذه الأمثلة قليل من كثير، وهي توضح أن المرأة الصليبية الغربية، كان لها دور على مسرح الحروب الصليبية في الشرق، أكبر مما يتصوره كثيرون. ■

ميلاد حنا الخزين

ومن المعروف أن الصليبيين في هذه الحملة استولوا على دمياط سنة ١٢٤٩ م (٦٤٧ هـ)

شهد أعرابي مائدة أقيمت عند الحجاج. فلما قُدمت الحلوى، ترك الحجاج الأعرابي حتى أكل منها لقمة ثم قال: من أكل من هذا ضربت عنقه.

فامتنع الحاضرون كلهم من الأكل. وبقي الأعرابي ينظر إلى الحجاج مرة، وإلى الحلوى مرة أخرى ثم قال: «أيها الأمير.. أوصيك بأولادي خيرا» واندفع يأكل.

العربي - العدد ٣٧١ - أكتوبر ١٩٨٩ م



تشريح الإنسان بعد الموت بين العلم والدين

بقلم : الدكتور سامي محمود علي

في معظم العقائد القديمة والأديان ، يكتسب جسم الإنسان بعد الموت مكانة تصل إلى مرتبة القداسة - أحيانا - ، لكن الضرورات العلمية التي تتوخى مصلحة الإنسان عامة قد تفرض تشريحه ، وهنا يحدث تناقض بين الرؤيتين العلمية والدينية . فأيهما يستحق الترجيح ؟

من القضايا التي تطرح دائما والتي تثار حولها تساؤلات ، قضية تشريح جسم الإنسان بعد موته . والحقيقة أن هذه التساؤلات تدور في معظمها حول تحريم أو عدم تحريم هذا التشريح ، وهي في هذا تتفق مع قضية أخرى تتصل بها ، وهي قضية نقل الأعضاء والتبرع بها بغرض زرعها في الأجسام المريضة . لكننا نرى أن تشريح جسم الإنسان - في بعض الأحوال - يتجاوز فائدته التعليمية أو القانونية إلى كونه مقياسا حقيقيا لمعرفة تأثير بعض الأدوية على أعضاء الجسم وأنسجته ، بل يمكن أن نعده تخطيطا للصحة العامة بكل ملامحها .

لقد كان الإنسان - ولا يزال - معنيا بنفسه مهتما بجسمه منذ فجر التاريخ . وكانت الدعوة المستمرة لمعرفة خصائص الجسم الإنساني وتفاصيله تتناقل عبر الأجيال كوسيلة لقهر المرض واكتساب الصحة ، لكن الإنسان اتخذ صورة الكائن المقدس الذي لا يجب العبث به بعد موته .

وعندما أراد المصريون القدماء تخليد موتاهم ، قاموا بتحنيط أجسامهم ، ولا شك أنهم اكتسبوا بعض المعلومات عن جسم الإنسان أثناء التحنيط ، لكن عملية التحنيط نفسها لم تكن أكثر من وسيلة لحفظ الجسم ، لذلك فإن الأعضاء والأحشاء كانت تنزع بدون عناية أو دراسة .



وعندما حل القرن الخامس قبل الميلاد ظهرت أفكار قيمة تتعلق بدراسة جسم الإنسان ، وقد اضطلع أبو قراط وغيره من أطباء اليونان القدامى بهذه الأفكار ، وكان الجسم في رأيهم عبارة عن مجموعة من الأجزاء المترابطة ، وأن المرض هو سوء أداء لوظيفة أحد هذه الأجزاء . حقا لقد كانت أفكارا عظيمة انتزعت الطب من مجاهل الخرافات وأعادت إليه صورته التي تعتمد على الدراسة والتجريب . وكان من نتيجة هذه الأفكار أن ظهر « جالينوس » في القرن الثاني الميلادي . كان « جالينوس » طبيبا اغريقيا مارس الطب في روما ، وبرز اهتمامه على وجه الخصوص بعلم التشريح . فقد ظهرت مؤلفاته التي تضم وصفا لعظام الإنسان وأحشاء الحيوان ، وكانت مؤلفاته عن التشريح بمثابة الكتاب المقدس لكل المشتغلين بالطب خلال الخمسة عشر قرنا التالية .

دور فاسليوس

وهكذا ظل علم التشريح يتأرجح بين الخرافة القائمة على معتقدات قديمة وبين مؤلفات « جالينوس » التي تعتمد أساسا على التشابه في تشريح الحيوان . ولم يتحول علم التشريح إلى دراسة حقيقية لجسم الإنسان قائمة على الفحص الفعلي للأنسجة والأعضاء إلا في عام ١٥٤٣ م عندما ظهر كتاب « نسيج جسم الإنسان » لمؤلفه البلجيكي « اندريا فاسليوس » . كان « فاسليوس » قد درس في جامعة « بادو » مبادئ علم التشريح ، إلا أنه اعتمد على ملاحظته الدقيقة وبده المدربة في فحص الأعضاء المختلفة والأنسجة والأربطة التي يحتويها جسم الإنسان . واستعان « فاسليوس » بواحد من الرسامين الكبار هو « ستيفن كالكار » الذي استطاع أن ينقل أفكار وملاحظات « فاسليوس » إلى صور في الكتاب الشيق « نسيج جسم الإنسان » .

كان هذا مدخلا تاريخيا مبسطا عن المراحل التي مر بها علم التشريح . فماذا عن القيمة الحقيقية لهذا العلم كما تظهرها أهميته في مجالات التعليم والطب والقانون ؟

الموتى يعلمون الأحياء .. !

ليس الموت وحده هو الذي يعطينا العبرة والعظة ، بل إن الموتى - أنفسهم - يقدمون للأحياء ما غاب عنهم ولم يفهموه ، إنه عطاء لم ينقطع ، بل تواصل حتى بعد الرحيل . ولعلنا من خلال هذا المفهوم ندرك أن تشريح الموتى بعد الوفاة في بعض الأحيان يمكن أن يقدم لنا أكثر من مجرد فائدة تعليمية أو كشف للكيفية التي حدثت بها الوفاة بما يحقق فائدة لرجال القانون .

إذن فالعلم لديه مبرراته ، وهي دون شك مبررات قوية تخدم الإنسان نفسه ، لكننا بداية نحب أن نلقي نظرة مبسطة على عملية التشريح نفسها . فالبعض يظن أن تشريح الإنسان بعد موته ليس أكثر من عملية شق أو فتح الجسم لفحصه وفحص أعضائه ، لكن الحقيقة أن التشريح يشمل ثلاث عمليات يكمل كل منها الآخر . فهناك أولا الفحص الدقيق لظاهر البدن من الخارج ، ثم تأتي الخطوة الثانية بفحص الأعضاء الكبيرة بعد فتح الجسم فتحة طولية تبدأ من أمام - أي المنتصف تقريبا - كل كتف لتلتقي الفتحتان عند أسفل عظمة القص في منتصف الصدر ، ويستمر الشق حتى منطقة العانة أسفل الجسم ، ليبدو الفتح في النهاية على شكل حرف "Y" باللغة الانجليزية . وفي هذه الخطوة تفحص أعضاء الجسم مثل الكبد والكلى والمعدة والأمعاء والقلب والرئتين . وأخيرا تأتي الخطوة الثالثة وفيها تفحص عينات من الأنسجة المختلفة تحت المجهر « الميكروسكوب » .

وكان الطبيب الألماني « رودلف فيركو » قد اكتشف طريقته في تشريح الجسم في القرن التاسع عشر التي عمد فيها إلى نزع الأعضاء من الجسد عضوا عضوا ، ثم فحصه وتشريحه منفصلا . ثم جاء الدكتور « فريدريش ألبرت زينكر » وابتكر طريقة أخرى تقوم على فحص العضو من خلال الجهاز الذي يضمه ، فمثلا تفحص الرئتان من خلال الجهاز التنفسي كله الذي ينزع من الجسم قطعة واحدة . وهذه هي الطريقة المتبعة الآن . ويلاحظ من يقوم بالتشريح أي تغير طرأ على العضو ، أو انحراف عن السواء ، ثم يفصل العضو ويتم تشريحه لمعرفة أي تغير عن ما هو طبيعي .

وتشريح العضو لا يتضمن فحصه وكشف ما به من تغير فقط ، لكنه يوزن وتقاس أبعاده لرصد أي تغير إذا ما قورنت بالأبعاد والأوزان القياسية والثابتة علميا . وبعد أن تتم كل هذه الخطوات ، فإن أجزاء صغيرة من الأنسجة المختلفة تصبغ وتوضع في شمع البرافين لفحصها « ميكروسكوبيا » . وفي بعض الحالات تجرى اختبارات ميكروبية أو كيميائية على الأنسجة لبيان تأثير بعض المواد الغريبة على الجسم .

قد يكون المرفأ الأخير

التشريح إذن عدة عمليات تجرى على الجسم ، لا تهدف لمعرفة سبب الوفاة ، أو كيفية حدوث المرض فقط ، لكنها في الوقت نفسه تعد مقياسا لمعرفة مدى صلاحية بعض الأدوية المستخدمة ، ومقدار سميتها على الجسم ، خاصة تلك المستخدمة لعلاج مرض السرطان .

كذلك يعرفنا التشريح ، لمعرفة العديد من الأمراض الجديدة التي تنشأ كنتيجة لعوامل البيئة ، أو مخاطر الصناعة . ومن الأمثلة التي كان للتشريح الفضل في كشفها نوع نادر من



◆ للتشريح فوائد كثيرة

الأمراض السرطانية هو « الانجيوساركوما » وهو ورم يصيب الكبد ، فقد لوحظ انتشار هذا المرض في العمال الذين يعملون في المصانع التي تستخدم مادة « الفينيل كلوريد » ، وكان ظهور الورم بصورة متكررة لدى هؤلاء العمال ـ كما أظهر التشريح ـ مقدمة لعمل دراسات وأبحاث ساهمت في التحكم في الحالة .

ومن الأغراض التي أفاد منها التشريح عمليات زرع صمامات القلب الصناعية التي استخدمت لأول مرة عام ١٩٦٠ م . فقد أعطى التشريح معلومات جيدة ، كما صحح نظريات قديمة ، عن شكل وحجم ونوعية هذه الصمامات ، وأعطى هذا كله مؤشرات لصنع أفضل نماذج لهذه الصمامات .

وأخيرا فإن التشريح هو الملجأ الأخير للأطباء إذا أصابتهم الحيرة عند تشخيص مرض ما . ولعلنا من هذا المنطلق ، نقول : إنه على الرغم من التقدم الرفيع جدا في استخدام وسائل التشخيص الحديثة ، فإن بعض الدراسات التي أجريت حول هذا الموضوع ، أكدت أن خطأ التشخيص كان في حوالي ٤٠٪ من المرضى الذين خضعوا للتشريح بعد وفاتهم .

ولكن ماذا يعني ذلك ؟ إن ذلك يعني في بساطة ، أن إحصائيات الصحة التي تتعامل مع بأسباب الوفاة غير حقيقية ، حيث إنه لا يتم تشريح كل متوفى بطبيعة الحال ، وهذا يعطي انطباعا بأن ما يكتب في شهادات الوفاة عن الأسباب التي أدت إلى الوفاة غير دقيقة ، وهي بالتالي ليست وسيلة صادقة يمكن الاعتماد عليها لتخطيط برامج الرعاية الصحية .

التشريح بعد الموت

أخيرا ، ماذا يقول الدين حول هذه القضية ؟ . الحقيقة أن هناك تباينا واضحا في أراء العلماء والفقهاء حولها . فالتشريح بعد الموت له فوائد عدة من وجهة نظر العلم والطب ، وقد عددنا هذه الفوائد . لكن من المنظور الديني فإن الأمر يختلف ، فالتشريح بعد الموت مادة تشريعية جديدة أو هي عرف تعورف عليه ، لم يكن موجودا أو معروفا لدى علماء الشريعة القدماء ، وبالتالي فهو مثل كل القضايا الجديدة يخضع للاجتهاد الذي قد يتباين ويختلف .

عموما فالرأي الديني حول هذه القضية ينقسم إلى رأي مؤيد وآخر معارض . فالرأي المعارض يقول : إن للميت حرمة لا تقل عن حرمته وقت حياته . ويذكر أصحاب هذا الرأي ما رواه أبو داود بسنده إلى عمرة بنت عبدالرحمن عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله صلى

الله عليه وسلم ، قال : « كسر عظم الميت ككسره حيا » . وينظر المؤيدون لهذا الرأي إلى عملية التشريح ، ونقل الأعضاء وزراعتها ، كأعراف طارئة ، وهي أعراف فاسدة من المنظور الإسلامي ، أو كما يقول الدكتور صوفي أبو طالب في كتابه (تطبيق الشريعة الاسلامية في البلاد العربية) : « الأعراف الطارئة لا تصلح لتخصيص النصوص الشرعية حتى لو اتخذت شكلا عاما . إذ أن مخالفة العرف الطارئ للنص يعدّ نسخا لهذا النص ، وهو غير جائز ، لأن مرتبة العرف أدنى مرتبة » .

في المقابل نجد رأيا آخر يبيح عملية التشريح بعد الموت لتحقيق مصلحة عامة للمسلمين وامتناع للضرر . ومن المؤيدين لهذا الرأي الأستاذ « عبدالله المشد » رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف فهو يقول : إن فقهاء المذهبين الحنفي والشافعي ، قد أجازوا تشريح جسد الميت لمصلحة راجحة ، مثل استخراج مال ابتلعه انسان ثم مات ، أو تشريح جسد امرأة ميتة لاستخراج جنينها الذي ثبت يقين للأطباء المختصين أنه مازال حيا في بطنها ، وكذلك أجازوا التشريح لاثبات جناية ليتحقق بها وجه العدالة والحق . كما أجازوا ذلك للتعليم من باب الوجوب الكفائي ، بمعنى أن ذلك الأمر واجب على فريق من أبناء الأمة ، فإذا قام به البعض سقط عن الجميع ، وذلك من قبيل المصلحة العامة مع امتناع الضرر ، والأصل في ذلك كله الإباحة وليس التحريم . لأن الحرام ثلاثة أقسام هي :

أولا : حرام لذاته ، وهو ما ورد في النص القرآني الصريح قطعي الثبوت والدلالة بحرمته ، مثل قوله تعالى « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ ... » النساء (٢٣)

ثانيا : محرم لغيره ، وهو ما لم يرد به نص صريح قاطع بحرمته ، وذلك مثل المخدرات والاتجار فيها ، لأن ذلك يؤدي إلى إتلاف النفس والعقل والمال ، وهذه من الكليات الخمس التي أوجب الله الحفاظ عليها ، وحرم إتلافها والتعدي عليها .

ثالثا : محرم حرمة عارضة ، مثل العقود التي وثقت أركانها وشروط صحتها ، ولكنها اشتملت على غش أو تدليس وذلك لقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » . النساء (٢٩) .

نميل للثاني

فنحن أمام رأيين لكل منهما حجته وأسانيده ، ولكننا نميل بالترجيح للرأي الثاني الذي يتفق مع ما يذهب إليه العلم من فوائد مؤكدة ، يتيحها تشريح جسم الإنسان بعد الموت لبعض ـ ولا نقول لكل ـ الحالات ، بما يحقق في النهاية صالح الإنسان ، وغاية الصحة التي ينشدها الجميع . □

بعض أعلام العرب

كان أبو الطيب المتنبي ابن سقاء .. وأبو العتاهية الشاعر المشهور كان يبيع الجرار .. وأبو تمام حبيب الطائي كان يخدم حائكا ، ويعمل عنده بدمشق .

والإمام أبو حنيفة كان بزازا أي تاجر حرير ، وأبو بكر الرازي الطبيب المشهور كان في شبابه يضرب بالعود ، ويتكسّب منه ، والحجاج بن يوسف الثقفي كان يعلم الصبيان هو وأبوه بالطائف ، ولكنه صار بعد ذلك أمير العراق وخراسان وسائر الشرق .

أسئلة صعبة حول وطن الحلم

بقلم : الدكتور محمد حافظ دياب

القراءة كنشاط إنساني واع ، وضروري ، له مستويات متعددة ، تبدأ من المطالعة ، وتنتهي بالمشاركة في خلق المكتوب من خلال رؤية القارىء له . وحول فعل القراءة ودورها ، تعددت التعريفات والتفسيرات التي تتشابك في ساحاتها مدارس النقد الأدبي المختلفة .

القراءة ضرورة وليست ترفا ، وحديث مع عشاق القرون الخوالي ومهدي العصر ، مقياس لغنى الثقافة والهوية القومية ، شرط أن يقوم على الالتزام الحي بين حرية الكاتب الذي يواجه نفسه قبالة حرية القارىء . فبهذه الكيفية تكبر خارطة المكتوب ـ المقروء ، وتتجاوز تأثيرها وفعاليتها لكي تقترب من (وطن الحلم) كما تطلق عليها المؤرخ الانجليزي إدوارد جيبون .

إن هذا الوطن لم يعد قاصرا على « مكيافيل » الذي كان يرتدي أفخر ثيابه ليقرأ الكلاسيكيات اللاتينية ، أو « بترارك » الذي مات وعينيه على حروف كتاب تضيئها له مائة شمعة موزعة في زوايا غرفته ، أو « روتسار » الذي كان يتمدد راحة في مسبحه ساعات طوالا ليجيد قراءة البيانة .

تنمية القراءة

لم ان جهودا هائلة تبذل في الوقت الحاضر تنمية هذا الوطن بتجديد (مرافق) القراءة فيه عن طريق برامج محو الأمية ، وتشريعات رعاية المكتبات وإقامة مشروعات المكتبات المتنقلة في مصر ، والمكتبات (الخفيفة) في الولايات المتحدة ، والمكتبات العائمة في النرويج وقطارات الثقافة في فرنسا ، وتيسير نظم الإعارة البريدية ، ونوادي المكتبات ، وكفالة وسائل القراءة للمكفوفين ، ومحاولات استخداماتها التجريبية في السجون والمستشفيات لعلاج بعض أمراض الجهاز العصبي ، وإعداد التصنيفات التي تشمل الكتب والمقالات والأبحاث التي تمت بصلة إلى تنمية نشاط القراءة وجماعاتها ومراكز أبحاثها ودورياتها ، إضافة إلى انتشار صناعة الكتب المسموعة أو المسجلة على أشرطة الكاسيت منذ بداية الثمانينات في أوربا وامريكا التي بلغ من رواجها أن ظهر منها في الولايات المتحدة وحدها ، وحتى عام ١٩٨٦ ، نحو اثني عشر ألف عنوان ، وهي صناعة تعتمد على إعادة اكتشاف الأذن في نقل المعلومات ، خاصة لرجال الأعمال والمسنين والمكفوفين .

وفي مطلع الدولة الاسلامية ، يذكر التاريخ أنه بعد معركة بدر طلب النبي ـ صلى الله عليه

وسلم - إلى كل أسير فقير قارىء من أسرى قريش أن يعلّم عشرة من صبيان المدينة المسلمين الكتابة والقراءة ، بدل الفدية المالية لإطلاقه .

بعد ذلك بدأ النبي في تكوين جماعة من القراء لتكون عاملا داخليا للتثقيف ، ولحمل الدعوة إلى الخارج ، ينوّه عنها الواقدي بقوله : « كان من الأنصار سبعون رجلا شَبَبَة يسمون القراء ، كانوا إذا أمسوا أتوا ناحية المدينة ، فتدارسوا القرآن وصلّوا ، حتى إذا كان وجاه الصبح ، استعذبوا من الماء ، وحطبوا من الحطب ، فجاءوا به إلى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أهلوهم يظنون أنهم في المسجد ، وكان أهل المسجد يظنون أنهم في أهليهم . فبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجوا ، فأصيبوا في بئر معونة » (المغازي للواقدي ، ٣٤٧/١٠) .

وقد وقعت هذه المذبحة - خصوصا والمقتولون دعاة عزّل - من الرسول موقعا أليما ، « فدعا على قاتليهم خمس عشرة ليلة » . لكن غضب الرسول وحزنه لاغتيال أصحابه ، لم يكن لأنهم كانوا عزّلا فقط ، ولا لأن الذين دعوهم هم الذين قتلوهم ، بل لأنهم كانوا القرّاء الجدد للجماعة الإسلامية الناشئة . فعندما بدأ النبي دعوته بمكة ، « لم يكن فيها أكثر من عشرين رجلا يقرءون ، ويكتبون » . وكان هذا يعني عدم إمكان انتشار الإسلام الذي يفترض كتابه (القرآن) أناسا لا يحفظونه عن ظهر قلب فقط ، بل يتناقلونه كما أُنزل ، كي لا تتسرب إليه أخطاء الذاكرة وأوهامها . من هنا كان حرص النبي منذ البداية على تعليم أصحابه والمقبلين الجدد على الإسلام ، إدراكا منه للارتباط العميق بين القراءة والقراء من ناحية ، واستمرار الإسلام دين دعوة من ناحية أخرى . ويبدو أن هذه لم تكن الجماعة الوحيدة ، بدليل أنه أرسل بعد ذلك جماعات من القراء ، لتعليم الناس الإسلام والقراءة في نجران وصنعاء وعمان .

هكذا ومنذ البداية ارتبط الإسلام دعوة ومصيرا بالقراءة بشقيها النظري (المعرفة) والمهارة (التلاوة) .

قراءات ثلاث :

ومفهوم « القراءة » يمثل مسألة خلافية بين دارسيه . نشأ عنها أبعاد ثلاثة لهذا المفهوم ، يمكن أن تعد في آن معا مستويات ثلاثة متنامية لفاعليته :

(١) البعد الأول الذي يقف عند تحريك النظر فوق الحروف والكلمات أو النطق بها ، ويعتمد الإحساس اللفظي بالعبارة قبل معناها عادة ، ويستهدف التحقيق الصوتي والمران اللساني ، وهو لذلك أقرب إلى المطالعة . (٢) البعد الثاني الذي يقف عند حدود التلقي المباشر ، والاجتهاد في أن يكون هذا التلقي مقرونا بأكبر قدر من (الأمانة) في إدراك النص ، اعتقادا بأن معناه قد صيغ نهائيا ، فلم يبق إلا العثور عليه كما هو ، ومن ثم يقتصر على استعداد القارىء للتقبل السالب ، ودون التدخل في محاورة النص وإضاءته .

ويرى الكاتب الفرنسي ، رولان بارت أن (داء) هذه القراءة أو بالحرى (عاهتها) الدائمة تكمن في عجزها عن إدراك الرموز الموجودة في النص - خاصة إذا كان نصا أدبيا - وإنكارها أنه ذو دلالات متعددة . ويفسر هذا عجز هذه القراءة بعدم استطاعتها أن ترى في النص إلا



معنى واحدا تركز عليه ـ وهو غالبا معنى حرفى ، ولهذا ضمن غير المجدى ـ لدى أصحابه ـ محاولة البحث عن معان أخرى بديلة ، أو حتى معان مكملة لذلك المعنى الحرفى . إذ على مايقول بارت « فى النص ، القارىء وحده يتكلم » وهو ما يعنى أن نسبة النص إلى مؤلف تعادل إيقاف النص وحصره وإعطاءه مدلولا نهائيا . إنها بتعبيره « إغلاق الكتابة » .

وثمة واقعة نقدية مشهورة فى هذا الصدد ، يذكرها « زكى نجيب محمود » (فى فلسفة النقد ، ص ١١١) حين أورد أن الناقد « ستانلى هايمن » علق على قصة لروبى ماكولى بما يفيد اعتقادها إيحاءات جنسية ، وأشار إلى أن تحويل بعض الأسماء النسائية فى القصة إلى أسماء مذكرة ، يمكن أن يساعد على إظهار هذا المعنى . ولن يحتاج ذلك إلى جهد كبير بسبب التقارب الشديد بين التذكير والتأنيث فى أسماء الشخصيات الرئيسية .

وحين قرأ المؤلف هذا التعليق سارع إلى إنكاره ، وأصر على أن قصته خالية مما ادعاه الناقد الذى رد عليه قائلا : « إنه ليؤسفنى أن السيد ماكولى يفضِّل ـ لأى سبب من الأسباب ـ أن يحرم نفسه من أن يكون كاتب القصة الشائعة المحتشمة التى قرأتها له ثم وصفتها للقراء ، ويختار لنفسه بدلا من ذلك أن يكون كاتب القصة الهزيلة الفقيرة التى يصفها هو للقراء . وليس السيد ماكولى أول قاص أنتج نتاجا أدبيا خيرا مما يعلم ، وخيرا مما يريد أن يسلِّم به ، ولعله لن يكون آخر قاص فى ذلك . ولست على استعداد للفرار من ميدان القراءة النقدية للقصة من القصص ، كلما هاج فى وجهى مؤلفها مصرًّا على أن قراءتى لقصته لم تكن هى قراءته لها » .

(٣) أما البعد الثالث ، فالقراءة عبره لاتتوقف عند مجرد التلقى المباشر ، بل تساهم بوعى فى إعادة إنتاج وجهة النظر التى يحملها النص ، والكشف عن جوهره وتأويله ، بحيث تتحول إلى فعل إبداعى يؤدى إلى ذروة وظيفتها المولدة للدلالة .

القراءة والكتابة :

وتاريخية المكتوب لاتقوم على مجرد تواجد النص، ولكن على تعرّف القارىء به وهو ما يعنى أن القراءة ليست رديفا للكتابة ، ولا عملية تابعة لها . لقد كان التصور الشائع يعد أن هنالك عمليتين منفصلتين تماما هما : الكتابة التى تتم من قبل المؤلف ، والقراءة التى تحدث زمنيا بعد الكتابة ، ومن ثم لم يظهر فى هذا التصور مستوى لعلاقة عضوية بينهما ، فى حين أن هذه العلاقة لاتقوم إلا على أساس حوار متبادل ، من موقع سائل ومسئول يتبادلان أدوار السؤال والجواب . فالكاتب والقارىء يصنعان معا نصّهما ، ويكوّنان معا برهانه ولغته ودلالاته ، وهو ماعناه الفيلسوف الفرنسى جان بول سارتر بقوله : إنه « لما كانت العملية الإبداعية لاتستطيع أن تجد اكتمالها إلا فى القراءة ، ومادام على الكاتب أن يوكل الغير بمهمة استكمال مابدأه ، وما دام لايستطيع أن يشعر بنفسه بشكل أساسى تجاه عمله إلا من خلال وعى القارىء وحده ، فإن عملية الكتابة لابد أن تتطلب عملية قراءة كمقابل لها . ويستلزم هذان الفعلان المترابطان عاملين متميزين . ذلك أن جهد المؤلف وجهد القارىء المرافق له ، هما اللذان يبرزان للوجود ذلك الأثر الفكرى المحسوس والخيالى معا . فلا وجود للنص إلا بواسطة الآخرين ومن أجلهم» (مواقف ، ص ٩٣) .

وفى الستينيات تبلور فى فرنسا الجهد قدمته جماعة (تيل كيل) التى تحتل مكانا مرموقا فى النقد الأدبى المعاصر ، وعُدَّ أن الكاتب هو قارىء أساسا . إذ يقرأ الواقع المحيط ، ثم يحلله كقارىء ويحوله إلى مادة للكتابة يتلقاها قارىء آخر ، يحللها بدوره ليصبح قارئا وكاتبا ، مقترحا ومتلقيا فى الوقت نفسه .

فمن وجهة نظر أصحاب هذا الاتجاه ، أن العلاقة بين كليهما تقوم على التكامل والتناوب ، وليس على التباعد والتنافر ، كما كان الظن قبلا .

فالكاتب الذي يستشف الواقع ويقرؤه ويتمثله وينقل قراءته له إلى نص مكتوب ومطبوع ، لم يتخل عن كونه قارئا فعالاً . ولأنه قارىء وكاتب تكون علاقته بقارىء آخر وهو قارىء نصّه ـ علاقة عضوية متميزة ، لأن هذا القارىء بدوره يجب أن يكون فعالا ، بحيث يحوّل المادة الورقية المطبوعة بين يديه إلى أفكار ورؤى ، فيضحى بالتالي كاتبا وقارئا .

إن صورة (القارىء الضمني) تكون حاضرة باستمرار ، في وعي الكاتب . كذلك العكس ، حيث صورة الكاتب هي أيضا حاضرة ، في وعي القارىء ، حتى لو كانت الصورتان مجردتين .

اللقاء السري

ونظرا لهذه العلاقة المتميزة بين الكاتب والقارىء ، هناك نوع من اللقاء السرّي بينهما . نوع من الاجتماعات الممنوعة والتحريض المباشر ، ولهذا السبب عُدّ عمل الكتابة وفعل القراءة خطيرين أحيانا ، فقامت ضدهما مقصات الرقابة ، وكان الحريق هو الإجابة المفضلة في مرات عديدة . فقد تم حرق أعمال الفيلسوف الإغريقي القديم « بروتاجوراس » في أثينا ، وقام جلاد باريس بقذف مؤلفات « فولتير » في اللهب ، وأكره « أبيلار » ، في القرن الثاني عشر ، على أن يقذف كتابه بيديه في النار ، وحكم بحرق قراطيس « ابن حزم القرطبي » خلال حياته ، فخلد هذه الواقعة في قصيدة له يقول فيها :

دعوني من إحراق رق وكاغد
وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
فإن تحرقوا القرطاس لم تحرقوا الذي
تضمنه القرطاس إذ هو في صدري



يسير معي حيث استقلت ركائبي
وينزل إن أنزل ويدفن في قبري

وبعد وفاة « دانتي » ، أحرق أحد الكرادلة كوميديته ، واستغرق الجدل العقيم مائة وخمسين سنة ، من أجل الاعتراف بها . وحينئذ فقط ، أمكن تطويل العنوان ، ليصبح « الكوميديا الإلهية » بدل « الكوميديا » فقط كما وضعه « دانتي » . ولقد مثلت (لائحة الكتب المحرمة) أداة بيد الحركة المناهضة لإصلاح الكنيسة في أوربا الوسيطة .

وفي العصر الفكتوري ببريطانيا ، تقلصت حرية القراءة ، وبقيت وقفا على البالغين ، طبقا للقاعدة الأخلاقية التي وضعها (بودساب) وفحواها :

« هل يؤدي هذا الكتاب إلى تصاعد حمرة الخجل في وجنة إنسان شاب ، تناهيك عن شابة ؟ » . وأصبحت هذه القاعدة بمثابة معيار قانوني كحكم نهائي على الكتاب وقد امتدت حتى طالت رواية « ديفيد هربرت لورنس » عشيق الليدي تشاترلي التي قُدّمت مع مؤلفها إلى محكمة المجرمين المركزية بلندن .

حدث هذا ومثله للحيلولة دون اللقاء بين الكاتب والقارىء ، أو بالأحرى لطمس العلاقة بينهما ، وتهشيمها ، وتحويلها إلى علاقة سطحية ، تتم فيها عمليتان منفصلتان : الكتابة المستقلة تماما عن القراءة ، أو ما أطلق عليه نقاد تول كيل « اللاقابلية للقراءة » .

في أزمة الكتابة

من هنا تكتسي مسألة الكتابة عن القراءة أهميتها . حيث أن ما يوجد منها لايتجاوز طموحها الطرح التعميمي عن اتجاهات القارىء أو تأثيرات القراءة ، على الرغم من قدم هذه المسألة التي يمكن أن نلمحها بدءاً من اشارات أفلاطون إلى دور الفن في تمويه الحقيقة ، وأفكار ارسطو عن دور الشعر في تطهير العواطف ، مرورا بكتابات الجاحظ وعبدالقاهر الجرجاني وابن حزم ، وانتهاء بعدد من المدارس الحديثة التي تركز على وجود « القارىء في النص » ، أو التي تشتغل بجماليات التلقي .

وفي وطننا العربي ، لايكاد المتتبع يجد اهتماما بهذه المسألة ، خلا محاولة رائدة نشرت في القاهرة عام ١٨٧٠ بشكل فصول مسلسلة على صفحات مجلة « روضة المدارس المصرية » التي تعد أول مجلة ثقافية عربية ، وكانت بعنوان « بث المعارف ، ونث العوارف » ، قدمها (ميخائيل افندي عبدالسيد) أحد أنجب تلاميذ الطهطاوي . بعد ذلك بفترة طويلة ، قام محمد حامد الأفندي بدراسة عام ١٩٥٥ ، استهدفت التعرف على ميول القراء واهتماماتهم . وقدم « السيد يس » عام ١٩٧٠ محاولة أخرى في إطار دراسته للمشكلات النظرية والمنهجية للتحليل الاجتماعي للأدب . ويقوم حاليا الباحث التونسي د . عبدالقادر بن الشيخ بإجراء بحوث تتصل بهذا المجال .

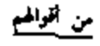
عموما يمكن القول أن أبحاث القراءة مازالت تعتريها صعوبات عديدة ، نتيجة عدم توافر الأرقام الصحيحة حول القراء واقتصارها على الدراسات ذات السطحية الاستطلاعية أو المسحية ، وعدم تحديد مسالكها أو أساليبها المنهجية .

وربما لهذا السبب تبذل هذه الأيام محاولات لتنمية مبحث سوسيولوجي حول القراءة ، يطلق عليه (علم اجتماع القراءة) ويتناول تحديد طابعها الاجتماعي ، ومجموعة الارتباطات والتعميمات التجريبية المتعلقة بالقضايا التي تلخص اطراد العلاقة بين ظاهرة القراءة وبين الجماعات والنظم الاجتماعية المكونة للبناء الاجتماعي .

على أي حال فإن كتابة واعية عن القراءة في وطننا العربي لابد أن تبدأ بتحليل لعمليات التعبير الاجتماعي والثقافي ومؤشراته ، وكشف نقاط البدء ، والتطوير ، ومعاينة لتبني استمرارية الشخصية القومية .

وهكذا كلما انطوت الصفحة الأخيرة من الكتاب تبقى القراءة محاورة حيّة متجددة ، ومتصلة عميقة . يقول « مرشكين » في مقطعها الأخير .

مهما تكن أيها القارىء
عدوا أو صديقا ، فإنني أريد منك
أن تفترق المحبة ▢





● خصص للتفكير في كل ما يقلقك نصف ساعة معينة وسط النهار ، ثم استغرق في النوم خلال تلك الفترة !

● أنجح طريقة تجلب بها النوم إلى عينيك ، هي أن تفكر في أن الوقت قد حان للاستيقاظ .

● المأدبة الصاخبة الفوضوية هي المأدبة التي يقيمها أحد جيرانك ولا يدعوك إليها !

أكثر من امرأة

شعر: شوقي بغدادي

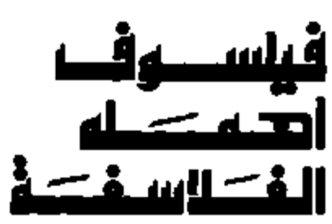
لم تكوني مرآةً
كي أستحمّ بالضوء في لجّته
ولا شاطئاً أسرح في أقاصيها
حول المرافئ
لم تكوني جسداً
كي أعبّ اللذّات في لجّته
ولا أسطورة أعثر على أشباهها
بين الناس
لم تكوني حلماً
كي أنتشي كالطفل إذ ألمس
ولهو ليس يرقص في الضوء
وحده القلب
إذ تهيأ للرقص عند الباب
للريح والظلّ وسطو الرصاصة
كيف أكسر على إيقاع عليّ
ولما مشى على شفاه عشيقتي
في أحضان حرب الروح
وإذ أسرعت
أو تسكب من تاريخه أن تصير جديداً
وأن أسير سريعاً

صنماً لا يصلّى
ما الذي تجلو المرايا
بأسرار القصائد
وبصباح النساء
والسر العاشقي
حين تلمس حكمة الدنيا على صدري
وفي عروقي الأحاديث
وأصبح للألفاظ وجهان
كأن قلبه الأسرى في يديها
عبر لعاب الليالي
سيأتي الحمام في إيقاع غاضب
تسهر لها نجمتي
غابات صبح جديد
في سرّ الشعر
يرمي شبكته الشعر في لغتها
كلاماً ناقصاً
أكمله عنك
بألفاظ مفعمة بهمس غامض
أو ناقصاً للمعنى
هنا على مكان ما



هِبَةُ الشعرِ للتي ترقُصُ
والساقُ التي تأتي إلى الساقِ
فتلتفُّ عليها
ثمّ تلتفُّ وتلتفُّ عليها
عندما تكتملُ الجملةُ
تنسى القومَ ما تعنيهِ حقاً
وما لا تقصدين
لم تكوني موسماً
كنتِ تصريفَ النغم
لا يختمُ الجسدُ إلا لابتداءِ
لم تكوني رعشةً في الكأسِ
كنتِ الكأسَ
لا تفرغُ إلا لامتلاءِ
أنتِ مَنْ أعلنَ
والأخرى التي أنضجُ
لعلكِ ، ولم الشعرُ يمحي
كنتِ لي كُلَّ الفضاءِ
لم تكوني امرأةً واحدةً لي
أنتِ حسب مزاياهن
يا كُلَّ النساءِ !





بقلم : الدكتور أحمد أبوزيد

«يزخر تاريخ الفلسفة بعدد من الفلاسفة الذين لم ينالوا حظهم من الشهرة والذيوع، وهذا واحد منهم، قدم إسهامات رائعة في فلسفة التاريخ وعلم الجمال وعلوم اللاهوت، بينما لم يقدم تأثيرا واضحا في الفلسفة الأكاديمية، ولم ينل حظه من الدراسة والتعريف».

تشهد الأوساط الثقافية و«الأكاديمية» في الخارج حركة نشطة، لإعادة النظر في كثير من الأعمال والحركات الفكرية، في ضوء المناهج والأساليب العلمية الحديثة من جهة، واكتشاف بعض الجوانب التي كانت مجهولة من أصحاب هذه الأعمال، والعوامل التي تدخلت في تشكيل أفكارهم من جهة أخرى. وقد أدى ذلك النشاط الجديد إلى نتائج مثيرة وغريبة، قلبت موازين الأحكام حول كثير من المفكرين والعلماء والفلاسفة والأدباء. فقد عرف الناس مثلا ـ أن النتائج التي أعلن عالم النفس البريطاني الكبير سيريل بيرت، أنه توصل إليها من التجارب التي كان يقوم بها، هي نتائج مزيفة، اعتمدت على عمليات تزوير متقنة، للتدليل على أمور كان يؤمن بها مسبقا. كذلك عرف الناس أن عالمة الأنثربولوجيا الأمريكية الشهيرة مارجريت ميد، لم تعتمد في كتاباتها عن الفتاة المراهقة في جزر «ساموا» على المعلومات التي زعمت أنها جمعتها بنفسها، أثناء إقامتها الطويلة في تلك الجزر، بل إن جانبا كبيرا جداً من هذه (المعلومات) كان من صنع الخيال، ولا يمت إلى الواقع بصلة. كذلك عرف الناس كثيرا من الحقائق عن إدمان عالم النفس التحليلي زيجموند فرويد للكوكايين، كما عرفوا أن نظريته عن الجنس كانت نابعة ـ إلى حد ما، على الأقل ـ من علاقاته الجنسية الداعرة مع أخت زوجته، وهكذا. ولكن على الجانب الآخر أفلح بعض الباحثين الجادين في إلقاء كثير من الأضواء على مفكرين وكتاب وفلاسفة، طال إهمالهم، ولم يلقوا أثناء حياتهم ما يستحقون من اهتمام وتقدير، على الرغم مما تتميز به أعمالهم من عمق ينم عن اتساع الأفق وقوة التفكير



● روبن جورج كولنجوود

وجدية النظرة إلى الإنسان وإلى العالم.

وربما كان الفيلسوف البريطاني المغمور - نسبيا - روبن جورج كولنجوود (١٨٨٩ - ١٩٤٣) واحدا من أهم هؤلاء المفكرين، فقد تحالفت ضده ظروفه وشخصيته ومزاجه واتجاهاته الفلسفية ورؤيته للعالم وللحياة، وعداء زملائه من الفلاسفة، والتغيرات التي طرأت على الحركة الفكرية والاتجاهات الفلسفية، ورفضه السير في ركاب هذه التغيرات، وقد أهمل الفلاسفة «الاكاديميون» كولنجوود، وأغفلوا شأنه، بل وعاملوه بكثير من الاستخفاف. وأخيرا انتبهت إلى فلسفته بعض الهيئات العلمية، وبخاصة في أمريكا، وظهر حول فلسفته وآرائه ونظريته «الميتافيزيقية» على الأخص عدد كبير من الكتب والدراسات، بل وأصبحت كتاباته موضوعا لعدد من الرسائل الجامعية، كما أعيد نشر معظم أعماله ولاقت هذه الأعمال كثيرا من العناية من المتخصصين في كثير من فروع الدراسات الانسانية، علاوة على الفلسفة بالمعنى الدقيق للكلمة، فلم تكن كتابات كولنجوود مقصورة على المسائل «الميتافيزيقية»، كما هو الشأن في كتابه «مقال في الميتافيزيقا» الذي نشره عام ١٩٤٠، وإنما تناولت هذه الكتابات موضوعات متنوعة عديدة، بدءاً من «فلسفة الفن» الى «المنهج الفلسفي»، الى «فكرة الطبيعة»، الى «مبادىء الفن»، الى «الدين والفلسفة»، فقد كان كولنجوود يرى موضوع الفلسفة واسعا سعة الحياة نفسها.

المضنون به أهله

والواقع أن تأثير كولنجوود في ما يمكن تسميته الفلسفة «الاكاديمية» ظل غاية في الضآلة، وإن كان الأمر على العكس من ذلك تماما بين غير الفلاسفة من المفكرين والمثقفين. وهو ينتمي بذلك الى تلك الفئة من الفلاسفة الذين ذاعت كتاباتهم وآراؤهم ذيوعا واسعا خارج النطاق «الأكاديمي» الضيق، وهم الذين يعد «برتراند رسل» أفضل مثال لهم في بريطانيا. ولذا فليس غريبا أن نجد أستاذا، مثل: لويس مينك الذي يعد من كبار المتخصصين في فلسفة كولنجوود، يقول: إن طلبة التاريخ الذين لم يحرزوا، منذ تخرجهم في الجامعة، كتابا واحدا في الفلسفة،

أقبلوا بنهم على قراءة كتاب كولنجوود عن (فكرة التاريخ)، وأن النقاد والمتخصصين في نظريات الفن كانوا يقبلون على كتابه عن (مبادىء الفن) بالإقبال والشغف اللذين يحظى بهما أي كتاب متخصص، ومتميز في علم الجمال، وأنه على الرغم من أن كولنجوود لم يكن من رجال الدين فإن مدارس اللاهوت تعرف عن كتابه (الدين والفلسفة)، وعن آرائه في الدين، أكثر مما تعرف أقسام الفلسفة في الجامعات عن ذلك الكتاب. ولذا نجد كثيرا من الكتّاب - حسب قول مينك أيضا - يصفون كولنجوود بأنه الفيلسوف المغبون الذي يهمله الفلاسفة، بدون وجه حق، بل إن هناك من يعده على هذا الأساس أشهر مفكر مغبون في عصرنا الحديث.

وجانب من المسئولية عن هذا الإهمال والإغفال يقع على كاهل كولنجوود نفسه، فقد كان شديد الاعتزاز بآرائه وبشخصيته، إلى حد العجرفة والغرور، ولم يكن يأبه كثيرا بأن يكون قريبا من زملائه، بقدر ما كان يهتم بالتدليل على صحة آرائه، وفرض هذه الآراء، وأن يكون على احترام وتقدير لقدراته الخاصة. ولذا كان زملاؤه يصمونه بالغطرسة و«الدجماطيقية». ولم يكن يعطي كل وقته أو جهده للفلسفة بالمعنى الدقيق للكلمة، وإنما كان يجمع دائما بين الفلسفة والتاريخ، ويحاول التوفيق والتقريب بينهما. وربما كان تأثير والده عليه هو السبب في اتجاهه هذا الاتجاه المتشعب، فقد كان أبوه رساما مصورا، أو من المهتمين بالبحوث والدراسات «الاركيولوجية». وقد تلقى تعليمه في البيت حتى سن الثالثة عشرة، فأجاد اللاتينية واليونانية وهو في الثامنة من عمره، وأتيحت له فرصة هائلة للقراءة الحرة المتنوعة، كما ظل طوال حياته يمارس الرسم والتأليف، ثم التحق بجامعة اكسفورد عام ١٩٠٨، وحين تخرج تولى تدريس الفلسفة فيها، ابتداء من عام ١٩١٢، حتى تقاعده كأستاذ للميتافيزيقا عام ١٩٤١،

وقد تبدو هذه حياة عادية طبيعية مألوفة بالنسبة لأستاذ «أكاديمي»، ولكن وراء هذا المظهر الخارجي كانت تختفي أمور أخرى كثيرة، باعدت بينه وبين زملائه من الفلاسفة (الأكاديميين) الذين تعمدوا إهماله على الرغم من أستاذيته.

اهتمامات متعددة

فلقد أخذ علم الآثار «الاركيولوجيا» جانبا كبيرا من وقته في الفترة بين عام ١٩١١ - و ١٩٣٤، لدرجة أنه كان يعد حجة في العصر الروماني في بريطانيا، وله عن هذه الفترة أكثر من كتاب، مع أنه كان يشغل وظيفة تدريس الفلسفة في اكسفورد.

بل إن قصة اشتغاله بالفلسفة واهتمامه بها كانت تثير كثيرا من التحفظات إزاءه بين «الأكاديميين». وهو نفسه يعترف في (سيرته الذاتية) بأنه وجد نفسه يميل الى الفلسفة، ثم يهتم بها دون أن يفهم سبب ذلك، وأن المرة الأولى التي شعر فيها بأن الفلسفة تجذبه إليها كانت حين وقع في يده بطريق (الصدفة) كتابا بعنوان (نظرية الأخلاق عند «كانت»)، وكان عمره حينذاك ثمانية أعوام. وقد تصفح الكتاب من باب (الفضول)، فإذا به تنتابه موجة من الانفعال والأحاسيس المتلاطمة، ويسيطر عليه كثير من القلق، لأنه وجد نفسه يقرأ أشياء لا يستطيع فهمها، على الرغم من أنها مكتوبة بلغة انجليزية سليمة واضحة. لكن معاني الألفاظ كانت تثير فيه الحيرة والارتباك والاضطراب، وأحس بأنه ينبغي عليه أن يفهم هذا الكلام، ومعاني هذه الألفاظ بأي شكل ومهما كان الثمن، كما أدرك أن موضوع الكتاب يجب أن يكون شغله الشاغل ومهمته الأساسية، على الرغم من أنه لم يكن يفهم محتويات الكتاب. وحين قرر أن ذلك العمل سوف يكون

بمثابة مهمة خاصة وشخصية، وأنه سوف يؤلف بذلك جزءا من ذاته في المستقبل. شعر ـ كما يقول ـ بأن غشاوة قد رفعت عنه، وأن مصيره قد تقرر نهائيا. ومنذ ذلك الحين أصبح يخضع لشعور غريب، يقول : «إنني أنوء تحت عبء ثقيل، لا أستطيع تحديد طبيعته، إلا أن أقول : إنني يجب أن أفكر. أما ما يجب أن أفكر فيه تحديدا فما لم أكن أعرفه. وحين كنت أرضخ لذلك الأمر كان يسيطر عليّ الصمت والسكون، وأنفصل تماما عما يدور حولي وأنا جالس بين الناس، أو أبحث عن العزلة والوحدة حتى أستطيع التفكير. ولست أستطيع حتى الآن أن أبين بماذا كنت أفكر، إذ لم تكن هناك أسئلة محددة أسألها لنفسي، ولم تكن هناك موضوعات خاصة أوجه تفكيري نحوها، وإنما كان هناك فقط نوع من الاضطراب الذهني غير محدد وغير هادف، كما لو كنت أصارع وسط ضباب». ولقد لا يرضى الفلاسفة الاكاديميون عن ذلك كل الرضى .

انتباه للمعرفة الإنسانية

وزاد ابتعاد زملائه عنه أنه دون زملائه من فلاسفة اكسفورد ، ظل حريصا على حمل لواء الفلسفة (النسقية)، بمعنى أنه كان يرى أن الفلسفة في صميمها عقلية ونسقية، وأنها محاولة لصياغة المعرفة الإنسانية في صورة نسقية. وكان فلاسفة اكسفورد قد تركوا ذلك الموقف وهذه النظرة في الفترة التي كان كولنجوود عاكفا فيها على إنجاز أعماله الرئيسية ومؤلفاته المهمة ، وهي فترة تمتد الى حوالي ربع قرن، وذلك ابتداء من كتابه عن (الدين والفلسفة) الذي صدر عام ١٩١٦، حتى كتابه الأخير عن (اللوياثان الجديد) الذي صدر عام ١٩٤٢ ، أي قبل وفاته بسنة واحدة. كانت الفلسفة تتغير بسرعة هائلة في بريطانيا، وربما كان ذلك التغيير أوضح وأعمق في اكسفورد عنه في أي مكان آخر. كانت المثالية التي ينادي بها فلاسفة من أمثال : جرين وبرادلي قد بدأت تنحسر وتتوارى امام الواقعية التي كان يمثلها كوك ويلسون وبريتشارد. ولكن هذه لم تلبث أن سادت عليها الفلسفة التحليلية. لكن كولنجوود الذي كان يعتز بفرديته وأصالته واستقلاله الفكري لم يحاول المشاركة أو السير في تيار هذه التغيرات. وكانت النتيجة أنه وجد نفسه يقف وحيدا، بل ويكاد يكون منبوذا من زملائه «الأكاديميين». وأغلب الظن أنه لم يكن يأبه بذلك كثيرا.

والمهم هو أن كولنجوود كان كثير الاهتمام بمشكلة البحث عن العلاقة بين الفلسفة والتخصصات الأخرى، في مجال الإنسانيات، وبخاصة التاريخ، فكتابه عن الدين والفلسفة محاولة لتحليل الدين، من حيث هو شكل من أشكال المعرفة. وكتابه الأساسي المهم المعروف باسم (خريطة المعرفة) الذي صدر عام ١٩٢٤، هو نوع من المشروع عن فلسفة الثقافة ، وفيه يؤكد وحدة العقل التي تدور حول خمس صور من التجربة، وهي : الفن والدين والعلم والتاريخ والفلسفة. ومن هنا كانت أعمال كولنجوود تدور أيضا حول هذه الصور الخمس للتجربة الإنسانية، وتبعده بالتالي عن الفلاسفة البريطانيين المعاصرين له. ولكن تبقى بعد ذلك كله محاولته لدمج الفلسفة والتاريخ، فهذه المحاولة تعد أهم إسهاماته، بل واحدة من أهم الاسهامات التي قامت في القرن العشرين للتقريب بين الاثنين. ويعبر كتابه (فكرة التاريخ) الذي نشر بعد وفاته تعبيرا صادقا قويا عن هذه المحاولة الجديرة بالدراسة والتحليل. والطريف في الأمر هو أنه على الرغم من أن كولنجوود يكاد يكون غير معروف في وطننا العربي فإن كتاب (فكرة التاريخ) كان قد تم نقله إلى العربية منذ سنين، حين كانت هناك حركة جادة للترجمة في مصر.



- إن رجال الأعمال الأمريكيين نظاميون جدا، فهم يضعون غذاءهم على الجهة اليمنى من أدراجهم، وعشاءهم على الجهة اليسرى.

إيليا اهرنبرغ

- ليس التفكير ممنوعا في أن انجلترا لم تغز منذ سنة ١٠٦٦ إلا لأن الأجانب يخشون أن يضطروا إلى قضاء يوم أحد فيها.

بيير دانينوس

- الفرنسي يغني خطأ، ويفكر تفكيرا صحيحا، والألماني يغني بطريقة صحيحة، ويفكر خطأ، أما الإيطالي فلا يفكر ألبتة لكنه يغني.

هنري دو رينيه

قاموس الظرفاء

المظلوم: شخص يعيش بين حاشية من الصعاليك.

الخطيب الماهر: هو ذلك الشخص الذي يستطيع قول القليل بأكثر ما يمكن من الكلمات.

الزوج: هو ذلك الرجل الذي يقف إلى جانب زوجته في الملمات التي ما كانت ستحدث لو لم يتزوجها.

من العالم

• غريق

كان أحد الانجليز يمر على ضفة نهر التايمز، عندما سمع صوت استغاثة، ولما نظر ناحية الصوت شاهد رجلا يحرك ذراعيه ويصيح بكل قواه طالبا النجدة، فسأله: لماذا تصيح بهذا الشكل؟

- ألا ترى أنني أغرق؟

- وماذا سيفيدك الصياح؟ هل تعتقد أنك ستعوم إذا رفعت صوتك؟!

□□□

• دقة

غمرت الفرحة قلب «جون» عندما أنجبت زوجته قبل ربع ساعة طفلا ذكرا، سماه «جون» على اسمه، وفي تلك اللحظة قرع ساعي البريد الباب وقال:

رسالة مسجلة باسم السيد جون.

فسأله الأب السعيد: أي جون، الأب أم الابن؟

□□□

• لا يعرف

زلّت قدم عامل بناء فوقع من الطابق الخامس، ومن حسن حظه هبط على كومة رمال فلم يُصب بسوء، ولما تجمع الناس حوله وركض الشرطي نحوه، وراح يبعد الناس عن المكان، ثم اقترب من العامل وسأله:

- ماذا يحدث هنا؟

- فرد العامل: لا أعرف، لقد وصلت الآن.

مضحكات عربيــة

• النحوي والخياط

خرج نحويّ إلى مزرعة له ، وكان راكبا فرسه ، ووراءها مُهرها ، فأفلتت منه ومعها مُهرها ، فخرج يسأل عنها ، فمر بخياط فقال : يا ذا النصاح وذات السم الطاعن في غير وخز لغير جدى ، هل رأيت الخيفانة القباء ، يتبعها الحاسن الموهف كأن غرته القمر الأزهر ينير في حضره كالحلب الأجرد ؟ فقال الخياط : اطلبها في ترلخ . فقال : ويلك ، ما تقول قبحك الله ؟ فما أفهم رطانتك . فقال الخياط : لعن الله أبغضنا لفظا وأعطانا منطقا . □□□

• نظافة

سمع سعد زغلول أحدهم يطعن في بعض الأشخاص الذين تنقلوا بين الأحزاب فقال لمن حوله : بالعكس ، فأنا أراه من أصحاب المبادىء النظيفة ، فدهش الحاضرون وسألوه : وكيف ذلك ؟

فأجاب : لأنه دائما يغيرها حتى لا تتسخ ! □□□





• صراحة

قل ما الذي يعنيني
إن قام زيد أو قعد
أو إن ذهبت سائحا
أو راكباً نحو البلد
أو كان زيد مبتدأ
أو فاعلا منذ الأبد
في النحو لا تشغلني
إلا تفاصيل العدد
وأفضل التفضيل كم
قد شاء فيه وقرد
وغير هذا شغلة
تبًّا لهاتيك العُقَد
ترى بها تراجعاً
بدون عمرو أو زيد
مفهومة جميعها
بـ «إلى غير ما ورد»





يرى فيها بعضهم - في الغرب - امتدادا ساكنا أخضر للجزء الأكبر والأكثر حركة من ألمانيا، ذلك الجزء الذي تشغله جمهورية ألمانيا الاتحادية، بكل صخب المصانع الهادرة على أرضها، والأبخرة المتصاعدة من مداخنها، والقوة الاقتصادية الهائلة التي تمثلها. يرى فيها هذا البعض - بحسن نية أو بخبث - الركن الهادىء الجميل الذي لم تلوثه الصناعة! ولم يفسد أبناءه ثراء فاحش فهل هي كذلك حقا؟

في مثل هذه الأيام، منذ أربعين سنة خلت، ظهرت إلى الوجود دولة جديدة في ألمانيا، عرفت منذ ذلك الحين بجمهورية ألمانيا الديمقراطية، تمييزا لها عن شقيقتها «اللدود» ألمانيا الاتحادية التي أعلن عن تأسيسها قبل ذلك بشهر واحد. ولقد أدى إلى ظهور هاتين الدولتين في الفترة القلقة التي تفصل بين صمت المدافع في الثامن من أيار «مايو» عام ١٩٤٥، وبين السابع من أكتوبر عام ١٩٤٩، صراع إرادات وأهداف استراتيجية لدول كبرى منتصرة، كانت تتفق - حتى ذلك الحين - على أشياء كثيرة، أبرزها تجزئة ألمانيا، ففي ذلك تعزيز لأمن العالم، كما كان الحلفاء يرون.

وحين وصلنا برلين، في أول زيارة تقوم بها «العربي» إليها، كان الوقت ظهرا والجو صحوا، والشمس تتوسط سماء صافية إلا من بعض الغيوم. ولكن للطمأنينة إلى الصحو والشمس المشرقة في أوروبا كالطمأنينة إلى زوج لعوب، كلاهما يكتشف - ولو بعد حين - أنه مخدوع! فسرعان ما تكاثفت الغيوم، وحجبت وجه الشمس، وتساقط المطر، على أن مطر الصيف - كسحاب الصيف - لا يلبث أن يزول، متيحا بذلك فرصة للطواف في برلين، بكل ما يجتمع لها من حسن المنظر وجمال العمارة وسعة الشوارع والفخامة للمباني وروعتها، فهي قديمة جديدة، ولهذا القديم والجديد قصة ليست بعيدة عن ذاكرة الناس ممن يعون أحداث الثلاثينيات والأربعينيات. كانت برلين آنذاك واحدة من أعظم عواصم الدنيا وأشدها خطرا، لا يكاد يصدر تصريح فيها حتى تجد أصداء له في أقصى بلدان العالم وأدناها. على أن برلين نفسها كانت تحمل في رحمها جنينا خبيثا، لم تستطع التخلص منه إلا بعد حرب ضروس، حصدت ملايين البشر، وأتت على مدن بأكملها.

كانت برلين واحدة من تلك المدن الألمانية الكثيرة التي أصابها دمار الحرب. وليست الأربعون سنة الماضية من عمر الدولة الفتية إلا الامتداد الزمني للحركة الدائبة، والجهد الإنساني اللذين لولاهما لما استطاعت برلين وغيرها - من المدن الألمانية - أن تبعث من جديد لتغدو مدينة سلام وأمن.

الأنقاض تملأ الطرق

قال جونتر بيرجنر، معاون دائرة الصحافة في مجلس المدينة: «هدمت برلين تماما خلال

الحرب ، وتحول مركز المدينة إلى أنقاض تعوق الحركة . لم يكن فيها ماء ولا كهرباء ، وكان الناس ينامون على الأرصفة . كان التحدي الأكبر الذي واجهنا في ذلك الوقت هو إزالة الأنقاض وإعادة البناء والحياة » !

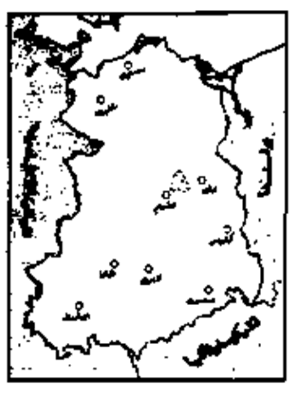
كان ينبغي للحياة أن تعود نشطة ، لمدينة ظلت تحفل بالحركة الدائبة في ميادين الإبداع الإنساني بعامة من ثقافة وفنون وعلوم وصناعة وتجارة ، على مدى تاريخ طويل . ويرجع أول عهود المدينة إلى عام ١٣٠٧ ، حين اتحدت قريتا كولن وبرلين ، وتكون لهما مجلس بلدي مشترك . وفي أواسط القرن الخامس عشر عمل أمراء أسرة هوهنتزولرن الأقوياء على إخضاع المدينة الصغيرة الناشئة ، وكانت تتمتع باستقلال نسبي ، بعيدا عن نفوذ النبلاء ، لكن برلين تأثرت كثيرا بحرب الثلاثين عاما الدينية ، بعد أن تورطت فيها بلدان عديدة في وسط أوروبا ، وهي الحرب التي اتخذ منها الكاتب المسرحي الألماني الشهير ، برتولت بريخت ، خلفية مسرحيته المرموقة « الأم شجاعة وأولادها » .

بداية الظهور والتأثير

ظلت برلين على حالها دونما شيء يميزها عن غيرها ، إلى أن جاء أحد الأمراء من أسرة هوهنتزولرن ، في أواخر القرن السابع عشر ، وأعلن نفسه ملكا على بروسيا ، واتخذها مقرا لإقامته ، وكان ذلك يؤذن ببدء جديد للمدينة .

حينئذ أخذت مظاهر التطور تأخذ سبيلها إلى العاصمة الفتية ، وتأسس الشارع العريق « أونتر دين ليندن » .

منذ عامين احتفلت برلين العاصمة بمرور ٧٥٠ سنة على تأسيسها ، وقد شهدت تغيرات كثيرة في مسيرها منذ نشأتها ، إلا أن التغيرات التي شهدتها في الأربعين سنة الماضية ، ومنذ أوائل الستينات بخاصة ، كانت الأكثر أهمية .



● خريطة ألمانيا الديمقراطية والدول المحيطة بها .

وبفضل إعادة البناء أصبحت برلين أول مدينة صناعية في ألمانيا الديمقراطية . على أن اللافت للنظر هو حركة العمران الهائلة التي وفرت السكن اللائق لأكثر من ثمانمائة ألف مواطن . لقد تزايد عدد سكانها بسبب الهجرة من الأقاليم ، حتى بلغ الآن مليونا ومائتي ألف ساكن . ورافق هذه الزيادة إنشاء ثلاثة أحياء سكنية جديدة ، تضاف إلى الأحياء الثمانية السابقة ، وتتوافر لكل منها مظاهر الحياة ولوازمها الكاملة ، ففي كل حي ما يخصه من رياض الأطفال والمدارس ونوادي الشباب والمسارح ودور السينما ، وكل ما تقتضيه رفاهية العيش ويسره .

سور برلين والبوابة الشهيرة

يندهش الزائر حين يرى كل آثارات الهدم على الأبنية التاريخية التي حدثت في الحرب ، ثم أعيد

بناؤها مجددا ، فلا يخطر له على بال إلا أنها قديمة ، وذلك عائد إلى فن العمارة الحديث ، إذ يراعى في البناء أن يشهد على طراز العمارة القديم ، بحسب القرن الذي شيد فيه المبنى لأول مرة . ثم تكتسب مواد البناء من حجارة رملية أو طابوق الألوان الداكنة التي يفترض أن توالي السنين قد تركتها على الجدران القديمة . والأمثلة كثيرة ، فالسائر في شارع أونتردن لندن العريض الذي يمتد شرقا ليصل إلى مركز برلين العاصمة ، ويمتد غربا فتشرف بوابة براندنبورج التي تقع اليوم في وسط سور برلين الفاصل بين شطري المدينة ، يرى المباني التاريخية المرممة ، أو التي أعيد بناؤها . إن ذكر البوابة والسور يقتضي وقفة قصيرة للتحدث عنهما . لم تكن الحدود مغلقة بين الجمهوريتين الألمانيتين بعد تأسيس ألمانيا الديمقراطية ، بل ظلت الطرق مفتوحة والاتصالات جارية ، لكن هذه الحدود المفتوحة صارت مصدر خطر ومتاعب للدولة الناشئة ، فقد انتشرت المضاربات بالعملات وكانت هناك محاولات للتخريب والتهريب والحض على العصيان وإغراء الأيدي العاملة الاختصاصية على مغادرة البلد ، وقد ترتب على ذلك خسائر قدرت بعشرات المليارات من الماركات باتت تهدد التجربة الاقتصادية الجديدة بالفشل لذا عمدت الجهات المختصة في ألمانيا الديمقراطية إلى فرض سيطرتها على هذه الحدود ، وباشرت بإقامة السور الذي يحيط ببرلين الغربية ليحكم السيطرة على حركة الدخول منها وإليها .

صروح معمارية قديمة حديثة

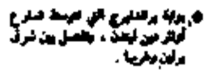
إذا جاوزت بوابة براندنبورج ، واتجهت شرقا نحو مركز برلين العاصمة ، فسوف ترى المباني التاريخية التي تقدمت الإشارة إليها ، ومن تلك المباني جامعة همبولت العريقة التي أسسها العالم فيلهلم فون همبولت ، وتتلمذ فيها كارل ماركس ، وفريدريش انجلز ، وحاضر فيها فريدريش هيجل ، ودرسها في مطلع القرن التاسع عشر الفيلسوف فيخته ، ثم أكاديمية العلوم التي أسست في عام ١٧٠٠ ، وكان من أساتذتها المشهورين فيلهلم لايبنتس ، والعالم الفيزيائي الأكبر ألبرت أينشتاين ، صاحب النظرية النسبية ، وغيرهم ، وفي الجامعة لوحة تذكارية تجمع بين أينشتاين وبين عدد من الأساتذة .

يتبع جامعة همبولت مستشفى الشاريتيه المشهور الذي عمل فيه كبار الأطباء العلماء ، مثل روبرت كوخ ، مكتشف عصيات كوخ المسببة لمرض السل ، وكان هذا المستشفى قد تأسس في عام ١٧١٠ ، ثم تحول إلى مؤسسة تعليمية وتمريضية ذاعت شهرتها في أوروبا والعالم .

على بعد أمتار من مبنى الجامعة يقوم مبنى دار أوبرا الدولة ذات التقاليد العريقة ، وقد تم ترميمها في عام ١٩٨٦ ، ثم المكتبة الحكومية الألمانية التي تحفظ بالمخطوطات ، وبالطبعات الأولى لمشاهير العلماء والأدباء والفلاسفة ، وكانت قد تأسست في عام ١٦٦١ ، وتقتني من الكتب أكثر من ستة ملايين مجلد ، وفيها تحفظ مخطوطات للأمم المتحدة واليونسكو .

وبالقرب من ساحة الأكاديمية تم إعادة بناء دار التمثيل ، وهي أثر معماري عظيم أبدعه المهندس كارل شينكل ، وقد أعيد افتتاحها بعد الترميم في عام ١٩٨٤ ، لتكون دارا للحفلات الموسيقية والمقر الثابت للأوركسترا السيمفونية البرلينية . ويستطيع السائر في شارع أونتردن لندن الاستمتاع بجماله وأناقته المعاصرتين ، وبالجلال الغابر الذي تنم مبانيه التاريخية عن بعض أسراره .

وفي مركز المدينة ، عند نهاية هذا الشارع ، نجد القصر الجمهوري ، ومبنى مجلس الشعب الملحق به ، وهو بناء حديث يمتاز بالأناقة وروعة



● بوابة براندنبرج التي تتوسط شارع أونتر دين ليندن ، وتفصل بين شرق برلين وغربها .

التصميم ، وهو - فضلا عن أنه المقر الرسمي لرئيس الدولة - مكان تقام في صالاته الفسيحة الرحبة حفلات ثقافية وعروض مسرحية وغنائية . وفي مركز المدينة أيضا مبنى المسرح الألماني ، وهو بناء يشبه في تصميمه دار أوبرا الدولة ، وكان قد شيد في عام ١٨٨٣ ، وتم ترميمه وأعيد افتتاحه للجمهور .

معالم ثقافية

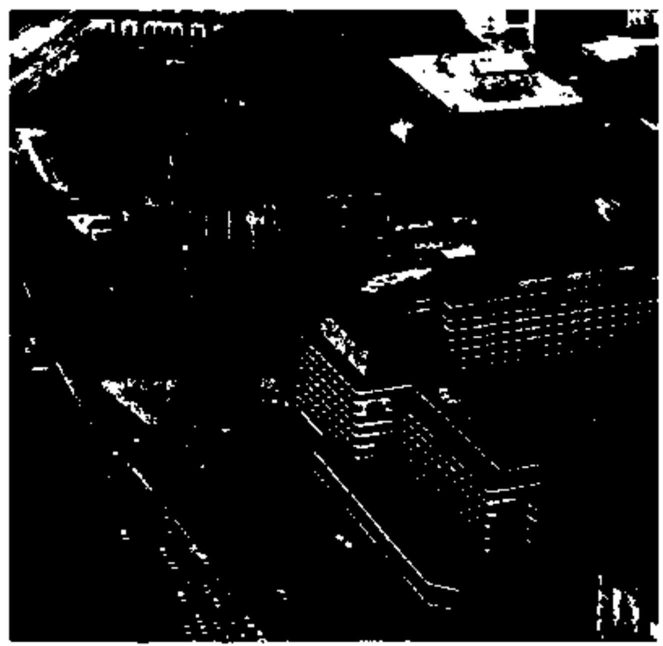
الحديث عن المسارح ودور الأوبرا والعروض الموسيقية حديث طويل ، فلكل من هذه الدور تاريخ عريق ، ولا غرابة أن برلين كانت ، منذ مطلع هذا القرن ، إحدى أهم العواصم الثقافية في أوروبا ، حسبنا أن نشير إشارة عابرة إلى مسرح « البرلينر انسامبل » ، وهو مسرح بريخت الذي يعد مزارا يقصده رواد هذا الفن القادمون من بقاع مختلفة من العالم . وهذا المسرح يقع في أحد الشوارع المهمة في برلين ، هو شارع « فريدريش شتراسه » الذي كان يعرف بشارع الفن في العشرينيات والثلاثينيات ، ففي مسارحه عمل كبار المخرجين العالميين : ماكس رينهارت ، وارفين بسكاتور ، وغيرهما ، وعزفت موسيقا هانز ايسلر ، وردد أغانيه الممثل والمغني المشهور ايرنست بوش . ومثلت على مسارحه مسرحيات جيرهارت هاوبتمان ، وفرانك فيدكند ، ورواد المسرح التعبيري الذي انطلقت ثورته من ألمانيا في الربع الأول من هذا القرن . وفي هذا الشارع أيضا آخر بيت سكنه بريخت ، وقد تحول الآن إلى متحف ومركز لدراسات المسرح . كما يقع فيه مسرح المنوعات المشهور ، وهو نموذج لما تقتنيه المسارح الحديثة من أجهزة تقنية .

ومن المسارح ودور العرض إلى المتاحف التي يبلغ عددها في برلين وحدها ٢٤ متحفا . على الجهة اليمنى من شارع فريدريش شتراسه تقع جزيرة المتاحف ، وفيها متحف بوده الذي يحمل اسم العالم فيلهلم بوده ، وهو المتحف المختص بالآثار التي ترجع إلى بدايات العصر المسيحي البيزنطي ، وفيه أجنحة يكاد كل منها يكون متحفا قائما بذاته ، من ذلك مثلا المتحف المصري الذي يحتوي آثارا من مصر القديمة ، ومتحف التماثيل ، ومعرض اللوحات ، ثم هناك متحف عصر ما قبل التاريخ ، ومتحف بيرجامون الذي يحوي آثار مدينة يونانية قديمة . وأكثر ما يلفت النظر هو متحف الشرق الأدنى الذي بني في عام ١٩٠٣ ، وفيه آثار عربية وإسلامية عديدة . وتعد بوابة عشتار من أهم مقتنيات هذا المتحف . تقول المسؤولة عن جناح الشرق الأدنى : « نقلت بوابة عشتار البابلية إلى ألمانيا في



● في وسط المدينة حيث يظهر برج برلين .





● منظر برلين من البرج ، حيث يبدو شارع اونتر دين ليندن ، وفي وسطه سور برلين وبوابة براندنبرج الفاصلة بين الشرق للمدينة وغربها .

المشربيات . وأسود بابل هذه أصلية ، وقد أحيطت ببناء حديث ، تشبه ألوانه الألوان الأصلية .

انظر إلى هذه الكتابة ، إنها كلمات نبوخذ نصر التي يقول فيها :

« أنا الملك الذي بنى هذه المدينة . . ! »

عودة إلى المركز

مركز برلين القديمة يكاد يكون متحفا ، فهو الجزء الذي يعد النواة الأولى للمدينة ، وقد أصابه الدمار في الحرب ، وفيه مجلس المدينة ، وكنيسة نيقولاي ، ويسمى كله « حي نيقولاي » ، وقد حظيت مجموعة المباني القائمة فيه باهتمام خبراء من بلدان عديدة . على هذه البقعة القديمة تقوم مجموعة متناغمة من المباني التاريخية القديمة ، وأخرى جديدة تتناسب معها ، وفي هذا الحي يسكن حوالي ١٦٠٠ مواطن في مساكن جديدة ، وتنتشر فيه المطاعم ومقاهي الرصيف الجذابة . أما كنيسة نيقولاي - أقدم بناية في برلين - فهي تشغل وسط الحي ، وقد أعيد بناؤها في بداية الثمانينات ، على نحو

يتفق وما كانت عليه قبل الهدم . وكان قد تم تركيب قمتي برج الكنيسة ، البالغ ارتفاع كل منهما ٤٣ مترا ، على الأرض اولا ، ثم رفعتا بآلة رافعة ، وركبتا على البرج الضخم . ومن المباني القديمة الأخرى في هذا الحي قصر ايفرايم الذي يرجع إلى النصف الثاني من القرن الثامن عشر . وكذلك دار المحكمة الصغيرة التي يرجع تاريخ بنائها إلى العصور الوسطى .

برلين الحديثة

قد يتبادر إلى الذهن أن مباني برلين كلها أثرية قديمة ، وهذا نصف الحقيقة ، أما نصفها الاخر فتمثله برلين الحديثة بمصانعها ومتاجرها وشوارعها الواسعة الممتدة ، ومنها شارع كارل ماركس ، وشارع ليكنشت ، وشارع لينين ، وشارع لايبزك ، وغيرها من الشوارع العديدة التي تنتشر على جوانبها الأحياء السكنية الجميلة ، وتلتقي في ساحات عامة متعددة . أشهرها ساحة الاكاديمية وساحة اليكسندر ، وفيها الساعة العالمية التي تبين التوقيت في بلدان مختلفة .

وفي ركن من هذه الساحة تمثال صغير للرسام هاينرش تسيله الذي تميزت رسومه بتصوير الحياة العامة ، ووصف العلاقات الاجتماعية السائدة بين الناس في برلين في مطلع هذا القرن ، تلك الرسوم التي ما زالت تحظى باهتمام الجمهور حتى الآن .

وفي برلين من الحدائق والبقع الخضراء ما يشغل مساحة من الأرض تقدر بحوالي ١٨٠٠ هكتار ، فضلا عن الغابات التي تغطي مساحة تقدر بـ ٧,٧٠٠ هكتار مربع ، ويضاف إلى كل ذلك بحيرات تبلغ مساحتها ٧٤٠ هكتارا مربعا ، وفي مقدمة تلك الحدائق حديقة حيوان برلين المترامية الأطراف ، وفي وسطها قصر فريدرز بشفيلد الضخم الذي اعادته أعمال الترميم ، إلى



● بقايا كنيسة في درسدن - مدينة الثقافة والفن - وقد هدمت في الحرب .

ما كان عليه من روعة قبل أن تصيبه ويلات الحرب . أما الحدائق الصغيرة المتناثرة فلا يكاد يخلو منها شارع .

الطريق إلى بوتسدام

بوتسدام مركز محافظة ، يبلغ عدد سكانها حوالي مليون و١٢٠ ألف مواطن ، يعمل ٣١٪ منهم في الصناعة ، و١٦,٠٤ ٪ في الزراعة . يرجع تاريخ تأسيس هذه المدينة إلى القرن الرابع عشر . ولم تبلغ شأواً في التطور الحضري



● لوحة فنية رائعة في مدينة درسدن ، تمثل ملوك سكسونيا على جدار أحد قصورهم

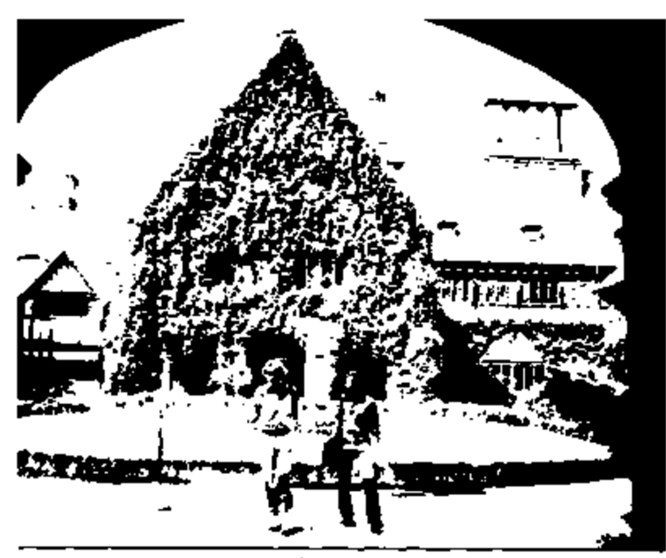
حتى القرن التاسع عشر ، عندما اتخذت منها أسرة هوهنتزلورن الحاكمة المقر الثاني بعد برلين . كانت المدينة آنذاك أشبه بمعسكر ، حيث يشكل الجنود غالبية السكان . وفي القرن الثامن عشر أخذت تكتسب مظهرها الذي تبدو عليه الآن ، فشيدت قصور الملوك البروسيين ، وفي مقدمتها قصر سان سوسي وحدائقه البديعة ، وقصر نيوبالاس ، وبيت الشاي الصيني ، ثم أعقب ذلك تشييد الحمامات الرومانية والأبنية التاريخية الأخرى في الحدائق الفسيحة الواقعة غرب المدينة . ولكن الحرب لم تبق من الأبنية التاريخية الكثير .

إن الزائر ليدهشه جمال الطبيعة من أنهار صغيرة وبحيرات وحدائق بديعة ، وفي مقدمتها حديقة سان سوسي التي اشترك في تصميمها مهندسون فرنسيون وآخرون من انكلترا ، وذلك كله يوفر متعة التطواف بالقوارب في حضن الطبيعة الخلابة .

تعرف بوتسدام بشيئين يندفعان إلى الذاكرة كلما ذكر اسم المدينة ، هما : روح بوتسدام ، ومعاهدة بوتسدام التي استسلمت ألمانيا الهتلرية بموجبها للحلفاء المنتصرين دون قيد أو شرط .

أما روح بوتسدام فهي الروح العسكرية الألمانية على النمط البروسي ، وقد تطورت عبر مرحلة تاريخية ، نمت خلالها بروسيا ، لتصبح أقوى ولاية ألمانية . وصارت رمزاً للتسلط الذي مارسته قيادتها المكونة من الارستقراطية الألمانية وأصحاب الأملاك والعسكريين الكبار الذين تحالفوا مع الرأسمالية الحديثة . وعندما تمت الوحدة الألمانية ، بقيادة بروسيا في عام ١٨٧١ ، عملت السلطة على إشاعة تلك الروح في ألمانيا كلها . وقد أخذ أنصار هذا الاتجاه يكتشفون في أنفسهم ميلاً للسيطرة على العالم . كانوا هم أنفسهم الذين أذكوا حماسة الروح الاستعمارية في أتون حد الحرية في حروب العالمية الأولى ، ثم





● قصر شلوس سيسيليا نهوف في بوتسدام التي وقعت فيه معاهدة استسلام ألمانيا

جاء النازيون إلى السلطة في عام ١٩٣٣ ليمثلوا تلك الروح . أما الشيء الآخر الذي تعرف به المدينة فهو معاهدة الاستسلام . كان المتحالفون الكبار في الحرب ضد هتلر قد ناقشوا في اجتماعاتهم التي عقدوها في طهران ويالطا الشكل الذي سوف تكون عليه ألمانيا وأوروبا بعد الحرب . وفي شهر تموز « يوليو » ، وآب « أغسطس » من عام ١٩٤٥ ، بعد الهزيمة الساحقة التي منى بها النازيون ، اجتمع رؤساء الدول المنتصرة الثلاث في قصر « شلوس سيسيلياهوف » في بوتسدام ووقعوا المعاهدة التي وضعت حدا للروح العداء ، وفرضت ـ في الوقت نفسه ـ شروطا على الشعب الألماني ، كان يقصد بها تأمين الديمقراطية وتحويله إلى شعب مسالم .

بين الشمال والجنوب

إن التكامل الاقتصادي الذي كان يقوم بين غرب ألمانيا الصناعي وشرقها الزراعي قبل الحرب ، يقوم الآن بين الشمال والجنوب . ففي الوقت الذي ترجح فيه كفة الصناعة على الزراعة في برلين ومحافظات الجنوب ، ترجح كفة الزراعة على الصناعة في محافظات الشمال . على أن الأدبيات الاقتصادية الحديثة تشير إلى جنوح قوي نحو الصناعة ، فهي تعد الآن القطاع الاقتصادي القائد في ألمانيا الديمقراطية . ويقتضي التنويه إلى أن المصانع القائمة التي يبلغ عددها حوالي ٦٢٠٠ مصنع هي ملكية شعبية ، وقد اجتمعت غالبية هذه المصانع في ١٥٦ مجمعا

صناعيا ، تنتج حوالي ٧٠٪ من الدخل القومي . ويعمل في الحقل الصناعي أكثر من ثلاثة ملايين مواطن .

ويستكمل الانتاج الصناعي الكبير من خلال ٨٦ ألف مؤسسة تعاونية وحرفية خاصة ، بالدرجة الأولى في البناء والسلع الاستهلاكية ، وأعمال الخدمات . أما المراكز الصناعية التي تسهم إسهاما فعالا في الإنتاج الصناعي ، فهي العاصمة برلين ومدن هاله ولايبزك وكارل ماركس شتادت ودرسدن وكوتبوس . وتعلق جمهورية ألمانيا الديمقراطية أهمية كبيرة على علاقاتها مع الأطراف الأخرى في مجلس التعاضد الاقتصادي (المجموعة الاقتصادية للبلدان الاشتراكية) ، وترى في ذلك حافزا على التنمية الصناعية ، وتنظم هذه العلاقات اتفاقيات اقتصادية تظل سارية المفعول حتى عام ١٩٩٠ .

البداية من الصفر

قلت للدكتور هويته : ما تقويمك للتجربة الاقتصادية والصناعية بوجه عام ؟

ـ إن أربعين سنة من تطور دولة هي فترة طويلة نسبيا ، ولكنها تعني تطورا مستمرا لبلدنا . كانت البداية صعبة ، فقد بدأنا من الصفر . دمرت معظم المؤسسات الاقتصادية في الحرب ، وتحولت مدننا وقرانا إلى أنقاض . كنا بحاجة إلى كل شيء ، وكان علينا تغطية احتياجات مواطنينا . أكثر ما كان يؤرقنا هو المقارنة بيننا وبين ألمانيا الاتحادية ، فالصناعات كلها كانت قائمة هناك ، ولم يكن لدينا منها شيء ، لذلك ركزنا جهودنا على خلق الصناعات الثقيلة وتطويرها . أما الآن فإننا ننظر إلى تجربتنا بارتياح ، فقد بلغنا مستوى ملحوظا في كل مجالات الصناعة ، وتعد ألمانيا الديمقراطية اليوم الدولة العاشرة بين الدول المتقدمة صناعيا في العالم .



● مطعم الجرو المشهور في مدينة درسدن وهو مطعم خاص .

لا يضيرنا أن تجلس في العربة الأخيرة من القطار ما دمنا لم نتخلف عن الركب . ولا ننسى أننا بدأنا قبل أربعين عاما من نقطة الصفر !

هذه العبارة يكاد الزائر يسمعها من كل مسئول : فهو في الوقت الذي يتحدث فيه بكثير من المرارة عن أيام البداية ، يتحدث بكثير من الاعتزاز والثقة بالنفس عن الحاضر والمستقبل .

لفت انتباهي في حديث الدكتور هويته قوله : « أكثر ما كان يؤرقنا هو المقارنة بيننا وبين ألمانيا الاتحادية » .

وأدركت مدى الحساسية التي تنطوي عليها هذه المقارنة ، حيث يبدو النظام الاقتصادي في الغرب هو الأكثر نجاحا ، والأوفر حظا في التفوق . ولهذا التفوق أسباب موضوعية ، ينبغي للمنصف ألا يغفل عنها . منها أن غرب ألمانيا



● في مدينة باوتسن في الجنوب حيث يحظى الصربيون الأقلية بالرعاية .

كان ـ تاريخيا ـ مركز الصناعات الألمانية ، في حين كان شرق ألمانيا ـ تاريخيا ـ مركزا مهما للزراعة وليس غريبا ـ إذن ـ أن تكون ألمانيا الاتحادية دولة صناعية متطورة . ولكن التطور الصناعي الكبير الذي حققته ألمانيا الديمقراطية ـ وقد بدأت من الصفر كما مر بنا ـ يعد إنجازا مهما . ثم إن تعداد السكان في ألمانيا الاتحادية يجاوز ٣٥ مليونا ، في حين يقترب عددهم في ألمانيا الديمقراطية من ١٧ مليون نسمة . وهناك عامل على جانب كبير من الأهمية ، وهو أن جزءا كبيرا من أموال مشروع مارشال الأمريكي الذي خصص لدعم أوروبا الغربية بعد الحرب قد اتجه إلى ألمانيا الاتحادية ، فأثر في الإسراع بإعادة بناء الاقتصاد ، في الوقت الذي اعتمدت فيه ألمانيا الديمقراطية على مواردها ، وعلى دعم من الاتحاد السوفيتي .

مجمع الشاحنات

على بعد مائة كيلومتر جنوب برلين تقوم المنشآت الضخمة لمجمع الشاحنات في مدينة لودفيج شفيلده . ينتج هذا المجمع عدة أنواع وأحجام من الشاحنات والقلابات هي IFA W50, IFA L60 ، وكذلك ينتج شاحنتين أخريين ، إحداهما بحمولة ٣ أطنان والأخرى بحمولة طنين ، وينتج كذلك عربات لجر الشاحنات ، ورافعات . يقول مسئول المصنع كلاوس جوريك : تم إنشاء هذا المجمع في عام ١٩٧٨ ، يتألف من ٢٩ مصنعا ، موزعة على تسع مقاطعات .

نحن ننتج سنويا حوالي ٣٠ ألف شاحنة ، وهذا العدد يضعنا في مصاف أكبر المصانع

الموجودة في مكان واحد في وسط أوربا. ويقول المسئول التجاري ايكهارد رينجر: يمكن القول بأن الأقطار العربية من أهم المستوردين للمنتجات، وأعني بذلك سوريا والأردن والعراق وغيرها، وذلك بالإضافة إلى إيران والصين، وقد صدرنا للأخيرة ٧٠ ألف شاحنة حتى الآن.

الثورة الخضراء

ومن حديث الصناعة إلى حديث الزراعة، فهي مع الصناعة دعامتا الاقتصاد في كل بلد. طرأ على الزراعة تحول جذري بعد عام ١٩٤٥، فقد انتزعت الملكية من كبار مالكي الأراضي بفضل الإصلاح الزراعي، ووزعت على من يفلحون الأرض ويزرعونها، أي على العمال الزراعيين السابقين، وعلى صغار الفلاحين. وسرعان ما اتضح أن إمكانية تحقيق زيادة في الإنتاج واستخدام التقنية العصرية في إطار مزارع فلاحية صغيرة أمر متعذر. لذلك لجأ الفلاحون منذ الخمسينات إلى تشكيل تعاونيات للإنتاج الزراعي، وعن هذا التحول تم الانتقال التدريجي إلى الإنتاج الزراعي الكبير الذي تستخدم فيه أساليب صناعية عصرية. وفي الوقت نفسه طرأت على حياة الفلاحين أساليب جديدة للعيش، تزيل الفروق التي تقوم عادة بين أهل الريف وسكان المدن. وتتوافر اليوم لأطفال الفلاحين فرص التحصيل العلمي نفسها وإمكانياته، بقدر ما تتوافر لأطفال المدن.

طرأت تحولات كبيرة على حياة الفلاحين. فالفلاح التعاوني يحصل على إجازة سنوية مدفوعة الأجر. وتشيد البيوت السكنية في الريف عن طريق البناء الذاتي للمساكن، وتقدم الدولة القروض لهذا الغرض. أصبحت دور الحضانة ورياض الأطفال منتشرة في جميع القرى. وتشهد مرافق الخدمات العامة والأسواق الكبيرة والمطاعم والنوادي والمرافق الرياضية الحديثة في



● في حديقة الفلاح للأطفال يقدم في القرية
برنامج احتفال سنوي وعروض فنية

الريف، وتجعلها أكثر متعة. كما تتوفر لسكان الريف العيادات الصحية ومراكز الممرضات القروية، ضمانا للرعاية الصحية.

الحرف اليدوية

كانت الجولة في مجمع الشاحنات زيارة ميدانية لنوع من الصناعات الكبيرة. لكن هناك قطاع مهم آخر، ينتمي إلى الصناعة لأكثر من سبب، وهو الحرف اليدوية. تقول الإحصائيات الرسمية: إن هناك حوالي نصف مليون من الحرفيين وأصحاب المهن الحرة، بين ستة ملايين عامل في ألمانيا الديمقراطية، وهم يحتلون مكانا واسعا في الحياة العامة، وفي هيكلة الاقتصاد الوطني. ويقوم قطاع الحرف اليدوية



● مبنى جامعة كارل ماركس في مدينة لايبزك .

حالياً بتنفيذ أكثر من ثلثي الخدمات العامة وأعمال التصليح . ومن المقرر أن تزداد الخدمات حتى عام ١٩٩٠ بنسبة ٢٨٪ مقارنة بعام ١٩٨٥ . إن التجهيز المتنامي للمنازل بسلع استهلاكية ذات قيمة عالية ، والاحتياجات الحديثة لقضاء وقت فراغ مفيد ، وتنفيذ برنامج شامل لبناء المساكن ، مع نسبة عالية من أعمال الترميم والتحديث ، كل ذلك يؤدي إلى زيادة الطلب على خدمات الحرف اليدوية .

وهي في ألمانيا الديمقراطية على نوعين : فهناك مؤسسات وورش للحرف اليدوية العاملة تعاونياً أو لحسابها الخاص . ويوجد حوالي ٢٧٠٠ تعاونية إنتاجية للحرف اليدوية ، تضم ١٦٣ ألف عضو ، وهي تستفيد من الملكية التعاونية للإنتاج على أساس نظام خاص بها . ويحصل كل الأعضاء سنوياً على نسبة من الربح ، إلى جانب الأجور التي يتقاضونها .

في درسدن زرنا غرفة الحرف اليدوية (على غرار غرفة التجارة) ، والتقينا مديرها الذي قال : لدينا ١١ ألف مصنع خاص (أي ملكية خاصة) ، و٣٦٦ تعاونية إنتاجية ، وقد تكونت هذه التعاونيات الإنتاجية من تجمع الحرفيين التعاونيين والحرفيين الذين يعملون لحسابهم الخاص . والتعاونية شكل من أشكال التنظيم ، يوفر للحرفيين كل ما يحتاجونه من المواد الخام .

والحرفيون يفيدون من التقدم العلمي ، فينتج المتخصصون منهم مكائن لطب العيون ، ومختبرات طبية ، وآلات موسيقية ، وغير ذلك كثير .

مطعم المترو (٦)

وفي المساء زرنا مطعماً خاصاً ، أي ملكية خاصة ، كل ما فيه طريف ، مدخله الذي يتكون من نصف عربة مترو ، ومشاعله ، وهي



● بوابة عشتار البابلية في متحف بيرجامون ببرلين

مقاعد مترو « مقاعد » ، وقبعات الجباة المعلقة على عمود معدني يجاوز عددها مائة وخمسين قبعة ، وجدرانه التي كتب عليها المشاهير من رواده عبارات للذكرى مشفوعة بالتوقيع ، ثم غرفة قيادة المترو ، وقد وضعت في صدر المطعم ، ويبدو أنها حجزت لنا (أنا وزميلي المصور والمرافق) لأننا ضيوف قادمون من بلد صديق بعيد !

على أن الطرافة والذكاء وسرعة البديهة وروح الدعابة الساخرة تتمثل كلها في صاحب المطعم كارل هينز بهلمان . ويبدو أن صاحب المطعم كان سائقا « للترام » في يوم ما ، أو كان محبا للركوب فيه ، لذلك جعل مطعمه يتخذ شكل عربة « ترام » . حيثما تلفتت تجد قطعة معدنية عليها حرف (H) ، وهو بالألمانية مختصر لكلمة « ترام » . وقد ذاع صيت هذا المطعم وصيت صاحبه ، فكتبت عنه صحف في بلدان مجاورة ، لذلك ليس غريبا أن تجد فيه ضيوفا من تشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا وألمانيا الاتحادية ، فضلا عن ضيوفه القادمين من مدن ألمانية متعددة . شعار المطعم (٦ × ٦) ، وفي السادس من الشهر السادس يحتفل بعيد إنشائه السادس ، لذلك يقوم بطلاء أجساد ٦ فتيات بدلا من إضاءة ٦ شموع .

أما حديثه فيستغرق أكثر من ساعة ، هي كلها وقت للضحك والفكاهة ، ولا يخلو الأمر من تعليقات سياسية كقوله .

هناك أناس غادروا جمهوريتنا ، في وقت ما ، إلى ألمانيا الاتحادية (إلى الغرب) ، وهم الآن يبكون لأنهم أدركوا أن الشمس تشرق في الشرق أبدا !

وتعد مؤسسات الحرف اليدوية الخاصة



● فتيات يحتفلن باليوم الأول من يونيو في حديقة الطلائع ببرلين .

مؤسسات صغيرة تابعة غالبا لملكية عائلية . تضم الواحدة منها عشرة من العمال ، كحد أقصى . ويوجد حاليا أكثر من ٨٠ ألف مؤسسة ، يعمل فيها حوالي ٢٦٠ ألف عامل .

أصدقاؤنا العرب

لا يسع العربي أينما ذهب إلا أن يبحث عن أشقائه العرب : أماكن وجودهم ، طبيعة الأعمال أو المهنة التي أتت بهم حيث هم ، العلاقات القائمة بينهم وبين مضيفيهم من مواطني البلد الذي يوجدون فيه ، آثارهم الباقية ، وما إلى ذلك من شؤون . ومن لنا من أشقائنا في جمهورية ألمانيا الديمقراطية مثل الصديق الدكتور عادل قرشولي ؟ ولكنه في لايبزك ! وماذا في ذلك ؟

إنه عربي من سورية ، وقد مضى على بقائه في ألمانيا الديمقراطية قرابة ربع قرن ، ويعمل أستاذا في مركز الدراسات العربية والأفريقية التابع لجامعة كارل ماركس في لايبزك ، وله مؤلفات عديدة بالألمانية شعرا ونثرا . كنا التقيناه في مركز الدراسات بالجامعة ، وقد شارك فيه البروفسور بريسلر ، المستعرب اللامع ، ورئيس المركز ، والدكتور شولتز . قال البروفسور بريسلر معرفا بالمركز : هو مركز للبحوث ، والتدريس للغة العربية وآدابها في الوطن العربي ، والبحوث المتصلة بأفريقيا غير العربية . يعمل فيه عدد من المختصين في العلوم الاجتماعية المختلفة ، منهم المؤرخون والاقتصاديون والحقوقيون والمختصون بالثقافة والأدب ، وعددهم أكثر من مائة باحث ، منهم المستعربون ومنهم المختصون بالشؤون الأفريقية والهند ومصر القديمة والصين .

أما الدكتور قرشولي فقد قال في لقائه الخاص : العرب في ألمانيا الديمقراطية جالية صغيرة ، أغلب أفرادها من الطلبة الموفدين ، وهم معروفون بالمغادرة بعد انتهاء الدراسة . وهناك عدد قليل جدا غيرهم ممن يعملون إما أساتذة في بعض التخصصات ، أو يقيمون في ألمانيا لأنهم أزواج لسيدات ألمانيات ، ويقومون ببعض الأعمال الخاصة .

أما صورة العلاقات الرسمية التي تربط ألمانيا الديمقراطية بأقطار الوطن العربي ، فقد تحدث عنها وعن غيرها من الشؤون الألمانية الدكتور هاينتس ديتر هينتز ، نائب وزير الخارجية الذي استقبلنا في مكتبه بوزارة الخارجية في برلين ، فقال :

على الرغم من وجود علاقات دبلوماسية واقتصادية مع أكثر الأقطار العربية فإننا نتطلع دائما إلى تطويرها والوصول بها إلى مستوى أفضل . لنا علاقات وثيقة مع دولة الكويت مثلا ، فقد زار الرئيس هونيكر دولة الكويت في عام ١٩٨٢ . وقام الشيخ صباح الأحمد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية الكويتي بزيارة برلين في عام ١٩٨٦ . وهناك لجان مشتركة لبحث مسائل اقتصادية مع الكويت وسوريا والعراق ومصر . ونحن نقف مواقف مؤيدة للقضايا العربية ، ولنا تفهم للمشكلات الناجمة عن استمرار الحرب العراقية الإيرانية ، ونطالب بإيقافها والاحتكام إلى قرار مجلس الأمن رقم ٥٩٨ . ولنا موقف مؤيد لحقوق الشعب الفلسطيني . وقد كان للمنظمة مكتب في برلين ، وتحول هذا المكتب إلى سفارة لدولة فلسطين بعد إعلان الدولة ، وكنا من أوائل المعترفين بدولة فلسطين .

لقد عقد في برلين مؤتمر من أجل عالم خال من الأسلحة النووية ، حضرته وفود عربية عديدة ، قال نائب الوزير : إننا نعتقد أن الوطن العربي ، ابتداء من أقطار الخليج وإلى كل الأقطار العربية . لذلك أرجو نقل صورة واقعية عن جمهورية ألمانيا الديمقراطية إلى قراء «العربي» . ودعناه شاكرين وودعت مغادرا .. ! □





عنوان الفيلم : « عزيزتي أمريكا .. خطابات شخصية من فيتنام » أنتجته إحدى محطات التلفاز الأمريكية ، وعرضته في البداية ، داخل بعض المهرجانات السينمائية الدولية ، وأحد المؤتمرات التي تندد بسياسة الحروب ، ثم عرض بعد ذلك في عدد من دور السينما ، الصغيرة الحجم ، في أمريكا وأوروبا ، للسبب نفسه ، إنه فيلم لا يجلب الجمهور الكبير الذي تعود على نوعية معينة من الأفلام .

وعلى الرغم من ذلك فقد عد المحللون هذا الفيلم ، من أكثر الأفلام صدقا وواقعية عن حرب فيتنام ، وما تعرض له الجنود الأمريكيون في تلك الحرب التي وصفها المؤرخون والباحثون بأنها من أبرز العورات في تاريخنا المعاصر ، وأنها وصمة في جبين البشرية .

لماذا الخطابات الشخصية ؟

والفيلم كما يُفصح عنه عنوانه ، يعتمد على الخطابات الشخصية التي أرسلها الجنود الأمريكيون إلى الأهل والأصدقاء أثناء الحرب الفيتنامية . ومادة الفيلم مأخوذة أصلا من كتاب يحمل العنوان نفسه ، ويعد من أكثر الكتب توزيعا في أمريكا ، ومؤلفه « برنارد ايدلمان » .

جاء المخرج الأمريكي « بيل كوتيري » فاختار ستين خطابا من هذه الخطابات ليجسدها بالصوت والصورة ، مستعينا بمختارات من الأفلام الوثائقية التي صُوِّرت وقائعها أثناء الحرب الفيتنامية .

• كما اتصل المخرج بأصحاب تلك الخطابات التي جاء ذكرها في الكتاب ، سواء أكانوا هم على قيد الحياة ، أم أحد من عائلاتهم ، لكي يحصل منهم على الصور « الفوتوغرافية » التي كانوا يرسلونها لهم من مواقعهم العسكرية على أرض فيتنام .

ثم انتقل المخرج بآلات التصوير إلى بعض



● جنود أمريكيون يلهون بجسامهم ـ صورة من لقطات أحد أفلام الحرب في فيتنام

تلك المنازل الأمريكية التي فقدت أبناءها في هذه الحرب ، ليصور متعلقاتهم الشخصية في حجراتهم الخاصة ، مثلما كانوا ينعمون بدفء الأسرة وحنان الآباء والأمهات ، قبل أن يخدعهم القرار الأمريكي بضرورة الدفاع عن « شرف أمريكا » في هذه الحرب ، فتطوعوا بها مبهورين متحمسين ، ثم اكتشفوا هناك الحقيقة الكاملة ، فسجلوها في خطاباتهم بلغة بسيطة ، لكنها مليئة بالمرارة والأسف ، وعادوا من الحرب ، إما داخل صناديق معدنية في شحنات الجثث ، أو مشوهين معاقين !

ولكن بقيت تلك الخطابات شاهداً على سخونة اللحظة ، وتلقائية التعبير ، وأمانة الوصف الدقيق للمشاعر والأحاسيس ، مما يعجز عنه أبرع المؤلفين الذين يحاولون التعبير عن هذه الحرب ، سواء في أعمال روائية أو سينمائية .

بدايات الدهشة

ويبدأ فيلم « عزيزتي أمريكا » مع البدايات الأولى للحماس وسط الشباب الأمريكي الذي وجد نفسه مدفوعا للتطوع في هذه الحرب ، تحت تأثير الخطب السياسية والشعارات المنطوقة والمرسومة في محطات التلفاز ، وعلى ملصقات الشوارع ووحدات استقبال المتطوعين ، وقوة الدعاية في تبرير هذه الحرب .

وأول خطاب نراه ـ بالصوت والصورة ـ لجند أمريكي يجلس على ضفاف إحدى البحيرات في فيتنام ، بعد وصوله ، وهو يكتب خطابا لأبيه ، يصف ما يراه : « الجو جميل هنا ، والحياة تبدو هادئة ، والملح وجوه أطفال صغار يلعبون ويضحكون ، إنهم يشبهون مثلنا (!!) » .

« ملحوظة إلى والدتي ، لا تنزعجي ، فأنا

بصحة جيدة ، وتتوالى مشاهد شحن الجنود الامريكيين إلى فيتنام ، وتظهر على الشاشة أرقام وتواريخ : مارس ١٩٦٤ ، تم شحن مائة ألف جندي .

وخطاب آخر من جندي إلى أسرته : « أنا سعيد ، ولكنني أفتقد حياتي في الترع والمصارف ، فوسائل الراحة لا تتوافر هنا ، وعلى الرغم من ذلك فإنني أشعر بالقوة والسعادة ، لأنني سوف أقتل هؤلاء الفيتناميين » !

وينتقل الفيلم إلى لقطات تسجيلية ، لإحدى حفلات السمر داخل المعسكرات الامريكية على أرض فيتنام ، حيث تجري عمليات تنشيط روحهم المعنوية بالموسيقا والرقص والشراب .

واللقطات تتوالى مباشرة لإحدى هجمات الجنود الامريكيين داخل مستنقع كثيف على الأرض الفيتنامية ، بحثا عن « الأعداء » ، وتسجل هذه اللقطات الوثائقية ، المأخوذة من الأرشيف العسكري ، مدى الإحساس بالخطر المرسوم على وجوه الجنود الأمريكيين ، وهم يخوضون في الظلام ، وسط المياه الآسنة والأعشاب ، مذعورين ، يتوقعون الضربة المفاجئة التي قد تأتيهم من خلف كل شجرة عملاقة ، أو كتلة من الأعشاب والنباتات المتوحشة !

اكتشاف الحقيقة

وتتغير النبرة في الخطابات ، وتسمع صوت جندي يكتب لصديقته : « كانت هذه أول مرة أدرك فيها معنى مواجهة الموت ، ولولا أنني حنيت رأسي ما كنت حيا حتى الآن . هناك زميل لي تحسس وجهه ، فاكتشف أنه فقد عينيه ، والآخر بجوارنا لوجدنا أنه مات » .

ثم لقطة لمراسل امريكي لإحدى شبكات التلفاز ، ينقل لمشاهديه من الأرض الفيتنامية إحدى المعارك ، ثم يعلق قائلا : إن عدد قوات الجيش الامريكي المرسلة إلى فيتنام وصلت إلى ٣٠٠ ألف جندي ، والتاريخ ديسمبر ١٩٦٤ .

واللقطة التالية من داخل الأراضي الأمريكية ، حيث مصانع السلاح والذخيرة ، والآلات تعمل طوال ساعات اليوم بمختلف الأنواع ، ولكن أغرب تلك اللقطات كانت من مصنع للخوذات ، وتلال الخوذات المرصوصة بعضها فوق بعض ، تشهد بعدد الرؤوس التي سترتديها .

ثم لقطات لموانئ الشحن ، والسفن الحربية التي تحمل المعدات وأسلحة القتل والدمار وتتجه إلى فيتنام .

ومن داخل فيتنام تأتي اللقطة المسجلة لإحدى عمليات الإنزال الامريكي ، وقصف قرية فيتنامية بالصواريخ والنابالم ، واحتراق المساكن والمدارس ، وألسنة النار التي تحاصر سكان القرية ، وأطفال صغار يفرون من الرعب والخوف في كل اتجاه

وجندي امريكي يكتب خطابا لوالديه ، يقول فيه : « أعتقد أنكما الآن مريضان من شدة القلق ، ولكنني أطمئنكما بأنني لم أصب بعد ، ولكن الموت الذي رأيته الأسبوع الماضي جعلني عجوزا جدا ، أشعر بالشيخوخة ، فقد رأيت ما يكفي من الحرب والدمار ، وأصارحكما القول بأنني خائف ، ولكن ليس لدرجة الهروب أو الانسحاب ، فأنا ضابط في البحرية الأمريكية ، وعائلتي يشجعني دائما بأنه سيكون لي شأن في المستقبل ، صليا من أجلي » .

ويعلق الفيلم على هذا الخطاب ، بأن كاتبه قد مات بعد كتابة خطابه بعشرة أيام في إحدى الغارات الفيتنامية !.

ثم اليأس والرغبة في الفرار

وهكذا يستمر الفيلم في نسجه مشاهد الحرب ، مع مشاهد الخطابات في تصاعد درامي ، لم يخلقه مؤلف ، وإنما فرضته وقائع

تلك السنوات العصيبة ، وحقائق الأرقام التي تظهر على الشاشة ، لترصد التورط الأمريكي في دفع مئات الألوف من الجنود الصغار السن إلى الجبهة الفيتنامية ، وأرقام وأعداد القتلى والمصابين والمفقودين في كل ستة أشهر !

وهناك صورة الوعي للمجتمع الامريكي بعد اكتشافه خدعة هذه الحرب ، وردود الفعل في مظاهرات الرفض والاستنكار ، واللافتات التي تندد بالحرب ، وارتباك الإدارة الامريكية أمام الوضع المتدهور ما بين الاعتراف بالأمر الواقع ، وبين استمرار الغرور الأحمق وعدم إنهاء الحرب .

كل هذا من خلال الوثائق المصورة ، سواء من خطب الرئاسة الأمريكية ، أو من تصريحات وزارة الدفاع ، أو من شهادات بعض أعضاء الكونجرس .

ويستخدم الفيلم تلك المادة الوثائقية داخل خلاف من الأغاني التي اشتهرت في تلك السنوات ، مثل أغنية : « الثمانية عشرة » التي تقول كلماتها :

أنا صبي ، أنا رجل
عمري ثمانية عشرة ، ولا أدري ماذا أريد ؟
ثمانية عشرة ، وأشعر بالضياع ،
ثمانية عشرة ، وأريد الإنقاذ ،
أريد الهروب من هذا المكان !

وأغنية : « ولدت في أمريكا » التي تعد من أشهر الأغاني في تلك الفترة ، وتقول كلماتها :

ولدت في أمريكا ،
في منزل جميل ، بمدينة صغيرة ،
بعضهم وضع بندقية في يدي ،
وأرسلوني بعيدا ، إلى أرض غريبة ،
لأقتل الرجل الأصفر !!

ولكن تبقى المادة الأساسية لهذا الفيلم، هي شحنة المشاعر من داخل الخطابات .

أحد تلك الخطابات كتبه جندي شاب ، يقول : « أشعر بالتعاسة ، لا أستطيع النوم ، لا أستطيع الاحتمال ، أصرخ أحيانا بلا فائدة ، ذهبوا بنا إلى « سايجون » ، وملاهي النساء والخمر ، ولكن بلا فائدة ، أريد العودة للوطن » .

حروب أخرى في المستقبل

ولقد استعان المخرج الامريكي « بيل كوتيري » بكل المؤثرات البصرية التي توضح الحقيقة التي أراد تأكيدها طوال هذا الفيلم ، وهي أن جميع الجنود الامريكيين الذين دُفعوا إلى حرب فيتنام كانت أعمارهم ١٨ - ٢٠ عاما ، وأن غالبيتهم كانوا في سن التاسعة عشرة ، أي أنهم كانوا ما بين سن الصبا وبداية الشباب .

وهذه الحقيقة بالتحديد عجزت أغلب الأفلام الامريكية الروائية التي تناولت حرب فيتنام عن إظهارها ، لأسباب فنية تتعلق بعدم تطابق هذه السن مع النجوم المشهورين في السينما الامريكية ، حيث إن هؤلاء النجوم تزيد أعمارهم عن الثلاثين !

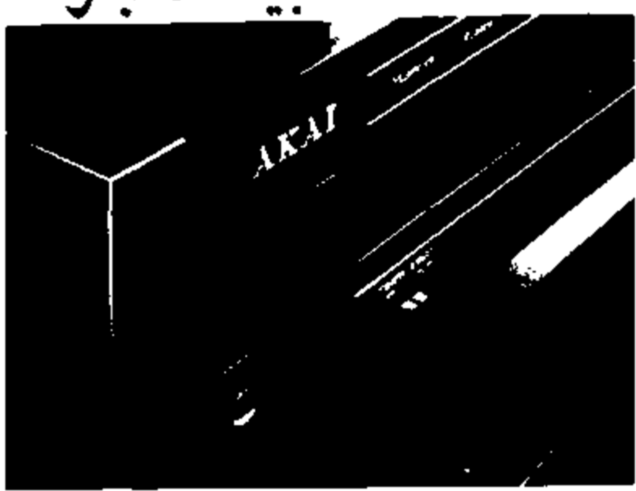
وعندما سئل مخرج الفيلم « بيل كوتيري » عن الأسس التي اعتمد عليها في اختيار الخطابات ؟ قال : « خطابات الشباب الصغار السن ، وعنصر الخوف والوحدة والإحساس بالعزلة والوحشة ثم اليأس ، ومن خلاصة الستين خطابا كان هناك الإحساس بالخديعة » .

- ما هو رأي أصحاب الخطابات الذين ما زالوا على قيد الحياة ؟ وكيف استقبلوا فكرة فيلمك ؟

- اتفقوا معي في وجهة نظري عن الحرب وأسبابها ونتائجها ، بل أكدوا لي أن السياسة الأمريكية لن تتورع عن القيام بحرب أخرى ، تُمارس فيها كل هذا الرعب يوما ما ، في المستقبل ، وفي أي مكان !! . □

AKAI

العلامة الذهبية للانجاز



Quick Response System

CD

S-VHS

60TH ANNIVERSARY

Akai—Creative At Heart.





قصة الكاتب البولوني : ياجي شانيفسكي*

ترجمة : ماريا ماوجنسكا**

(عن البولونية)

قال الأستاذ نونكا : أيها السادة ، حكى لنا القاضي عن كلفة دخان السواقد ، فتذكرت نافذة ما ، كنت أنظر إليها كل يوم فيما مضى ، وهي ما أريد أن أحكي لكم عنها ، ولا علاقة لها بالغلاء والدخان ولا بالعمال المهرة ، لكن عندما تخطر لي كلمة « نافذة » فإنها تثير لديّ ذكرى خاصة مباشرة .

كانت شقتي في أحد الطوابق ، تطل على زقاق قديم ، في مواجهة نافذة أخرى ، على بعد عشرة أمتار ، وفي كل مساء كانت المرأة السمينة تسدل الستار على النافذة وتشعل الضوء ، فأرى على خلفية الستار ظلاً كبيراً يتحرك ، يختفي ثم يظهر من جديد ، وفي أحد الأيام رأيت ظلاً آخر ، إنه ظل رجل أصغر من المرأة السمينة بمرتين ، وفجأة اقترب الظلان والتصقا ، وقبّل أحدهما الآخر ، وتكرر هذا المشهد كل مساء ، ولم يكن من طبعي الاهتمام بعلاقات الحب بين الآخرين ، فأنا لست طفلاً ، وأعرف أن الرجل والمرأة يقبّل أحدهما الآخر منذ القدم حتى الآن ، وسيظلان كذلك قروناً أخرى ، ولهذا أقول لكم : إن ذلك لم يكن ممتعاً لي ولا جديداً ، بل كان كلعبة من مسرح خيال الظل .

في غروب أحد الأيام قُرع الباب ، ودخل رجل لا أعرفه ، نحيف منهك ، عصبي المزاج ، ولاحظت من نظرتي الأولى إليه أنه يكتم غضباً حاداً ، وعندما سألته عما يمكن أن أقدم له رجوته أن يجلس ، بادرني بالكلام :

- يا سيدي ، قبل أن أشرح لك هدف زيارتي ، أقول لك : إنني أعرفك منذ أن رأيتك تتسلق حبل قطير ، وحبنه بطيختك حينما شكرك ، فأنت إنسان طيب نبيل .

فقلت له : يمكن أن يكون قد حدث ذلك ، ولكن ما علاقة . . .

فقال ضيفي : لحظة ، سأشرح لك ، إضافة إلى ذلك أنت إنسان ، وأنا آسف جداً لما سأقول ، إن الناس يتحدثون كثيراً من هذا

---

* ياجي شانيفسكي (١٨٨٦ - ١٩٧٠) كاتب بولوني ساخر ، متعدد المواهب ، ترك آثاراً مهمة في القصة والرواية والمسرح ، من أهم أعماله : فتاة من الغابة - المرسلة الملكية - الأحداث الظاهرة - السعادة والنظرة والنجوم - الإنسان المرح - حبيب من ورق - الحب والأشياء الثابتة - المعلمي والورود

** ماريا ماوجنسكا - مستشرقة من بولندا .



الأمر ، انت لست إنساناً صغيراً ، ومن المؤكد أنك تفهم كثيراً .

ـ لا ، أنا لا أحس من كبر سني ، من المؤكد أني عشت كثيراً ، وفهمت لماذا يقولون عادة : إن الذي يفهم يَتَعَبْ .

ـ أجل ، اعذرني قبل كل شيء لأني جئت دون دعوة .

هذه النافذة المواجهة لنا هي نافذة زوجتي التي هجرتني ، وأنا متأكد أنك رأيتها أكثر من مرة .

ـ حقاً ، كنت أرى امرأة هناك أحياناً ، تذكرني بالنساء اللواتي رسمهن « روبنز » ، هل هي زوجتك ؟

ـ هل قلت « روبنز » ؟ (ونظر إلي متردداً ، كأنه يريد أن يعرف هل هذا استحسان أم سخرية ؟) إنني أحب هذه المرأة يا سيدي ، ولا أستطيع أن أعيش بدونها ، اسمح لي يا سيدي أن أنظر إليها من هذه النافذة ، وإذا لم أرها فإنني

سأعيش في عذاب لا يطاق .

- طبعاً ، آه يا سيدي ، انتظر ، ولكنني لا أظن أن هذه الطريقة الرديئة يمكن أن تريحك كثيراً ، ويمكن أن ترى شيئاً يحزنك أو يخرجك عن طورك .

- هل تريد أن تقول : إنني سأرى عشيق زوجتي ؟ رأيته ، أعرف أنه هنا .

- لكن كن هادئاً - كنت أتحدث إليه بلطف - أشرت في حديثك إلى كبر سني ، وتجربتي ، ومعرفتي للحياة ، إنني أكرر لك يا سيدي أنك اخترت الطريقة الرديئة ، إن أفضل طريقة يرى فيها الإنسان حبيبته هي أن يحبها، لا أن يرى عشيقها أو يتلصص عليها ، لأن في ذلك تمزيقاً لجراح القلب ، وأظن أن عليك أن تمسك نفسك قليلاً ، وتبتعد عن هذا الحي ، حاول ، إذا استطعت ، أن تسافر فترة طويلة ، وإذا كان لديك في مكتبك صورة لهذه المرأة فالأفضل أن تخفيها في الأدراج كي لا تراها أبداً ، وإذا كانت هذه المرأة تعني أي أمر فعليك أن تتخلص منها .

- إن أهم الأشياء التي أحبتها تلك المرأة هي أنا نفسي ، كيف يمكن أن أتخلص من نفسي ؟ هل تنصحني أن أنتحر ؟

فأجبته : آه ، أنا لا أنصح أحداً بالانتحار ، هل تسمح لي أن أسألك : ماذا تعمل ؟

- أنا موظف في المؤسسة .

- هذا رائع ، لأنك تعمل من أجل كل الناس ، ولا أحد يستطيع أن يحدث سيئاً ، لأنك تضحي بشيء من سعادتك الشخصية ، لكن ، هل السعادة في رأيك هي المرأة فقط ؟ إنني أعرف كثيراً من الذين لا يريدون النساء وكتبهم إلى جانب أسرّة ، إنهم يتناولون آلة «المندولين» .

- أنا لا أحب «المندولين» .

- هذا مجرد مثال ، بعض الناس يبحثون عن الأخطاء المطبعية في الصحف ، ويسرهم ذلك كثيراً ، كنت أعرف إنساناً تعيساً في زواجه ، وعلى الرغم من كبر سنه قرر أن يتابع الدراسة . وأعرف شخصاً آخر تركته زوجته فبدأ بتربية زهرة «الفلكونيا» ، وحصل على نتائج باهرة ، ألا يهمك «الفلكونيا» ؟ .

- أجابني بلطف : أنت تعطيني أمثلة واقعية ونظرية جيدة ، لكن .

- آه ، في هذه الحالة اجلس هنا ، وانتظر (ورأيت أن من الأفضل ألا يزعجني لأن لدي عملاً ضرورياً) .

كان ضيفي ينظر من النافذة وأنا أنحني برأسي على مكتبي ، عيناي مسمرتان على عملي ، وحين التفت إليه كانت ملامحه قد تغيرت كثيراً ، كانت مزيجاً من الغضب والألم - آه - توقعت أنه شاهد ظل منافسه ، ونظرت إلى ورقة كانت أمامي ، وفجأة انتصبت واقفاً في مكاني ، فقد أطلق ضيفي رصاصة من مسدسه باتجاه ظل وراء الستار .

سألني أحد السادة بعد قليل : وقتل ؟

- لا أريد أن أحكي لكم القصة الجديدة التي تنتهي بالمسدس ، كنت أحكي عن النافذة التي ذكرني بها القاضي الذي دفع ثمناً غالياً لسجان نافذته . أما بالنسبة إلى ضيفي فقد كان شيئاً مؤلماً ، مأساة ، والنافذة هي نفسها .

بعد فترة سكن هناك أناس آخرون، ويبدو أنهم كانوا سعيدين ، كانت الزهور تتدلى من النافذة والأطفال يلعبون وراءها ، ومرة زارني ضيف آخر فابتسم ، وقال : ما ألطف هذه النافذة !

أما بالنسبة إلي فإن هذه النافذة التي تتدلى منها الزهور ، ويطل منها الأطفال ما زالت مسكونة دائماً بثلاثة أشخاص مضحكين من مسرح خيال الظل ، تحولوا في لحظة معينة إلى كارثة ، مأساة .

وسألني أحد السادة : رائع ، ولكن هل قتل أم لم يقتل ؟

فأجبت :

قتل في أعصابي إلى الأبد إرادة التضحية بتقديم نصيحة جديدة إلى الناس . □







أدونيس   جميل حتمل

- الحداثة تحوّلت أحياناً لتصبح لعباً شكلياً.
- بعضُ المفكرينَ القدامى كانوا أكثرَ جرأةً من مفكري عصرِ النهضةِ.
- ليسَ هناك نتاج ثقافي عربي يُعبّر عن الهُويّةِ العربيةِ اليومَ كالشعر.
- اعتمدُ على مصادرَ غربيّةٍ لتوضيحِ نظريةِ الشعرِ الحديث.
- لا يمكن لأيِّ شعرٍ أن يكونَ خارجَ الواقع!
- يُمكن أن تكونَ القصيدةُ سياسيّةً وغيرَ سياسيّةٍ في آن!

علي أحمد سعيد أو (أدونيس) الشاعر المفكر ، اسم كان يثير الجدل ، ومازال على امتداد المساحة التي تشغلها آراؤه أو أعماله الإبداعية . إنه كمن يلقي بالأسئلة ، فلا يجد إلا الأسئلة - أو الاتهام - رداً عن أسئلته . وفي هذا اللقاء لا تبتعد الأسئلة عن مدار الأسئلة ، حيث يحاول محاوره أن يتلمس نقاط التقاء في مسيرة «أدونيس» وآرائه . هذه المسيرة التي تكاد تبلغ في مجال العطاء أكثر من أربعين عاماً ، حافلة بالشعر ، والحداثة ، والمعارك الفكرية ، والاتهامات ، والريادة ، والتساؤلات . وقد أجرى الحوار جميل حتمل .



● كنت قد تحدثت سابقاً عن الحداثة الثانية . الآن تتحدث عما بعد الحداثة . هل لأنك ترى أن الحداثة العربية كمرحلة قد أدت دورها وانتهت ، أم تحديداً لما وصلت إليه الآن ؟

حين تحدثت عن الحداثة ، لم أكن أعتبر اتخاذ الحداثة كقيمة بحد ذاتها ، وإنما كنت أقصد التخلص من ثقل الفكر التقليدي المهيمن على الحياة العربية من جهة ، والتركيز على الإبداعية من جهة ثانية . وكنت أشدد باستمرار على أن الحداثة إطار ومناخ ، وأنها ليست نفياً لما سبقها . هذا ما يعنيه سؤالك لي : أين الحداثة ؟ أين الإبداعية العربية اليوم ؟ أذكر أولاً بأن عبارات : المحدث ، والإحداث ، والحداثة أخذت أساساً من الفكر الديني ، إلا أنها نقلت إلى إطار الفكر الأدبي ، وكان النقد بكامله - تقريباً - في العصر العباسي يتركز حول مشكلات الحداثة والإحداث ، لذلك أرى أن كل كلام عن الحداثة في المجتمع العربي اليوم ، يجب أن يوضع في إطاره التاريخي أولاً . وإذا قارنا بين ما يكتب اليوم ، وما كان يكتبه ممثلو الحداثة الأولى : أبو نواس ، وأبو تمام ، ولنضع معهما النفري والمتصوفين . أعتقد أن معظم الكتابات الشعرية المسماة اليوم حديثة ، لا توغل في مسألة اللغة الشعرية ، وفي مسألة العلاقة بين اللغة والعالم من جهة ، والعلاقة بين اللغة والذات من جهة ثانية ، كما أوغلت لغة هؤلاء الشعراء القدامى . هنالك شعراء أفراد قلائل ، أكملوا وفتحوا آفاقاً جديدة دون شك ، لكن الكتابة الغالبة في الشعر العربي الحديث أقرب إلى القدامة منها إلى الحداثة ، لذلك نجد عند هؤلاء الأفراد حركة استقصاء إبداعية عالية . وحين أقول : ما بعد الحداثة ، أو الحداثة الثانية ، فأنا أعني أننا نواجه اليوم مشكلات غير التي كنا نواجهها مثلاً في أيام مجلة «شعر» : الخروج من الأطر التقليدية ، ومن الشكل الموحد ، ومن الوزن والقافية . المشكلة اليوم يمكن أن تكون : ماذا نقول ؟ ما الأفق الذي يفتحه الشاعر العربي للقارئ العربي ؟

● لكنك تتحدث عن مرحلة ثانية، مرحلة أخرى، إذا صح التعبير، فهل هي إعلان عن انتهاء شيء سبقها؟

ـ لعل انتهاء مرحلة مجلة «شعر»، اليوم لم يعد هناك ناقد أو شاعر أن يتركز في تحديد الوزن وتحديد الشكل العمودي، وهل تكتب بشكل عمودي أم لا، تكتب بالقافية أم لا؟ فهذه مشكلات تم تجاوزها. وإذا قد طرحناها في إطار محدد وتاريخي، كانت الكتابة فيها بمثابة نوع من التفكير فيها نوعاً من الإثم. أما دعوتي للحداثة الثانية، فلأن الحداثة «الأولى»، كما مورست، تحولت إلى نوع من الفراغ أو الحلقة المفرغة، وصارت أشبه بساحة تقذف فيها اعتباطاً باسم الحداثة آراء وتنظيرات وأفكار دون وعي دقيق أو فهم دقيق.

● أفهم من كلامك أن الحداثة العربية، على المستوى الزمني، لا حاجة لها أن تثبت وجودها؟

ـ لا، بمعنى أننا نحن القيمين مهدنا، فصار لدى الشاعر وسائل متعددة. كانت وسائله محدودة: أن يكتب قصيدة عمودية. أما الآن فتعددت طرق التعبير الشعري، فيستطيع الشاعر أن يكتب قصيدة نثر، أو قصيدة موزونة، وفقاً للنسق التفعيلي الذي يشاء، بل صار في إمكانه أن يمزج بين الأنواع. هكذا تعددت لديه وسائل التعبير وإمكاناته واكتسبت مشروعيتها. الآن صارت قضيته ماذا لديه؟ ما عالمه الشعري؟ وإذا تفحصت الأفق الذي يتحرك فيه الشاعر العربي، والأفق الذي يتحرك فيه الشاعر الغربي، لرأيت أن مدى حركة الشاعر العربي محدود جداً. محدود بالسطح الاجتماعي وبالسطح السياسي «الإيديولوجي».

أما عالم الذات، والعالم الميتافيزيقي، والعالم الحسي، والعالم الطبيعي، والعالم السياسي ـ بالمعنى اليوناني للكلمة ـ والعالم المكتوب، فقلما نجد أن شاعراً عربياً يغوص في هذه العوالم. وهذا الغوص هو أبسط ما تفرضه الحداثة عليه. أقول باختصار، إن الحداثة الشعرية العربية، اليوم، تواجه عوامل كثيرة، بينها الإعلام ووسائله. خطر الإعلام أنه يشجع على الاختصار في اختزال الحداثة بالمعنى ـ وخاصة ما مثلاً دون ضبط أو تواصل، أو يقدم الغموض عن الغامض) طغى الشكل السطحي الذي يقدم تعمية شكلية تختلف عن تشكيل القصيدة الموزونة. وهو خطر يتجلى في إلغاء المشكلة، بحيث تبدو الكتابة خالية من أي تساؤل حول مسألة النسيج الفكري الذي تصدر عنه قيم الكتابة (الدين، والميتافيزيقا، واللغة، والإنسان، والوجود) ويبدو تبعاً لذلك حداثة قصاصات وملصقات، وكأن اللغة مجرد مفردات تجمع وتفرق، وتركب على سطح الورق، مفردات لا أرومة لها، ولا تربة، بعيداً عن الإحساس بالمنابع، وعن الإحساس كذلك باللامنتهى.

● أنا لا أنسى كونك شاعراً، ولكنك تبدو كمن يقصر حديث الحداثة على الشعر فقط، مع ذلك لدي سؤال يتعلق بالمستوى الفكري للحداثة، وكأن الأسئلة التي طرحها من يسمون «رواد النهضة العربية» لم تجد أجوبتها إلى الآن، أو أنها قلصت، وكأن من المستحيل أن يعاد طرحها الآن على الرغم من مرور سبعين أو ثمانين عاماً؟

ـ كانت أسئلة رواد النهضة من طبيعة

أيديولوجية في الغالب . إنهم أعادوا أسئلة العرب في العصر اليوناني . كان العربي القديم يقول : كيف آخذ الفكر اليوناني وأظل مسلماً ؟ وقال مفكر عصر النهضة ، أو مايسمى عصر النهضة : كيف آخذ الحضارة الغربية وأبقى مسلماً ؟ هكذا حلت مشكلة الحضارة الغربية محل مشكلة الحضارة اليونانية . بل أذهب أبعد من ذلك ، كان مفكرو العرب القدامى ـ على الأخص ابن رشد ـ أكثر جرأة ، وأكثر تعمقاً في طرح السؤال من المفكرين الذين سميناهم مفكري عصر النهضة . هنالك أشخاص ساروا في خط ابن رشد ، ولكنهم لم يصلوا إلى ماوصل إليه ، ولم يطوروا ماانتهى إليه . وهؤلاء على الرغم من ذلك ، لا أقول مثلهم ، بل لعلهم أهملوا أيضاً في حركة التغيير . إن أشخاصاً مثل شبلي شميل ، ممن ساروا في التيار العلمي إجمالاً أهملوا ، وأبرز أشخاص آخرون غيرهم .

بوادر جديدة

● في عودة إلى الشعر ، تقول : إن الممارسة الشعرية العربية استنفدت نفسها . هل ينطبق هذا الحكم على تجربتك أيضاً ؟

ـ أين قلت ذلك ؟

● في حوار معك ، قد نشر في إحدى المجلات العربية .

ـ إذا كنت قد قلت هذا ، فبالمعنى الذي أشرت إليه سابقاً ، وهو أن الإطار الذي نشأ فيه ، ماسميناه اصطلاحاً الحداثة ، والذي أعطته مجلة «شعر» سمته الرئيسة ، مازالت الحركة الشعرية العربية الراهنة تدور في حدوده تقريباً قليلاً أو كثيراً . بهذا المعنى قلت : إن هذه الممارسة انتهت ، ويجب أن أنطلق إلى ماهو أبعد وأوسع . هذا طبيعي ، وأنا شخصياً أعد تجربتي من ضمن هذه الممارسة ، وما أعمله اليوم إنما هو الخروج من هذه الممارسة ، وعملياً فقد بدأت هذا الخروج بتركي مجلة «شعر» عام ١٩٦٤ .

● أنا لا أجري وراء المتناقضات . لكنك من قبل قلت : إن الشعر الحقيقي هو النابع «المختلف» ، وإيصال الانفصال ؟ كيف ؟ .

ـ من المفيد أن نتحدث عن هذه الأشياء على الرغم من صعوبتها ، حين تأخذ الشعر الجاهلي أو العباسي مثلاً ، نجد أن الشعراء الذين يتبعون الخط المدرسي يسلكون طريقاً افتتحه شاعر معين ، يراقبون كيف يستخدم لغته ، كيف يعبر عن الأشياء ، ماالموضوعات التي يتناولها ، ثم يدخلون في هذا العالم الذي أوجده شاعر ، ويقومون بالتنويع ، ويستفيدون منه بشكل أو بآخر . أما الشاعر الحقيقي الذي يجدد ، فهو الذي يستفيد من طريقة تعامل من سبقه مع اللغة ، من طريقة استخدامه لهذه اللغة ، حيث يستوعب هذه الطريقة ويتمثلها ، ويوجد لغة جديدة مختلفة ، وعالماً جديداً مختلفاً ، وقد يكون مناقضاً بدلاً من أن يتابع الشاعر القديم في صوره في الألفاظ والعلاقات التي أقامها بينها وبين الأشياء ، مثلما يحدث الآن . فهنالك اليوم عدد قليل من الشعراء المبدعين ، يأخذ آخرون ألفاظهم وصورهم وصياغاتهم ، ويعيدون تركيب هذا كله بشكل أو بآخر ، وهذا لايجدد ولايعطي حيوية للتراث . بهذا المعنى أقول : يجب أن يحيا الشاعر في قلب التراث ، متأثراً باللغة وعبقريتها ، لكي يقدر في الوقت نفسه أن يوجد من هذه العبقرية عالماً لم يسبقه إليه أي شاعر قبله . هذا ماأقصده بإيصال الانفصال ، أي أن تنفصل عما أنتج ، لكي تتأصل في الأعماق المتجددة التي هي اللغة .

الشاعر والتراث

● أنت تحكم على الثقافة العربية الحديثة بأنها قد جاءت عموما من الماضي - بمعناه الرجعي - أو من الخارج ، هل كانت القصيدة الجديدة التي مثلتها تجربتكم خارج هذا الحكم ؟

حين أقول : إن الثقافة العربية السائدة هي إما استمرار للماضي أو تنويع عليه ، أو أنها اقتباس ، أقول بالمقابل : إن الشعر مختلف ، لأنني أعني أن الشاعر حين يكتب بلغة شعرية عربية مغايرة للغات الأخرى ، ويدرك سر هذه اللغة وعبقريتها وخصوصيتها ، فإنه بحكم ذلك مرتبط جذريا بالتراث العربي ، شاء أم أبى . ومن هنا تأتي أهمية الشعر ، ومن هنا يمكن التوكيد على أنه ليس هنالك نتاج ثقافي عربي يعبر عن الهوية العربية اليوم ، كما يعبر الشعر ، على الرغم من مشكلاته والمآخذ التي قد تؤخذ عليه .

● تشير أيضا إلى أن كل مرحلة فكرية جديدة تجيء تعبيرا عن متغيرات عميقة . بم ترتبط الحداثة الشعرية العربية على هذا الأساس ؟

- لولا استفدنا من التجربة الغربية ، خصوصا في بعض التنظيرات . فكما أخذنا من الصناعة والعلوم أخذنا من النقد والتنظيرات الغربية ، لكن الثقافة الغربية - وهنا وجه المفارقة - فصلتنا عن تراثنا ، فصلتنا عن عمقه الإبداعي ، وربطتنا بسطحه الظاهري . وسآخذ - هنا - نفسي مثلا ، فأنا تعرفت على التصوف من خلال السريالية ، واكتشفت أهمية أبي نواس وأبي تمام من خلال اكتشافي بودلير ومالارميه . فهذا لم أتعلمه مع الأسف لا في الجامعة ولا في المدرسة ، وأعتقد أن هذا شأن الأجيال العربية كلها ، فلو كنا نظرنا إلى التصوف مثلا نظرة حديثة ، لكانت نظرتنا إلى السريالية مختلفة . هكذا تعرفت على أعمق ما في التراث العربي عبر قراءاتي لبعض الغربيين . اكتشفت سر ما يسمونه الشرق بالمعنى الحضاري من رامبو . ولئن كان هناك شعر عظيم في أوروبا ، فهو أولا الشعر الذي ثار على «أوروبية» أوروبا ، والذي ارتبط بهذا العالم الشرقي ، والذي انفصلنا عنه بعامل الاستعمار الثقافي الغربي . ومؤسساتنا وأنظمتنا - مع الأسف - سارت مع هذا الاتجاه ومازالت مراحلنا ومؤسساتنا وكل جامعاتنا تسير في هذا الاتجاه .

حضارتنا والثقافة الغربية

● كأنك هنا تقول - إن الغرب كان مفتاحا لفهم أنفسنا ؟

- أنا هنا أتحدث عن نفسي ، لكن هذا المفتاح كان سلبيا ، بمعنى أن الثقافة الغربية لم ترد الانفتاح على حضارتنا ، بل بالعكس ، كانت تعلمنا ما يحجبه عن البعد الحضاري ، ولكنني أتحدث عن مسألة شخصية بحتة . إن قراءاتي لبعض الشعراء الغربيين نبهتني إلى أهمية شعرنا العربي ، وإلى أهمية الإبداعات العربية .

● في جواب سابق لك ، قلت : إن الفكر العربي النهضوي ارتبط بالغرب (الفكرة الماركسية أو الفكرة القومية) . ألا تعتقد أن الحداثة الشعرية العربية ارتبطت بالغرب أيضا ، أعني مفاهيم الحداثة هذه ؟

- المفاهيم نعم ، لقد أفدنا من التنظيرات حتما ، لكن هذه التنظيرات لو عدت إليها لوجدتها موجودة في تراثنا في شكل إشارات وآراء مقتضبة ولمحات نقدية . فكل ما يقال عن الشعر مثلا من أنه كشف وحدس ولمح وتجاوز ، نراه مبثوثا في تراثنا ، كما حدث في اليونان مثلا ، فتطور الأفكار اليونانية أو

معظمها كانت موجودة في الحضارات البابلية والمصرية والسومرية. لكن يأتي بعض اليونان وأمثالهم من أنهم وضعوا هذه الأمور المشتركة في نظريات وفي أنساق فكرية. وتابع الغربيون هذا، [illegible] نحن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من قراءة [illegible].

• هل يمكنك عبر هذا الكلام أن ترد على من يتهمك بأن كثيرا مما قلته في نظرية الشعر أخذته من نقاد غربيين وبشكل مطابق؟

ـ أنا أشرت مرتين في بداية مجلة «شعر»، في دراستين قدمتها، واحدة اسمها (محاولة لتعريف الشعر الحديث)، والأخرى (في قصيدة النثر)، أشرت إلى أني أعتمد على مصادر غربية، لتوضيح نظرية الشعر الحديث. وقلت هذا في المقالة الثانية، (في قصيدة النثر)، حيث ذكرت أني اعتمدت على تنظيرات في هذا الموضوع، وبخاصة على كتاب مشهور، وهو أطروحة دكتوراة (لسوزان برنار). لقد كررت وأكرر: إننا في بداية أعمالنا ونشاطاتنا كانت معرفتنا بالثقافة الأجنبية وباللغة محدودة، فالمجهود لتنقل إلى القارىء العربي مناخها أمر مختلف لكي يفكر فيه. ولدينا أخطاء ومآخذ كثيرة، وهذا من طبيعة الأعمال الأولية، أضف إلى ذلك أن القضايا التي كنا نجابهها، كانت جديدة، وليس في موروثنا النقدي ما يفيدنا في بحثها وتحليلها. وهذا ما اضطرنا إلى الإفادة من النقد الأوربي وتحليلاته. لكننا وضعنا هذه الإفادة، أي ما اقتبسناه، في سياق جديد مختلف، وهذا هو المهم.

• أنت تؤكد على الربط بين الثقافة والسياسة، ومن ضمنها الشعر، لكنك ترى أن القصيدة تقع خارج الأيديولوجيا. كيف تحل ذلك؟

ـ كلمة سياسة أصبحت فارغة، مثل كلمة حداثة، حين يقصد بها أي شيء، فهذا يعني أنه لا يقصد شيئاً. [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الجديدة [illegible] [illegible] كل شيء سياسة حتى [illegible] إلى هذا المستوى: الشعر والثقافة وكل شيء سياسة. لكن يجب أن نفصل هنا بين التعبير الشعري والتعبير السياسي، لا يجوز أن يكون الشعر تابعاً للسياسة السياسية، أي السياسة كمهنة أو السياسة كمؤسسة، أو للسياسة حتى كأيديولوجيا، ومن هنا تكون القصيدة سياسية وغير سياسية في الوقت نفسه.

معنى الواقع

• في أحد تعريفاتك للشعر، تقول، إنه ما يناقض الواقع؟

ـ الواقع له مستويات عديدة: هنالك واقع اللحظة التي نعيش فيها، وهناك واقع الأشياء المادية، وواقع الأشياء السياسية، والواقع المرئي، وهنالك واقع وراء هذا الواقع المرئي، حين أقول: إن الشعر نقيض الواقع، أعني بذلك لا نقيض الواقع بالإطلاق، لأن هذا مستحيل، فنحن جزء من الواقع، لكنني أعني ضد الواقع الملموس، المجسد، المباشر، المبتذل، المكرر الذي لا يساعد في الكشف عن حقيقة العالم، أو عن أسرار الحياة الإنسانية. بهذا المعنى يكون الشعر ضد هذا الواقع، لكن لا يمكن أن يكون الشعر هذا الواقع بالإطلاق، لأن الشعر تحديدا هو الواقع بأسمى تجلياته. لهذا عندما نحلل مثل هذه الأمور، يجب

أولا أن تتساءل عن المعنى المقصود بالكلام أو بالمصطلحات في سياقها الخاص . وأعتقد أن عدم تدقيقنا في المصطلحات ، أو التساؤل حولها ، هو الذي يوقع النقد العربي والحوار العربي المشترك بين المثقفين في سوء تفاهم حين [illegible] (أن نتفاهم حول تحديد مصطلحاتنا) . [illegible] . لا يمكن لأي شعر حتى [illegible] أن يخرج من الموقع . هذا مستحيل . ولكن فهم الموقع بشكل مختلف .

● عن الشعر تقول : إن القارىء لا يمكن أن يغير نظرته له ، حتى يتغير منظوره الثقافي بكامله . وإلى أن يحدث ذلك : هل يظل الشعر معزولا ؟ وهل تشعر أنت بمثل هذه العزلة ؟

ـ أنا لست معزولا ، لعدة أشياء واقعية : أولا شعري يقرأ في كل الأقطار العربية . ثانيا : إذا كان هنالك شعر أثر في اللغة العربية ، فأنا أعتقد أنني الأكثر تأثيرا بين الشعراء في اللغة الشعرية العربية اليوم . أنا لا أشعر بعزلة أو بأي أزمة على هذا المستوى . أشعر بأزمة على صعيد التطور العام في المجتمع العربي ، فنحن في نهايات القرن العشرين ، وما زلنا نمارس الرقابة ، ما زلنا نخاف من قصيدة ، نخاف من كتاب ، وهذا هو الذي يولد فيّ الشعور بالعزلة . لكنني شاعر أمارس لغة شعرية خاصة ، وأوجدت عالما شعريا متميزا . فأنا على العكس سعيد جدا ، لأن شعري مؤثر ومقروء في كل الأقطار العربية ، وآرائي منتشرة ، أحيانا في السر ، وأحيانا في العلن . يعني على هذا المستوى لا أشكو على الإطلاق من أي أزمة ، وأزمتي هي أزمة عامة ، أزمة المجتمع العربي بعامة .

المثقف الرقيب

● في إحدى حواراتك الأخيرة ، تقول : إن المثقف هو القامع الأول . ومن قبل كنت ترى مصدر القمع في السلطة . فكيف تفسر هذه النقلة بين فهمين يبدوان متناقضين ؟

ـ السلطة هي [illegible] ووسائلها [illegible] العربي ، هي مؤسسة [illegible] والمثقف هو الذي يعني [illegible] . من الذي [illegible] مجلة الشعر . ومنع الدواوين الأدبية ؟ ليس الشرطة مباشرة ، بل المثقفون الرقباء الذين يرفعون التقارير إلى الشرطة . أنا أعرف مثقفين يمارسون الرقابة وقراءة الكتب ، ويرفعون التقارير للسلطات لكي تمارس السلطات القرار . لأن القرار ليس بيد المثقفين ، إذن فالقامع الأول بالمعنى الثقافي الضيق ، هو المثقف المرتبط بالسلطة .

تصور لو اتفق جميع المثقفين أن لا يكتبوا يوما واحدا ، ليضربوا يوما واحدا عن الكتابة انتصارا للحرية ، عندئذ ماذا تفعل السلطة ؟ تضعهم في السجن مثلا ؟ حسنا ليناموا ليلة هنالك من أجل الحرية ، وعوضا عن أن يفعلوا ذلك ، انظر اليوم إلى صفحات المجلات والجرائد فسترى في معظمها دماء المثقفين تسيل عليها من كل جهة ، أي أنك لن تجد فيها سوى الأهاجي ، والشتائم والنقد الجارح والتشويه بمختلف أنواعه . من يقوم بهذا ؟ إنهم الكتاب المثقفون . اليوم لا تستطيع مثلا أن توقع بيانا من مثقفين مختلفين في وجهات النظر ، بيان يحد لحق مشترك ، هو منع مؤسسات الرقابة في الأقطار العربية ، لا تستطيع أن توقع ذلك ، وهنا أرجو أن لا يفهم نقدي للمثقفين على أنه مدح للشرطة ، كما قد يسارع إلى ذلك المثقفون أولئك ، شرطة آخرون ، وإذا كنت ضده هنا

فذلك لأني أساسا ضد الشرطة العقلية والثقافية .

● ما دمنا في صدد الشأن الشخصي ، سأسألك عن الجائزة الدولية للشعر التي حصلت عليها منذ فترة : هل ترى أن وجودك الحالي في أوربا - أقصد الوجود الجغرافي - قد ساهم في تكريس هذا الموقف الاعتباري المطلوب لتجربة شعرية كتلها ؟

- السبب الجغرافي يساعد ، أعني أنه يسهل الاتصال والانتقال ، ويسهل العلاقات دون شك . كنا في وسط يصعب فيه التنقل والاتصال وهذا كان حاجزا ، لكن في النهاية يبقى كل هذا لاقيمة له إذا لم يكن للعمل الأدبي بحد ذاته قيمة ، وإذا كانت للعمل الأدبي مثل هذه القيمة ، فإنه يفرض نفسه طال الزمن أو قصر ، لكن مثل هذه العوامل تساعد هذا العمل الأدبي على أن يفرض نفسه بسرعة أكبر .

● ألا ترى أن الغرب لا يتعامل معنا بمثل هذه الموضوعية ، بمعنى أنه يقيلنا بمقدار ما نخضع له ؟

- أعتقد أن هذه النظرة مبالغ فيها ، وهي تأتي منا في الدرجة الأولى أكثر مما تأتي منه ، نحن لدينا عقدة نقص تجاه الغربي ، ولا نصدق أن أيا منا قادر على أن يؤثر ، أو يوجد له بعدا شخصيا في الغرب ، لذلك فأي واحد من العرب يصل إلى مرتبة ما ، بدلا أن يقال عنه : إنه قادر ولديه عطاء كبير ، وأن الشعراء الغربيين ليسوا أفضل منه ، بدلا من هذا القول ، وهو قول صحيح ، يقال العكس : إن له علاقات وتابع ، هكذا . هذا مرض عند بعض المثقفين العرب ، أو عند معظمهم ، وهو مرض القصور ، أو من مركبات النقص التي تجعلنا لا ننظر إلى أنفسنا إلا بمنظار التبعية . الشعر العربي اليوم قادر على أن يؤثر في الشعر الفرنسي والغربي ، لكن لا أحد منا يرى ذلك ، والفرنسيون يرون ذلك . وصحيح أن مسألة الترجمات تخضع دون شك إلى اعتبارات كثيرة ، لكن ضمن هذه الاعتبارات هنالك أشياء تترجم ، لأنها تمثل قيمة ، أي : ماذا يعني دار (فايار) ، وهي دار كبيرة ، أن ترحب بكتاب مثلا لأبي العلاء المعري ، إذا لم يكن هذا الكتاب بحد ذاته قيما ؟

قد لايكون لأحدنا علاقات في فرنسا ، لكن ماالذي يدعو ناشرا في السويد وناشرا في اسبانيا وناشرا في النرويج وفي تركيا واليابان والصين ، أن ينشروا له إذا لم يكن لأثره قيمة بحد ذاته ؟

● أخيرا هل تحلم ؟ وما أجمل أحلامك ؟ وماصداها ؟

- أن تكون العروبة فنا لتجاوز الكلام إلى الحياة ، أن تعرف كيف تكون جوابا عن تحديات العصر ، أن تجد حيويتها في السؤال لا في الجواب ، وفي المجهول لا المعلوم ، وفي اللامنتهي لا في المنتهي ، أن تحب الفكر الذي يرج ويقلق ، أن تحب الأدب الذي يدفع اللغة إلى حدود مالايعبر عنه ، وأن تحب اللغة التي لاتنطق بقدر ما تحفر . وتهبط ، وتغوص ، وتزلزل ، أن يقدر العربي فيها ، وباسمها ، أن يمارس السياسة حتى إن لم يكن من ورثة السلطة أو عضوا في حزب حاكم أو قائدا ، وأن يمارسها بوصفه مواطنا وفقا لحريته وأفكاره وقناعاته ، وأن يتمكن العربي فيها ، وباسمها ، من الذهاب إلى أي قطر عربي ، وأن ينتقل حيث يشاء في أي قطر عربي ، كما ينتقل في بيته ساعة يشاء وكما يشاء .

دون أحلام كهذه أخشى أن تصبح العروبة وطن أوهام ، وطنا للمكابدات والخرافات ، وطنا يسكنه أشخاص غير مرئيين ، وطن أصداء وظلال ، وطن «أبالسة» «وعفاريت» و«جن» و«سوريات» . □



رواية من تأليف : خيري الذهبي

بقلم : غالب هلسا

رواية « حسيبة » لخيري الذهبي حدث متميز في الرواية السورية والعربية ، متميزة لتجنبها الكثير من مآزق الرواية العربية ، وبسبب اقتحامها لميادين جديدة في التجربة الروائية .

الرواية تدور في دمشق القديمة ، ابتداء من عشرينيات هذا القرن حتى خمسينياته . وعالم دمشق عالم مغلق ، لم يجرؤ إلا القلائل جدا على الكتابة عنه ، وكان ماكتبوه مزيجا من « الميلودراما » والمذكرات الشخصية . وهذا أحد أسباب تفردها .

سبب آخر لتفردها هو الروح الواقعية التي كتبت بها الرواية . شعرت في كثير من الأحيان وأنا أقرأ هذه الرواية أن هنالك مواقف كثيرة ، سوف تنتهي إلى « ميلودراما » نموذجية ، لكن قدرة الكاتب وثقافته كانا يخرجان بالرواية من هذا المأزق ، ليقدما لك عالما مأساويا مطولا شديد الإقناع ، إن لقاء الشاب البارسي (العربي الأصل) الثائر مع الفتاة الجميلة في البيت الذي يختفي فيه لقاء البطولة المشتقة مع البراءة معطى مثالي « للميلودراما » تنتهي بالزواج السعيد ، والخروج من كابوس المطاردة . ولكن قدرة الكاتب وثقافته تجاوزا الميلودرامي إلى المأساوي البطولي .

والرواية مكتوبة بتقنية جديدة مهما كان تقييمنا لها ، تظل مغامرة جسورة ، تفتح طريقا جديدا للكتابة . أعني بذلك المزج بين أسلوب « البيان والتبيين » للجاحظ ، وإيقاع المسرح اليوناني . إن اللحظة الحاضرة تحتوي الأزمنة

كلها - الماضي كخلفية ، كقدر لمجتمع متخلف ، لا يستطيع التملص منه ، والمستقبل كتدبير . وبهذا يتحقق شرط مفهوم القدر في المسرح اليوناني .

ولكن هذا القدر قدر بشري ، وإن تقنع بقنعة غيبية

وأخيرا - وهذا الأهم - استطاعت هذه الرواية أن تخلق البطل « التراجيدي » - نعني به حسيبة - الذي يخوض صراعا مع قدره ، لا ينتهي إلا بالدمار الذاتي .

هذا عن تفرد هذه الرواية ، أما سلبيتها الرئيسية فهي تحكم فكرة مسبقة متناقضة وغير مقنعة . لنبدأ بجانبها السلبي :

١ ـ الفكرة والرواية

يقدم لنا المؤلف نظرية طريفة عن المدينة الواحة ، الواقعة على طريق القوافل التجارية ، ومن خلال ذلك - وربما دون أن يقصد - يقدم لنا مفهوما للزمن وللتاريخ . « إن العرب استقروا في تلك الواحات - المدن أنفس » « ستبقى الأحلام القديمة ، أحلام الغزاة الكبار ، والمغامرين الكبار ، والحالمين بالكبار ، والتجار الكبار . أولئك الذين قذفتهم يوما خيالات الصحراء العربية إنهم أحفاد أولئك الذين طردتهم جفاف اليمن بعد تحطم مخامرتهم الكبرى في البحث عن حرفة الصحراء المهاجرة ، فتفرقوا ، واجتازوا الصحارى ، تحملهم جماهير المتعبة ، حتى رأوا واحة مسكينة ، فرأوا فيها الجنة المنتظرة ، وقالوا : سنرتاح قليلا حتى المحطة القادمة . تلك المحطة التي لن يصلوها فيما بعد أبدا ، لأن الكسل والملل والانتظار مالبث أن سكن دماءهم الفاترة وحاصرتهم الصحراء ، » وقالوا : نوفر قليلا ، نوفر في الفرح ، نوفر في الحزن ، نوفر في الشوق ، نوفر في المغامرة » .

وهكذا استسلموا لركود مديد ظاهري ، وازدادت هذه الواحات ركودا عندما تحولت عنها طريق القوافل التجارية ، « وفي فترات الانتظار الطويلة ، فترات تغير طرق التجارة الكبرى ، يتولد تصميم قديم ، « ينبح » لاداعي للشرح ، سترجع القافلة وطرق القوافل والأرباح والغنى قريبا » ، لكن الحلم السبتي القديم يستثار عند « هؤلاء الأحفاد الصغار لأولئك المغامرين ، والمحاربين ، والحالمين والتجار الكبار ، « فكانوا » يفاجئون حين يسمعون أن واحدا من أبناء جلدتهم قد قرر كسر ركود الواحة والخروج إلى كبد المغامرة ، لذلك حين سمع « أبومنير » و « أبوسعيد » و « الشيخ يوسف » نبأ عودة صياح المبدي اليهم ، حملوه كل شوقهم القديم إلى تلك المغامرات ، والرحلات والأحلام التي كانت خبز أجدادهم اليومي ، قبل أن يرتاحوا قليلا في تلك الواحة ، فرأوا فيه تحقيق الحلم وإنجاز الشوق » .

هذه هي النظرية التي يقدمها المؤلف ، وهي تأتي في سياق عودة صياح المبدي وزوجته حسيبة من احتفائهم في جبل ، بعد أن شاركا في الثورة السورية ضد الفرنسيين ، إثر انتهاء احتفى الفيصلي بالاستقلال والوحدة ، بعد ليسكنا في بيت قريبهما ، حمدان الخوقدار ، بعد أن انتهت الثورة ، وحتمها لم يجدا مكانا يؤويهما ، إذ أن حمدان يرحب بقدومهما لأنهما آثارا عنده ، وعند أبناء الواحة الراكدة ، الحلم السبتي القديم .

ومن هنا تصبح الثورة السورية - في وجه من وجوهها - تمردا على الركود الروحي لأهل هذه الواحة المسماة دمشق

المؤلف نفسه ، وصف البداية ، غير مقتنع بهذا التفسير ، فصياح انضم للثورة لأنه لم يستطع العمل مشتبه « فقابريكات » فرنسة وانكلترة كانت قد استولت على العالم الذي سحب منه صياح إلى السفربرلك .

« وحين انضم صباح المصدى إلى حارس حارات الشام ، حسن الخراط ، في هوجته في الغوطة ، كان يظن أنه سيستعيد عالمه القديم الهادىء ، حيث يخلو إلى عدته البسيطة ، ويسدي الحرير في تلك الدورة النسيجية الطويلة في صناعة الصايات والالاجات والديما » .

وهذا يعني أن الدافع الرئيسي للثورة كان تغيير الهياكل الاقتصادية الاجتماعية ، هذا التغيير الذي أدى إلى بطالة العديد من أصحاب الحرف اليدوية ، وإلى تغيير موقعهم الاجتماعي .

أليس هذا سببا مقنعا للثورة ؟

إن هذه النظرية تطرح إشكاليات عديدة ، سواء على مستوى النص الروائي ، أو على مستوى علم الاجتماع . تطرح على المستوى الروائي انحياز الكاتب إلى القدر الذي لا راد له ، وخذلان حسيبة التي واجهت ذلك القدر وتغلبت عليه . يبدو لنا أنه حين يرى المؤلف أن الحاضر يطيع الماضي ، وأن الأموات يحكمون الأحياء ، فإن مأساة حسيبة هي أنها لم تخضع لقدرها ، بل لقد لبست ملابس الرجال ، وعاشت حياتهم حين شاركت في الثورة ، يعني أيضا أنه كان على خالدية خاتم أن ترضى بقدرها ، أن تكون زوجة لرجل تزوج عليها وهي في سن الثامنة عشرة . وهذا معناه أن تفقد الرواية كل شيء ، كل شيء مميز وجميل فيها . وهذه النظرية غير قادرة على سلب ماهو مميز وجميل فيها ، لأن تعاطفنا مع حسيبة وخالدية أقوى من كل التنظيرات . إن الماضي ، بكل تجلياته كقدر ، يظل الفعل الدرامي داخل هذه الرواية .

وعلى مستوى علم الاجتماع فإننا نعلم أن المعطيات الاجتماعية والوعي قادران على تبديل الماضي كقدر . قد يبدو الماضي طاغيا ، ولكنه ، عند تأمله بدقة سيتكشف عن قناع للحاضر . عندما تقرر حسيبة مثلا أن تقيم مصنعا للجوارب فإن مجموعة قيم الماضي تصبح مجرد لغة تعبر عن واقع محدد : إنها مهددة بالمجاعة الحقيقية هي وابنتها وحفيدتها . ومقاومتها ليس استجابة لأرواح الأجداد ، بل خصوبة روحها وجسارتها

٢ - التقنية الروائية

قلنا : إن هذه الرواية مكتوبة بتقنية جديدة على الرواية ، هي مزيج من أسلوب الجاحظ في « البيان والتبيين » وإيقاع المسرح اليوناني ، أو تلك النبرة الخطابية للمسرح اليوناني فماذا نعني بذلك ؟

في هذه الرواية لا نجد البنية الروائية المتعارف عليها ، نعني بذلك تلك البنية العضوية المنسجمة ، حيث تصبح الأجزاء ذات وظيفة محددة : أن تشكل الوحدة الروائية ، بهذا لا نستطيع أن نضيف جزءا آخر إلى الرواية ، أو أن نحذف منها جزءا ، والرواية بذلك تشبه عضوية الكائن ، حيث إن بتر عضو وإضافة عضو تؤدي إلى تشوه دائم .

في هذه الرواية نجد خروجا على مبدأ الوحدة العضوية ، فبمجرد أن يفتح حمدان الجوقدار الباب ، ليستقبل صباح وابنته حسيبة ، نرى المؤلف قد انتقل إلى شرح نظريته عن - الواحة - المدينة ، وعلاقتها بالقوافل القديمة . وهذا يتكرر كثيرا في الرواية ، فمن خلال مريم - وهي شخصية هامشية في الرواية - يحكي لنا المؤلف تاريخ حياة زوجها ، دون أن يكون لذلك أدنى علاقة بالخط الأساسي للرواية .

إنها تقنية الكتابة العربية كما في « البيان والتبيين » للجاحظ و « الكامل » للمبرد ، و « الأغاني » لأبي الفرج . إن الانتقال في هذه الكتابة من حدث إلى آخر لا يتم عبر تسلسل تاريخي ، ولا عبر رابط عضوي بين الأحداث ،

ولكنه يتم عبر التداعي .

هذا يعني أن هذه التقنية محكومة بالشكل الروائي ، فالخروج عن التسلسل الروائي أضفى أبعادا جديدة على ذلك التسلسل ، وأدخلنا في عالم الرجال الذين لم يكن لهم دور كبير في البنية الروائية . من خلال هذا الخروج على التسلسل عرفنا خالدية وأزواجها ، فأصبحت حسية بالنسبة لنا أكثر وضوحا . لقد أسهم كل هؤلاء الرجال في بناء شخصية حسية التي كانت تبني نفسها ضد الرجال الغائبين ، بما فيهم الأجداد والأسياد ، أي الأرواح المتحكمة .

روح المسرح اليوناني

تحدثنا عن اقتران هذه التقنية بإيقاع المسرح اليوناني وروحه ، وأعني بذلك شيئين :

الأول : تجسيد الظرف الاجتماعي بأرواح غيبية . لها سمات مفهوم القدر في المسرح اليوناني وملامحه . وهذا ماسوف نفصله بعد قليل ، في الحديث عن بناء شخصية حسية .

الثاني : دمج وحدات الزمن الثلاث بعضها ببعض ، وهذا ماستحدث عنه ببعض التفصيل هنا . وسوف أقدم بعض الأمثلة على ذلك .

حين دخل صباح المسدى وابنته إلى بيت حمدان ، بعد أن انتهت الثورة ، قدم صباح ابنته :

« هذه حسية ابنتي .

واتسعت عينا حمدان دهشة : حسية ابنتك ؟

ـ نعم ، كانت معي في الجبل .

بعد سنوات ، وفي جلسة صفاء ، وكانا جالسين في مقصف قصر شمايا ، يلعبان الطاولة ، قال حمدان لحسية :

ـ كانت مفاجأة ، مفاجأة صعبة على التصديق لما رأيتك مكشوفة الوجه ، تمشين إلى جانبه في الحارات .

مثال آخر على ذلك هو عرض نظرية المؤلف عن المدن ـ الواحات ـ ، لتفسير الاستقبال الجماهيري لصباح وحسية ، بعد عودتهما من الجبل . والأمثلة كثيرة ، فلا داعي لزحم هذه الدراسة بها . فإلى أي شيء يشير استدعاء الأزمنة الثلاثة إلى اللحظة الحاضرة ؟ وكيف يخدم الموضوع الأساسي في الرواية ، ونعني به صراع الإنسان ضد القدر ؟

القدر هو أحد احتمالات الحاضر التي يختزنها المستقبل . عندما نكرس هذه الاحتمال في اللحظة المعاشة ، فإننا نضفي على تلك اللحظة كثافة مأساوية ، وبكلمة أدق : جلالا تراجيديا . إن اللحظة الحاضرة تصبح ممرا يعبر به البطل نحو مصيره المأساوي . إن عظمة « ماكبث » هو أن مصيره ـ قدره ـ كان بالغ الوضوح بالنسبة له . إن ماتقوله هذه الحيلة الروائية هو أن المأساة ليست تلك النتاج « الميلودرامي » لسخرية الأقدار ، بل نتاج اختيارنا على الأخص . البطولة تختار المأساة ، لا الميلودراما .

٣ ـ المأساوي البطولي

تنبثق بطولة حسية ومأساويتها من كونها أرادت أن تتجاوز قدر المرأة . أن تصوغ حياتها بيديها ، وليس بالخضوع للمواصفات الاجتماعية التي صاغها عالم الرجال ، أن تكون قيمها نابعة من ذاتها ، وليس من عالم الرجال والأسطورة والأجداد . إنها مأساة الفرد الموجه من الداخل ، في عالم موجه بالتقاليد ، حسب تحديد الأنماط التاريخية الذي يطرحه « ديفيد رايزمان » إنها مأساوية الفلاسفة والعلماء والشعراء ، أولئك الذين يسميهم « فوكو » المجانين الذين لم يستطيعوا أن يوحدوا صوتهم بصوت المؤسسات القائمة .

حسيبة تعيش في ظل لعنة ، وجوهر بطولتها المأساوية أنها تتحدى تلك اللعنة . صامت سبعة أيام واعتكفت ثلاثة ، متوقعة أن يأتيها النور من الداخل ، وسوف يجعلها منسجمة مع كل المؤسسات ، ولكن القضية لم يحل عقدتها . لقد تحدت قدرها وعليها أن تدفع الثمن .

خرجت حسيبة إلى الحي ، ولبست ملابس الرجال ، وقصت تسريحتهم ، ودخنت [illegible] سجائرهم . إن [illegible] التي زوجتها [illegible] يقولون لها :

« ألا تكوني تخجلين من المشي حاسرة الوجه ، تاركة كل هذا الحسن نهبا لتلك العيون النهمة الوقحة الجائعة » .

فقالت لترضيه :

« كنا فلاحين على قد حالنا ، نعيش في الجبل ، ونقاتل الفرنساوي ، ولم نكن نفكر في أن الوجه عورة » (وتنهدت قليلا) ، إنه الجهل عمي » .

وعندما (أصبحت) أنثى وزوجة كان عليها أن تصير تلميذة لخالدية خانم ، تتعلم على يديها مهنة الأنوثة وغدرها . وأنوثة مثل تلك التي يطالب بها مجتمعها لا تصاغ بالتعاليم والنصائح ، بل تصاغ عبر المخدع الذي يلازمها منذ الولادة . لهذا أصبحت تعيش أنوثتها بوعي خارج عنها ، وهي الفرد الذي كسر التقاليد والمحرمات ، وخرج من أطر المؤسسة الاجتماعية . إنها تعفي مربيتها خالدية عندما نصحتها بأن تزيل حاجبيها العريضين ، وقالت لها : حاجباك حاجبا رجل . فردت : « جئت إلى الحياة هكذا وسأبقى هكذا » .

أصبحت هي التي تتخذ القرار : فلتتزوج خالدية صباح ، وليصبح صباح شريكا في الدكان . وهي التي ألزمت زوجها بتخزين المواد التموينية ، لأن الحرب قادمة . أضفت على زوجها - الدكنجي الصغير - سمات الفرد المتميز المغامر ، صاحب المشاريع الكبيرة . تردد ولكنه وافق تحت إلحاحها .

وهكذا ، حسيبة هي الفرد الذي لا يكتفي بالخروج على تقاليد المؤسسة ، بل أراد أن يخضعهم لإرادته .

لقد كانت خالدية هي التجربة [illegible] الأولى للتمرد ، التمرد الأول [illegible] عندما [illegible] زوجها بزوجة أخرى . وهي ما تزال في الثامنة عشرة من عمرها ، أصرت على الطلاق . وحين حاول إعادتها رفضت بتحقيق شرطها ، وهو أن يطلق الأخرى . زوجها الثاني كان بخيلا فظا . فطلبت الطلاق منه . أما الثالث فقد أحبته . كانت إمكانية فتاة وعاشقة عظيمة ، وبهذا المزاج بنت أسطورته في داخلها ، والتزمت بها .

إن هذا التكوين الروحي لخالدية الفتانة المقموعة العاشقة المعطاءة هو الذي خلق تميزها عن المرأة العادية الراضية بقدرها ، وهو الذي جعلها بعد أن تخلى عنها زوجها الثالث ، وسلب



● غلاف الكتاب

منها كل ماتملك . تنصرف إلى إقامة عالم من العطور الناعمة والورود :

« بدأت بتربية نباتات الزينة . فجلبت الأصص ، وأخذت تشتري ، وتستعير ، وتستهدي ، لتتجمع عندها في أقل من سنتين أكبر مجموعة من نباتات الزينة في الحارة . بل ربما في المدينة . فأقامت جنة أرضية ، تعبر عن روحها الحساسة وتوقها للحياة . ولكن صرختها التي تجلت في الإبداع ، وفي التطريز وإقامة جنة الورود والعطور ، كانت سلبية تجاه الرجال ، تكتفي بالرفض والانتظار ، وفي هذا نكتشف الفارق الأساسي بينها وبين حسيبة .

حسيبة « كانت المرأة الأولى التي استطاعت ترويض حصان ، بل وربما كانت المرأة الأولى التي روضت رجلا في الحارة كلها » .

ولكن القدر الاجتماعي كان لحسيبة بالمرصاد ، فهنالك مرض غامض قد فتك بكل أبنائها الذكور ، ولم يترك إلا الفتاة الجميلة ، الرائعة رقة تمنعها من مواجهة الحياة . ولكنها ترفض قدرها . تقول خالدية :

« خالدية خاتم يجب أن أعطيه صبيا لن أستسلم أمام إرادة أولئك القساة » .

وكانت تلك هي البداية ، إذ توالت معارك حسيبة مع قدرها . ولم تنته إلا بنهايتها . معركتها مع أبيها صالح الذي رفض وصايتها ، ومع فياض الشيزري لتحويله إلى « دكنجي » ، ومعركتها مع قوانين السوق حين اشترت « الماكينات » اليدوية ، لتصنع الجوارب ، وسيطرت على سوقها ، ثم هزيمتها أمام تطور تقنيات السوق حين دخلت المكائن التي تدار بالكهرباء .

إلا أن أقسى معارك حسيبة كانت مع ذاتها ، حين أحبت فياض الشيزري كانت معركة مع رغبات الجسد الجامح ، ومع خصوصيتها التي تبحث عن سقف ، عن طفل ، ومع مجتمعها الذي يرفض زواج المرأة بمن هو أصغر منها سنا ، ومعركة مع ابنتها ، ومع الرجل الذي تحبه ، والذي حاولت قسره عن حبها .

من هنا نكتشف الفرق بينها وبين خالدية وقد تحرر جسدها من سيطرة القيم التي تقمعه . وتحررت طاقاتها النفسة ، أطاعت جسدها . واكتشفت منذ البداية جسدها الذي لا يرتوي كان مفتوحا ، ولم تكن تريد أكثر من ذلك . أما حسيبة فقد كانت تريد أن تمسك العالم بيديها وتعيد صياغته . على العالم أن يطيعها ، فلم تكن ترضى بأقل من ذلك ولأن ظرفها الاجتماعي ، قدرها لم يكن يتيح لها ذلك ، دمرت نفسها ومن حولها .

سمات حسيبة هي السمات العميقة للثوري ، نقيض لنمط يأتي الحضارة الأوروبية وامتداده في الوقت نفسه . حين يضع الثوري مشروعا لتغيير العالم فإن على العالم أن يطيع .

٤ ـ أقنعة القدر الاجتماعي

إن أهم مافي هذه الرواية أن الصراع بين الشخصيات ومعطياتها الاجتماعية لم يتم عبر وعي مضاف إليها ، بل تم برموز ومعطيات ذلك العصر .

إن هذه الأبنية التي تكبت ، لتقمع كل تمرد ضد الواقع التقليدي ، لابد أن يكون تحررها معيقا للصراع ، وهذا ماقدمته الرواية بامتياز ، وهو مايجعلها تقف كواحدة من الروايات العربية المهمة .

هذه رواية مهمة في سياق الرواية السورية والعربية ، فهي قد قدمت أعمق طرح لقضية المرأة ، ومن خلال ذلك طرحت قضية الإنسان في العالم الثالث . □



المقهى

قصة بقلم : ليلى العثمان

في غفلة وجدت نفسي داخل المقهى المزدحم بأنماط البشر ، هاربون من الحياة ، ومن أنفسهم ، مواطنون وغرباء ، لوحت الشمس بشرتهم ، أصحاب عاهات يتكئون على العصي ، وبضعة شبان يثيرون ضجة عالية ويتضاحكون ، عشاق صغار هاربون من عيون الأهل ، باحثون عن زحام يضيع وجوههم التي تتألق بفرح خائف .

وجدت لنفسي بين هذا المشهد مكانا . قدم الكرسي القديم عثر تحتي . ألقيت نفسي عليه وانتظر مرور النادل الذي يتوزع بين الجالسين بنشاط عجيب .

جو المقهى يضيق بدخان السجائر ، والنرجيلة ، وروائح العرق ، والقهوة ، والشاي ، والمشروبات الأخرى التي ألمح ألوانها ولا أعرف أسماءها . الأصوات متداخلة ، حينا تكون كالهمس ، وحينا كالصراخ ، بعضها يدب إلى الأذن فالتقط جزيئات منه ، وبعضها يتبعثر في المكان الواسع ، ويضيع مع الضجيج القادم من باب المقهى الذي ينفتح ويغلق دون فرصة للراحة ، لكنها فرصة لرئتي لاستلاب هواء جديد .

أخذت أتسلّى بالنظر إلى أقدام الجالسين ، ذات الأحجام والأطوال المختلفة . حذاءه تلازمني دائما ، وأتصور أن أناقة الرجل تبدأ من قدميه . هاتان قدمان لرجل عطوف لا شك أن زوجته تصحو باكرا من أجل تلميع حذائه ، وهو السيد الذي لا يعبر لسانه عن كلمة شكر .

هناك امرأة تحسب تفردها ، حذاؤها متآكل ، يشير إلى أنها عاملة ، لا تملك وقتا للاهتمام به . بعض جلود نزلت تتوزع في ساقيها وأصابعها التي تطل من رأس الحذاء تحمل طلاءها القديم المقشر .

في الزاوية يجلس رجل كشفت التجاعيد وجهه ، حتى خيل إلي أن التجاعيد وصلت أطراف أصابعه . بدت قدماه داخل الحذاء مبعوجتين . يرتشف شايا أخضر ، ويهش بكفه الكسل بضع ذبابات تتطاير ، بينما الجالس إلى طاولته يغرق وجهه في الجريدة ، لكن عينيه ساهمتان في اللاشيء . يرتدي حذاء ذا كعب عال ، لزوم قامته التي تبدو قصيرة .

تلك قدمان كأن تلامسهما الأرض القاسية بعد ، تعرتا إلا من براءتهما وطراوتهما . طفل يرتاح في حضن أمه ، ويعبث بأزرة حذائها الكبيرة . انحدرت عيناي إلى حذائها ذي اللون الأحمر الفاقع المزين بشريط أسود ينتهي بعقدة على شكل وردة ، والكعب رفيع جدا ،

استغربت كيف سيحمل وزنها الثقيل حين تقف، وهلع قلبي حين تصورت أنها ربما تقع ويقع الطفل وتطوف بتراب الأرصفة وأوساخها.

شعرت بشيء يزعجني، يختض معه رأسي الذي يبحث عن لحظة ما. انتبهت إلى أن الجالس عن يميني يهز قدمه اليمنى المطروحة أمامه بشكل يوحي للقناعة بأنه يعاني من مرض عصبي، خاصة أن عينيه المصوبتين ترتعشان دون أي تعبير. حين تابعت الاهتزاز تذكرت زميلا قديما، شاركني ذات يوم نشاطا ما، في إحدى المؤسسات، وكنت أنشط على ركبته لتتوقف فيضحك شامتا بانزعاجي. لم أعد أراه، فقد تزوج امرأة مومسا وتحول إلى أسرارها.

غيرت وضع جلوسي، بحيث أعطيه ظهري الذي بلا عيون، خشية أن ينتقل توتر أعصابه إليّ، فإذا بعيني تصطدم بوجه الذي يجلس أمامي، وقد داهمته شرقة حادة، احتقنت لها حدقتاه، وتطاير رذاذ الشاي من فمه، ولامس أنفه، ونال وجهي بعض الرذاذ الساخن. في المقهى المكتظ بروّاده يكثر المتسولون، يدخلون ويخرجون مارين بالطاولات، نساء منحنيات للزمن المر، متلفعات بألوان من الشوادر والعباءات، رجال عجائز فقدوا أسنانهم وشعر رؤوسهم وضوء عيونهم. صبيات جميلات، تقفز شهوات بعضهم إليهن وتقتحمن بكارتهن. وأطفال زفرتهم الأمهات إلى الشوارع الكالحة، حفاة، عراة الأقدام، متسخو الوجوه، خشنو الأكف كأن الطفولة غادرتها. تراقب عيني الأيدي الكثيرة التي تمتد إلى الرواد. ترتد خائبة أو ظافرة، والشفاه شاكرة أو لاعنة، تثاقر كلماتها كالغبار، وقد يعج صوت الرجال فيها.

أحد الجالسين يعبث بسبحته، التقطت أذناي المشتعلتان صوته :

- لا أدري متى بالضبط بدأ هذا الشقاء يزحف! كيف يتكاثرون؟

قال رفيقه بحزن :

- النساء الباغيات كثيرات، لا هم لهن سوى تفريخ هذا الشقاء. لا يمكن ثمن حبة منع الحمل.

- البعض يأكل ويبصق، والآخرون يلحسون البصاق، لا عدالة، ولا رحمة.

صوت الآخر بحدة يؤكد لصاحبه :

- يوما بعد يوم ستجد أسماء هؤلاء تفرض السيطرة.

ضحك بجزء حزين :

- نحتاج حقا لعمر بن الخطاب جديد.

بلّم شديد يضغط على أسنانه ويكوم قبضته :

- والله حرام، فئة تلتهم موائد الخير، وكثيرون جياع.

قال صاحبه وهو يمسك بخصر سيجارته :

- انظر، كل شيء صار كهذه السيجارة، انظر كيف تلتهم الورق، تحوله إلى رماد. هكذا يفعل الطغاة بهؤلاء البشر.

فتبادلني إحساس بالغثيان وأنا أتصور للولائد العامرة في مدينتي، حيث يلحب أغليها هدايا لصناديق القمامة، فتسمن الفئران، وتكثر القطط من طريقها جاحمة البطون.

بطون النساء تختلف عن بطون الرجال، تكون منتفخة تحت ضغط الرحم أو التخدير الهيلة. يبدو شكل امرأة حامل جميلا، لكنها بالتأكيد لا تفكر بشيء بعد الولادة إلا بكيفية استرجاع رشاقتها. فإذا كانت أناقة الرجل تبدأ من قدميه فإن أناقة المرأة تبدأ من مساحة بطنها وصدرها. صوت أحدهم يصرخ بالنادل، فيرتجف، ويسقط كوب الله الفارغ، ويتناثر الزجاج، ويبتعد أحد الأطفال الحفاة، بينما تلوس قدم رجل سمين على بعضه، ويصطر صوت أزيز، تخلك له الأسنان تأثرا. يصل النادل مسرعا، ويطرق فنجان الشاي ليأخذ

أمامي ، وينصرف بعد أن يلقي ورقة الحساب القابلة للبللة ، فأكتم الغضب في صدري وعيناي تستقران على صدور الناس الجالسين . أكثرها متعب ، مثقل بالهموم . بعضها يبدو وقد مات منذ زمن طويل . قليل منها مشرع للهواء وللحياة ، كأن أصحابها يتحدون بالأمل كل يأس طارىء . ما الذي تحمله صدور الناس هذه من أحاسيس ، وحكايات ، ومتاعب ، وأسرار ، وأحقاد ، ومشاعر حلوة نادرة ؟! شيء يثير الفضول ، وعالم الصدور غالبا ما ينعكس على الوجوه . يقرر بركان فضول العين إلى الوجوه المدهشة للمختلفة . كل متناقضات الحياة موزعة عليها . وجوه بائسة تجمدت أحلامها ، وأخرى هدّل التعب جلدها ، وأخرى موشاة بحزن عتيق ، شق له أخاديد في تضاريسها . وجوه تتفتح بالفرح أو بسعادة واحدة ، وجوه متفائلة ، وأخرى يفوح شؤمها ، عالم من الصور تحمله وجوه جميلة سبحان الله صانعها ، ووجوه مضحكة لا تميز العين سرها ، وجوه تدعوك للتأمل تضرك وتغلق أمامك باب النظر . وجوه تبتهج خجلة ، تحس أنك تعرفها ، بالتأكيد تعرفها ، وأخرى تتساءل لماذا هي موجودة في الأصل ؟

صوت سعال خفيف يتسرب إلى أذني . ألتفت ناحية الصوت يستوقفني الوجه . تفرست فيه ، أكلمت لنفسي .

- أنا أعرف هذا الوجه ، أعرفه جيدا .

أمسكت رأسي أشد عليه . أعصر ذاكرتي وكأنها برتقالة لما تستو بعد ، ألح عليها أن تذكرني بصاحب هذا الوجه : أين رأيته ؟ متى التقيته أول مرة ؟ هذه الخطوط العميقة في جبينه خطت أخشيها عمقا داخل وجداني ، فكيف أنساه ؟

كان النادل قد وضع فنجان القهوة أمامي حسب طلبي ، رشفت منه ثم عدت أتفرس في الوجه الذي أيقظ نحتي من تأملاته في الأقدام والبطون والوجوه . يجلس هادئا ، يقلب مجلة أجنبية ، وبين شفتيه سيجارة تكاد تنطفىء ، ويتناثر رمادها على بدلته الداكنة . لعله شعر بنظراتي المصوبة نحوه . التفت ، رفع حاجبيه بالسؤال الصامت : هل تريدين شيئا ؟ خفضت بصري والهمس بداخلي : لا أريد شيئا ، ولكن من أنت ؟ منذ شهور وذاكرتي تخونني وتحرجني . قبل سفري راجعت طبيبا بناء على إلحاح إحداهن . حتى هذه اللحظة لم أتذكر اسمها على الرغم من الأسماء المتلاحقة حولي من رواد المقهى . يومئذ كنت أزور أحد المعارض الفنية . حين رأتني هللت كالدومي ، فتحت ذراعين طويلين وحضنت جسدي النحيل :

- أهلا زينة ، يا للساعة المباركة ! أخيرا أراك بعد كل تلك السنوات .

تشمت رموشي دهشة باستقبالها الحميم ، رددت ببلاهة :

- أهلا !

وانهالت سؤالاتها كالمطر :

- هاتي ما عندك ! ما أخبارك ؟ أحوالك ؟ ما أخبار هشام وحنان ؟ وماذا بعد أن تركت المدرسة ؟ سامح الله والدك . ما أصاره ذلك الذي لم يكن يسمح لك حتى بالنظر من فتحة الشباك ؟ هه . . . ما أخبار خالتك التي كانت تشكو من مرض السكر ؟ لقد أصاب والدتي المرض نفسه ، وكانت تعالج عند الدكتور نايف .



آه ، ضمت ذراعيها وعانقت الحواه إلى صدرها ، كمن تحضن رجلاً توارثت بذكر اسمه . ثرثرتها تواصلت ، وأنا كالبلهاء أتصيد الكلمات لأربطها وأرد عليها ، لكنها تواصل دون توقف .

- الدكتور نايف ألا تذكرينه ، أم تتصنعين الغباء ؟ أحاول في هذه اللحظة أن أتذكر هذا الدكتور نايف الذي حاولت أمامها أن أتذكره فلم أفلح . من هو ؟ ولماذا تحدثت عنه بتلك الصورة المليئة بالتلهف والشوق ؟

بوطلاك غرست كفها في بطني المترهل وتسألني :

- الدكتور نايف ، ألا تذكرينه ؟ لقد عالجت أمي وعالجتك في عيادته ، تذكري كيف قرص خدك هكذا .

وشدت أصابعها على كتلة من لحم خدي ، توجعت ، ضحكت :

- هه ، تذكرتِ الآن ؟

لا أتذكر شيئاً . أصرت في ذلك اليوم أنه جاء ليخطبني ، وأنني كنت ميالة إليه . تحدثت عني وكأنها تعرفني أكثر من نفسي ، وأنا أزوغ بذاكرتي مرتدة للسنوات التي تعنيها ، لكن حيلتي يئست ، حتى اسمها لم أتذكره ، غيبه صوتها جافاً منها :

- اسمعي يا زينة ، أنت بحاجة إلى طبيب يغسل كسل ذاكرتك .

تلاقت عيناي بعيني النادل . هز رأسه ، قال بلهجته السريعة :

- حاضر ، فنجان قهوة ؟ سكر خفيف ؟ إنه الطقس .

هززت رأسي مبتسمة ، فرح بابتسامتي . مسكين ربما لم تبتسم له امرأة منذ أسبوع ، تلفت في المقهى ، الوجوه تغيرت ، الروائح جديدة . خلف الزجاج يغرس وجه طفل يدق بكفه الضئيلة على الزجاج ، حين أتجه إليه بكلي مد لسانه ، ويقوم بحركة هزء من يده ، ويفر بسرعة ، متصوراً أنني سأخش للزجاج لأعاقبه .

أستدير إلى وجه صاحبي ، ما يزال في



مكانه . هو الذي يراقبني الآن . وأنا أتساءل : هل عرفني ؟ لماذا لا يبتسم إذن ؟ لماذا لا يتكرم ويقترب ويصافحني وينطق باسمي ويعرفني باسمه لأتذكره وأرتاح ، وأتأكد أن ما قاله لي الطبيب صحيح :

- نسيانك اسم إحدى صديقاتك لا يعني حاجتك إلى علاج ، إن ذاكرتنا كثيرا ما تركن للراحة ، تماما كالجسد ، قد تنسى في لحظة ما اختزنته سنوات ، لكنها تظل مثل صفحة السماء مهما حاصرها الغيوم فإنها تصفو .

ربما أتحدى كلمات الطبيب في حينها ، لكنني في اللحظة هذه أشك في أقواله ، فهذا الوجه الذي يفرض وجوده علي ليس غريبا . لماذا لا يبادر ؟ هل يخجل ؟ هل يخشى أن يسبب لي إحراجا ؟ ليس معي رجل ما ! من يدري ربما هو مثلي يعاني من مرض الذاكرة .

يا إلهي !! الإلحاح الشديد يجعل ذاكرتي مرض هو الآخر . أين قابلته ؟ في أي بلد ؟ أي سماء ؟ ربما في إحدى رحلاتي الجوية الكثيرة . قد يكون أسعفني من عرقي حين اهتزت الطائرة وصرخت .. أو .. ربما في إحدى البواخر الكبيرة حين فاجأني دوار كدت معه أفقد توازني وأنزلق إلى القاع ، فسارعت ذراعاه وأنقذتنا صدري ، والتقت عيوننا في لحظة ميلاد ، جعلت وجهه يلتصق بلحم ذاكرتي كل هذه السنوات .

جسدي متراخ ، أشعر بأنني أستفيق من غفوة طارئة ، نقاط تتراقص أمام عيني وزخارف ملونة ، طعم القهوة تغير في فمي ، جفاف خشن تمدد على لساني ، خدر لذيذ يوقظني منه النادل :

- طلب آخر ؟

هدوء المقهى جعلني أدير رأسي متجولة . إنه شبه خال . الطاولات كثيرها نظيف لامع ، تتوسطه منفضة السجائر وأوراق الاستعمال . وقليلها كأن قد له بعد يد النادل الآخر الذي تتوزع بين الطاولات والزبائن لتنظيفها ، ما تزال عاكسة لأحوال الذين تركوها ، علب سجائر فارغة ومبعثرة . زجاجات المشروبات وكؤوس الماء وفناجين شاي وقهوة ورماد متناثر وأوراق ممزقة ، لو كنت في وضع جيد لفتحتها وقرأت أسرارها . الكراسي بعضها مصفوف مرتاح ، وأخرى ما تزال متباعدة ومتقاربة تئن من وطأة تعبها وعرق الذين هجروها .

الأرض متسخة مغبرة يغطيها البشر وبصمات الكسولين . لا أثر لكل الأقدام السليمة والشرهة ، ولا للصدور التي زفرت همّها . ولا للوجوه التي نسيت نفسها في تنويمات رأسي .

تمتد عيني بكل الفضول إلى كل الاتجاهات . أبحث عن الوجه الأليف المنسي في صندوق الذاكرة ، لكن الفراغ والصمت يواجهان جولة عيني حتى تقفا على الطاولة الأخيرة في الزاوية . يرتعش قلبي للمنظر ، رجل وامرأة ، عاشقان . الرأسان متعانقان ، الكفان متشابكان ، والشفتان لا أدري إن كانتا صامتتين أو هامستين . ضوء الظهيرة الحاد يسقط عليهما ، ويفرش تحت أقدامهما المسترخية بشكل مثلث غير منتظم الأضلاع .

وهمس النادل :

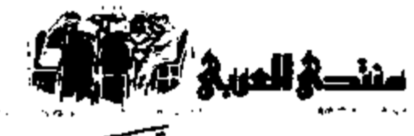
- شيء آخر ؟ الساعة الآن الثالثة والنصف .

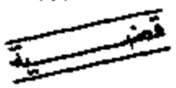
عيناه ترتدان إلى لوحة العاشقين المتزوجين ، كأنه اعتاد وجودهما ، ثم إلي يشبه رجله :

- شربت قهوة كثيرة .. الحساب .

رفعت قامتي بكسل ، فتحت حقيبتي ، سحبت كمًّا من الأوراق النقدية ، وضعتها على الطاولة ، وخطوت نحو الباب المغلق . قبل أن أخرج نظرت إلى النادل الذي كان ينظر إلى النقود بانشغال واضح لا يخلو من فرح .

فتحت الباب . كان خلفي وجه يطاردني ، يخترقني ، وينتصب في رأسي مصرا أن أتذكره . أمامي كان الشارع موحشا ، وفي قلبي إحساس بلوحة أخرى لعاشقين في مقهى آخر .□





الفكر الاجتماعي وقضية التنمية

بقلم : الدكتور نأول عبد الهادي*

« لم يزل بعض الناس ينظر إلى قضية التنمية من منظور اقتصادي فقط ، يدلل على أهميتها أو يقيس نتائجها وفق مؤشرات اقتصادية ، كمعدل الدخل ومستوى المعيشة ، وفي الحقيقة أن التنمية قضية شاملة ، تحتوي على البعد الاقتصادي داخلها ، وهي تمس المجتمع بكل أنساقه ومستوياته » .

من التعبيرات التي ذاعت في الفكر العربي في العقدين الأخيرين مفهوم التنمية ، وتجد الكلمة تستخدم في الوثائق الرسمية ، والخطط الحكومية ، وفي أبحاث الأكاديميين ودراساتهم وهم يتحدثون عن التنمية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية ، الى غير ذلك من المجالات ، وبقدر ما اتسع استخدام التعبير وذاع بين الناس ، بقدر ما استخدم في مجالات تخرج عن معناه ومقصده ، فبعضهم يستخدم مفهوم التنمية بمعنى التقدم ، وبعضهم الآخر يستخدمه بمعنى التحديث ، والاتجاه إلى أشكال عصرية من التنظيم الاجتماعي ، وبعض منهم يستخدمه كمرادف لتعبير التغير . وهذه الاستخدامات على الرغم من أنها غير دقيقة فإنها تشير إلى معان ودلالات ارتبطت ـ في فترة تاريخية أو أخرى ـ بمفهوم التنمية .

بدايات تاريخية

إن مشكلة التنمية لم تطرق أبواب العلم الاجتماعي إلا في نهاية الحرب العالمية الثانية ، فمنذ القرن السادس عشر على الأقل والمفكرون الاجتماعيون يعالجون موضوع التغير والتطور في المجتمع ، ويكفي في هذا المجال أن نستعرض

* كاتب من القطر العربي الليبي .

بسرعة ، أهم معالم هذه المعالجة . فكل من فرنسيس بيكون (١٥٦١ ـ ١٦٣٦) وريني ديكارت (١٥٩٦ ـ ١٦٥٠) قد تصور أن الإنسان يستطيع أن يحقق تقدما لا حدود له بفضل جهوده الإرادية الواعية . وقد وضع فونتنيل (١٦٥٧ ـ ١٧٥٧) نظرية التقدم الاجتماعي ، مؤكدا على أساس أن تراكم المعرفة العلمية هو أفضل سبيل لتحقيق التقدم .

وقدم أوجست كونت (١٧٩٨ ـ ١٨٥٧) نظريته المشهورة عن المراحل الثلاث التي تعكس صفة التقدم في التاريخ . وحتى بداية القرن العشرين اختلطت فكرة التغير والتقدم لدى عالم الاجتماع الانجليزي هربرت سبنسر (١٨٢٠ ـ ١٩٠٣) الذي رأى أن التقدم الاجتماعي يسير في وفاق مع التقدم الكوني و « البيولوجي » ، وأن التطور الاجتماعي جزء من عملية طبيعية شاملة تحدث في الكون .

والفكر الاجتماعي في القرن التاسع عشر يقدم لنا أيضا بداية التمييز بين أنماط متعددة من المجتمعات ، فالسير هنري مين في كتابه (القانون القديم) (١٨٦١) يميز بين مجتمعات قائمة على المكانة الاجتماعية ، وأخرى على التعاقد ، وأن جوهر التطور هو الانتقال بالمجتمع من وضع المكانة الاجتماعية الى وضع التعاقد .

كما ميز تونيز (١٨٨٧) بين الجماعة والمجتمع ، حيث يسود الأولى طابع المحلية والعلاقات التلقائية الطبيعية ، أو ما يسميه الإرادة الطبيعية التي تجد أساسها في العائلة أو القبيلة ، وفيه تعد الجماعة بمثابة تنظيم طبيعي ، يرتبط به الإنسان من الميلاد الى الممات ، ويشعر بالانتماء إليه ، وتسود الوحدة العضوية والقيم المشتركة والتناسق الداخلي . أما المجتمع فيعرف الإرادة العاقلة أو الرشيدة ، حيث تسود قيم التعاقد والعمومية والانتماء إلى جماعات غير طبيعية كالنقابة أو الحزب . كذلك يفرق اميل دوركهايم (١٨٩٣) بين مجتمعات بسيطة وأخرى مركبة ، الأولى



● فرنسيس بيكون

يسودها التضامن الآلي الذي يقوم على التشابه في الأبنية والقيم السائدة والأفكار ، والثانية تقوم على التضامن العضوي الذي يعتمد على التباين الذي يؤدي إلى التكامل ، حيث يكون البناء الاجتماعي تنظيما للعناصر المتباينة .

هذه النماذج الثلاثة : (مين وتونيز ودوركهايم) ليست سوى أمثلة لعديد من الثنائيات التي قدمها الفكر الاجتماعي في القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، ومنها التمييز بين التقليدي والحديث ، والحضري والريفي ، والزراعي والصناعي ، لكن كل هذه المحاولات لم تخرج عن إقامة ثنائية بين نوعين من المجتمعات ، دون أن توضح لنا كيفية الانتقال من إحدهما الى الآخر ، والقوى التي تحكم هذا الانتقال . وتنتقد هذه الثنائية على أكثر من أساس ، فهي : أولا : تخلط بين مفاهيم التغير والتطور والنمو والتقدم . ثانيا : أن لها طابعا سكونيا جامدا ، وتفترض أن كل المجتمعات لابد أن تنضوي تحت أي من النمطين . ثالثا : تتضمن في ثناياها انحيازا للنموذج الغربي في التنمية ، وافتراض أن نموذج المجتمع الغربي هو غاية عملية التنمية ونهايتها .

من التنمية الاقتصادية إلى التنمية المجتمعية :

ذكرنا أن موضوع التنمية فرض نفسه على دراسات العلوم الاجتماعية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وعلى الأخص على استقلال دول آسيا وأفريقيا ، ومرة أخرى كانت سرعة التطور التاريخي أكبر من الحراك التعليمي أو الأكاديمي » . فقد وضح مدى تخلف الدراسات العلمية عن استيعاب الحقائق الجديدة ، ومعالجة المشاكل المستحدثة التي طرحتها هذه البلدان . وكان علم الاقتصاد أسرع العلوم الاجتماعية استيعابا للموضوع . وبرزت التنمية الاقتصادية كأحد اهتمامات العلم الرئيسة ، وربما كان سبق علم الاقتصاد في هذا المضمار مرجعه لأربعة أسباب :

أولها : أن الحكومات شجعت ذلك من حيث تركيزها على مشكلات التخلف الاقتصادي .

ثانيها : أن الآثار الاقتصادية الناجمة عن التخلف ، من بطالة وفقر وغيرها ، لها طابع العجلة .

ثالثها : أن علم الاقتصاد أكثر قدرة على التعبير الرقمي عن متغيراته .

رابعها : أن موضوع التنمية السياسية والاجتماعية قد يثير حساسيات وخلافات لاتوجد رغبة في إثارتها .

وتطرف بعضهم في التركيز على البعد الاقتصادي إلى حد اعتباره العنصر الوحيد لعملية التنمية ، ووصلوا إلى نوع من الحتمية الاقتصادية أو التقنية ، مؤداها أن كل التغيرات التي تطرأ على المجتمع يمكن إرجاعها في نهاية الأمر إلى عوامل اقتصادية أو تقنية . يترتب على ذلك أن تصبح المدخلات الاقتصادية أو التقنية هي السبيل الوحيد لإحداث التغيير الاجتماعي .

ولاشك أن في ذلك تبسيطا شديدا لمفهوم التخلف ، لتداخل مختلف ظواهر الحياة الاجتماعية جدليا ، وتساندها وظيفيا . ويظهر الدراسة في الموضوع الصحيح شمول ظاهرة التنمية ، وأن التنمية الاقتصادية ماهي إلا أحد متغيرات الظاهرة التي تشمل متغيرات اجتماعية وسياسية أخرى مثل طبيعة البناء الاجتماعي والعدالة في توزيع الدخل والمكاسب ومدى ونسبة الثقة في المجتمع والتقدم السياسي والسياسات العامة . كما تتضح العلاقة الوظيفية بين مختلف جوانب عملية التنمية . فالتنمية الاقتصادية ترتبط بعديد من الجوانب الاجتماعية ، من حيث شروطها ونتائجها ، فنجاحها يتطلب وجود مؤسسات اجتماعية معينة ، وقيم ونظام تعليمي وخبرات فنية وتقنية ، فالقيم الاجتماعية التي تضبط السلوك الاجتماعي وتوجهه تمارس تأثيرا على عملية التنمية من حيث آثارها المباشرة على الحوافز وأنماط الاستهلاك وحجم المدخرات وحجم الأسرة . ويدخل في ذلك أيضا دور المعتقدات والتقاليد والعادات والأوضاع والالتزامات العائلية والقبلية ، كما تتطلب التنمية الاقتصادية اعتبار التعليم ، وما يتصل به كالتدريب المهني والبحث ، نوعا من الاستثمار ، وتوجيه سياسته وفقا لاحتياجات التنمية . ومن حيث الآثار والنتائج فإن التنمية الاقتصادية تطرح آثارا على أشكال المجتمع وأبنيته ، سواء ما يتعلق بوضع الأسرة أو بموجة العمران (التحضر السكني في المدن) أو بنسق القيم السائدة والعلاقات الاجتماعية والعلاقة بين الأجيال . كما أنها تستهدف في التحليل الأخير هدفا اجتماعيا ، هو توفير حد أدنى من الإشباع الاقتصادي اللازم لتحقيق رفاهية الإنسان . التنمية الاجتماعية من الناحية الأخرى تستهدف إقامة بناء اجتماعي ، يضمن استثمار إمكانات المجتمع البشرية والمادية أفضل استثمار ممكن ، ويضمن توزيع عائد التنمية الاقتصادية توزيعا عادلا . فالتنمية

الاجتماعية تستهدف إحداث تغيرات اجتماعية في أبنية المجتمع ووظائفه ، ويتضمن ذلك البناء الشكلي ، وللأنساق الاجتماعية ، ونسق القيم والمعايير السائدة ، وهناك علاقة وثيقة بين البناء الاقتصادي لمجتمع ما ، والشكل السياسي له ، والقوى الفاعلة فيه .

ومن ناحية أخرى فإن التنمية الاقتصادية تتطلب درجة من الاستقرار السياسي الذي يدفع الى ازدياد معدلات الادخار ، ويخلق إطارا نفسيا ملائما للعمل المشترك ، كما تتطلب جهازا إداريا على درجة عالية من الكفاءة . نتج ذلك على المستوى ، الأكاديمي ، حركة مزدوجة من ناحية ازدياد اهتمام الاقتصاديين بالعوامل غير الاقتصادية في عملية التنمية ، ولعل دراسات روستو وهاجن وميردال أفضل أمثلة في هذا المجال . ومن ناحية أخرى تطور الاهتمام بموضوع التنمية في مجال الدراسات الاجتماعية الأخرى ، كعلم الإنسان (جيرتز) ، وعلم النفس (ماكليلاند) ، وعلم الاجتماع (مورولينرنر) ، وعلم السياسة (للموند وفيربا) ، و (باي وكولمان وابتر) .

وعلى المستوى الحكومي اهتم المخططون بدور العوامل الاجتماعية في عملية التنمية ، مثل الاعتراف بدور القيم أو النظام الإداري في تعويق عملية التنمية أو الإسراع بها . وقد أشار العديد من برامج التخطيط في البلدان النامية إلى هذه الحقيقة . وكانت نتيجة هذه الحركة أن أصبحت التنمية الاقتصادية جزءا من كل ، وازداد الإدراك بأن تنمية الاقتصاد لا يمكن فصلها عن تنمية المجتمع ككل وإطلاق قواه الكامنة .

إنها عملية شاملة ، متعددة الأبعاد والجوانب ، بمعنى أنها تشمل المجتمع بأسره ، بكل ما يتضمنه من أنماط سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية . فمن المسلم به لدى أغلب الباحثين أن المجتمع يمثل وحدة عضوية كلية مترابطة ، يتأثر كل جزء منها بالتغير الذي يطرأ على باقي الأجزاء .

ما التنمية ؟

قضية التنمية إذن هي قضية تغير حضاري شامل ، يتناول كل أبنية المجتمع وأدواره ، ويشمل الجوانب المادية والإنسانية فيه . يترتب على ذلك أن أي نظرية في التنمية الاقتصادية أو السياسية مثلا لابد أن تنبثق عنها ، وترتبط بنظرية عامة في تطور المجتمع ، وأن تأخذ في اعتبارها جوانب المجتمع المختلفة التي تتعرض لعملية التنمية ، لذلك لابد من الأخذ بمنهج ينظر إلى الظاهرة التنموية في تكاملها ويسمح بالنظرة الشاملة للبناء الاجتماعي ككل .

وهكذا نخلص إلى أن التنمية ليست مجرد زيادة مستوى الدخل ، ولا مجرد تحقيق أهداف اقتصادية ، وليست مجرد استعارة الأنماط التقنية المتقدمة من الدول المتقدمة ، فالتنمية كقضية حضارية بجوهرها تحفز الفعاليات الجماعية للأفراد في إطار المجتمع ، والسياسة التنموية هي تلك التي تسمح للأفراد وتنظيماتهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بمواجهة العقبات التي تحول دون ذلك ، وتمكنهم من إطلاق قواهم الكامنة ، لتحقيق هذه الأهداف ، بحيث يملك المجتمع قواه الدافعة من داخله ، ويصبح قادرا على تحقيق استقراره وتوازنه عن طريق الفعاليات الجماعية للمجتمع . □



× العاجز من عجز عن سياسة نفسه .
× العاقل من احتهر يومه بأمسه .
× ربما بات المرء مسرورا ضاحكا ، والموت على باب داره واقفا .



احتضار البحار!

بقلم : الدكتور سمير رضوان

بحار الأرض ومحيطاتها مريضة . والأحياء البحرية يقتلها التلوث . لذلك فحياة الانسان الذي يعتمد في جزء من غذائه على هذه الأحياء أصبحت مهددة . ويرفع التلوث من حرارة الجو فتمدد المياه في البحار ويرتفع منسوبها باستمرار . وقد تفضي هذه التغيرات البيئية يوما إلى طوفان يغمر اليابسة ويغرقها .

تلوثت بحار الأرض ومحيطاتها بما ألقى فيها الانسان من مخلفات صناعية وزراعية . وقد أصبح الكثير منها في حالة احتضار الآن . ومن ناحية أخرى يزداد متوسط حرارة الغلاف الجوي باطراد ، وذلك بسبب ما تبثه الصناعة والسيارات من غاز ثاني اكسيد الكربون . ويفضي ذلك إلى تمدد حجم المياه مما يرفع من منسوبها فتغمر الشواطىء مع الزمن ، ولقد بدأ الانسان المعاصر يشعر بوطأة هذه التغيرات البيئية السيئة ، ولكنه على الإجمال مازال لاهيا عن أخطارها المستقبلية ، ومازالت صرخات المختصين التحذيرية يطغى عليها

بسبب الجشع الاستهلاكي الذي احتوى البشرية في العقود الأخيرة ، والذي زينته الدول الصناعية للإنسان في كل مكان .

تلوث البيئة البحرية :

نشأت الحياة الأولى منذ ٣ آلاف مليون سنة في أعماق المحيطات على هيئة خلايا مفردة بدائية . فقد كانت الحرارة على اليابسة حينئذ أعلى من أن تتحملها الأحياء . كما لم يكن غلاف الأوزون الذي يحمي الحياة من الأشعة فوق البنفسجية القاتلة قد نشأ بعد ، ومن ثم فلابد أن أوائل الأحياء قد نشأت في أعماق المحيط حيث لا تنفذ إليها هذه الإشعاعات القصيرة الموجة .

وتحتل المحيطات والبحار من مساحة الأرض أكثر مما تحتله اليابسة . والبيئة البحرية بيئة مميزة تعيش فيها حيوانات ونباتات وميكروبات خاصة في اتزان عددي دقيق ، حيث يعتمد بعضها على البعض الآخر . والطحالب الدقيقة والضخمة هي نباتات البيئة البحرية التي تصنع المواد العضوية من ثاني اكسيد الكربون فتوفر بذلك لجميع الأحياء الأخرى من حيوانات وميكروبات غذاءها ، وتمثل الأسماك والحيتان وغيرها من الحيوانات كالفقمة أرقى الحيوانات في البحر . كما توجد أعداد غفيرة من الحيوانات وحيدة الخلية ومن البكتيريا . والميزان العددي القائم بين هذه الأحياء مستقر منذ أحقاب طويلة لا يختل إلا في حدود ضيقة ، وهو في الواقع محكوم بالظروف البيئية السوية . فإذا اختلت هذه الظروف اختل التوازن ونشأت الكوارث . هذا هو في الواقع ما طرأ على البيئة البحرية في الزمن الحديث بسبب التلوث .

وها نحن نسمع كل يوم عن نفوق حيوانات بحرية راقية بأعداد تدعو إلى القلق . والحيوانات الراقية ـ كما هو معروف ـ تقع في ختام سلسلة الغذاء . وقد سمم التلوث هذه



● الفقمة ـ حيوان بحري قتل التلوث منه الآلاف في بحر الشمال حتى أصبح مهدداً بالانقراض .

السلسلة بكاملها ، وتتركز الآثار السامة في آخر السلسلة. ولسنا بحاجة إلى أن ننبه إلى الخطر الذي أصبح بذلك يهدد حياة البشر الذين يعتمدون على حيوانات البحر في جانب من غذائهم . ويتسبب النشاط الصناعي والزراعي في معظم التلوث الذي يحدث بأسلوب غير مباشر كما يقع بأسلوب مباشر . أما التلوث غير المباشر فيتعلق معظمه بما تحمله الأنهار التي تصب في البحار من ملوثات . وتشمل هذه نفايات المصانع القائمة على شواطىء الأنهار وهي غاية في الكثرة والتنوع ، فلكل صناعة نفايات خاصة بها . ومن أمثلة هذه النفايات حمض الكبريتيك المخفف الذي تتخلص منه مصانع الأصباغ ومواد الدهان . وتدل الاحصائيات على أن أنهار ألمانيا الغربية وحدها تستقبل كل يوم نحو ١٢٠٠ طن من هذا الحمض كنفاية صناعية . وتؤدي زيادة الحموضة في البحر إلى الإخلال بالميزان الطبيعي السائد بين الأحياء البحرية . والأدهى من ذلك هو أن هذا الحمض غالبا ما يحتوي على كميات كبيرة من المعادن الثقيلة الذائبة فيه كالزئبق والكادميوم والرصاص وغيرها ، وكلها ضارة بالحياة .

تحوت مختنقة

كذلك تستقبل البحار مع مياه الأنهار نفايات غنية بالهيدروكربونات ومشتقاتها الكلورينية والفلورينية . وهذه المواد تأتي من المصانع التي تنتج مضادات الأعشاب والحشرات ومن الأراضي الزراعية التي تُرش فيها المواد فتغسلها الأمطار ومياه الري وتحملها إلى الأنهار . ولقد أصبح معروفا أن هذه النفايات أيضا ضارة بالجلد وتفضي إلى أمراض الحساسية والسرطان ، أما مياه التبريد التي تستخدمها المفاعلات النووية فتلوث بمقادير ضئيلة من الاشعاع يترك -- الزمن في البحار . أضف إلى ذلك أن الأنهار تحمل إلى البحار مخلفات المجاري وكميات من الأسمدة الزراعية الذائبة ، وتحتوي المجاري على كميات كبيرة من أملاح الفوسفات الناتجة من مساحيق الغسيل ، كما تحتوي هي والأسمدة الزراعية على أملاح النترات . هذه المواد بالذات تؤدي إلى زيادة طفرية في معدل تكاثر الطحالب مما يخل بالموازين الطبيعية بين الأحياء . وما أن تموت هذه الطحالب حتى تترسب في القاع حيث تحللها البكتريا فتتكاثر بسرعة مذهلة وتستهلك أثناء ذلك معظم الأوكسجين الذائب في الماء فتموت الأسماك والحيوانات الراقية مختنقة .

أما التلوث المباشر فيتعلق بالتخلص من النفايات مباشرة في البحار . وقد كان الاعتقاد سائدا في الدول الصناعية أن ميكروبات البحار كفيلة بتحليل كل ما يلقى في الماء من نفايات . لذلك فقد ألقيت كميات وأنواع من الكيماويات - لا يعلمها إلا الله - في أجواف المحيطات . ولكن البحوث أثبتت أن معدل تحلل مثل هذه النفايات في جوف المحيط بطيء أو معدوم ، نتيجة الظروف البيئية الصعبة هناك . فمتوسط درجة الحرارة يقترب من الدرجة الواحدة المئوية فقط وعندها توشك أنشطة الميكروبات أن تتوقف . أضف إلى ذلك أن الأحياء في الأعماق السحيقة لا يتحمل أغلبها الضغط المرتفع الناشىء عن عمود الماء فوقها فالنفايات اذن محفوظة في ثلاجات طبيعية بمعزل عن معظم الميكروبات مما يحفظها من التحلل ، فهي بذلك اخطار تتربص بالأجيال القادمة . وتحرم قوانين بعض الدول الصناعية على المصانع القائمة على الأنهار أن تتخلص من النفايات في مياهها ، فأصبحت هذه المصانع تشحن النفايات في سفن وتنقلها لتلقي بها في عرض البحر . هكذا يتم التخلص مثلا من النفايات المحتوية على حمض الكبريتيك المخفف ، ومن المخلفات الصلبة الناتجة عن معالجة المجاري في

كثير من الدول الأوروبية ، بل كثيرا ما تحرق النفايات شديدة السمية على السفن في عرض البحر ، وذلك بعد أن حرم حرقها على اليابسة . وهناك منظمات لمقاومة هذه الأنشطة غير المشروعة مثل حركة السلام الأخضر في أوروبا ، أما الدول المطلة على البحار فكثيرا ما تتخلص مصانعها من نفايات مباشرة في البحر كما يحدث في الدانمارك مثلا . وقد يتلوث البحر نتيجة لكوارث طبيعية مثال ذلك ما حدث في الصيف الماضي في بحر الشمال من انفجار منصة «بايبر ألفا» للتنقيب عن النفط ، وانسياب ملايين الأطنان من النفط الخام على مدى ثلاثة أسابيع قبل التمكن من السيطرة على الحريق . ونشير هنا إلى أن بحر الشمال أصبح اليوم يحتوي على ما يزيد عن ١٤٠ منصة من هذا النوع لا يندر أن تتعرض لكوارث مماثلة . وقد حسب العلماء أن هذا البحر يستقبل سنويا ما يربو عن ١٠٦ «مليون طن» من النفايات المختلفة مما جعله في عداد البحار المحتضرة ، بل مات الكثير من أجزائه .

احتضار البحار ظاهرة عالمية

وحتى لا يترسخ الانطباع لدى القارىء بأن بحر الشمال - الذي أشرنا إليه كمجرد مثال - هو البحر الوحيد الذي يحتضر ، يحسن أن نشير إلى أمثلة أخرى غيره . يصف المختصون البحر الأبيض المتوسط بأنه «بالوعة مجاري» ، بما تصبه المدن الكبرى من مخلفات مثل مرسيليا وبرشلونة وجنوة والاسكندرية وبيروت . وتدل الدراسات على أن هذا البحر قد مات - أي ماتت أحياؤه - عند شواطىء برشلونة . كما يرى المسافر بالطائرة رأى العين مخلفات المجاري بلونها الرمادي الكئيب ممتدة في زرقة البحر حول مرسيليا لمئات الأمتار . وتدل دراسات أخرى على أن مائة ألف كيلومتر مربع على الأقل من بحر البلطيق ميتة ، وتحللت حيواناتها وتعفنت ، وانبعثت منها الروائح الكريهة . وإذا قفزنا إلى شواطىء القارة الأسيوية في الشرق أو إلى شواطىء العالم الجديد في الغرب وجدنا أن الصورة أقبح وأدهى - إلى الفظع والخوف . لقد تحدث العالم في الصيف الماضي عن فضيحة نفايات المستشفيات في نيويورك ومدن ساحلية مختلفة في ولاية كاليفورنيا ، حيث اكتظت مزابل أمريكا بالنفايات وأصبحت تستقبل فوق ما تتحمله طاقتها بمراحل . وكان من نتيجة ذلك أن سعى المسئولون إلى التخلص من حوالي ١٠ ملايين طن من نفايات المستشفيات في المحيط . واكتشفت هذه الفضيحة بعد أن حملت الأمواج بعض هذه النفايات إلى الشاطىء الذي تلوث بالضماد والحقن البلاستيكية والأدوية التي انتهت فترة صلاحيتها واكتظ بالأسماك النافقة .

الفيروسات والطحالب القاتلة

توضح المشاهدات اليومية كما تثبت نتائج البحوث البيئية أن الملوثات تفتك بالأحياء البحرية . وقد استطاع الباحثون تتبع بعض آثارها ووصفوها بدقة ، لكن معظمها مازال تحت الدراسة . ومن الحقائق التي عرفت أن النفايات تنهك أجهزة المناعة لدى الحيوانات البحرية وتضعفها ، مما يجعل هذه الأحياء غير قادرة على الدفاع عن نفسها ، إذا ما تعرضت لأوهى الغزوات من الميكروبات المعدية . فالملوثات مواد غريبة تصل إلى دماء الحيوانات إما مباشرة أو خلال ما تأكله هذه الحيوانات من مخلفات أو أحياء أخرى ملوثة ، فتشغل خطوط الدفاع الطبيعية في أجسام الحيوانات بهذا الخطر الذي يتكثف ويزداد يوما بعد يوم ، وربما سمع القارىء بموت الألوف من حيوانات الفقمة الوديعة على شواطىء بحر الشمال في الصيف



● صورة «بالميكروسكوب الالكتروني» لطحلب اسمه العلمي كريزوكر وميولينا بوليليس تسبب التلوث في تكاثره بالملايين وهو طحلب سام يقتل الأسماك التي تتغذى عليه في البحار .

الماضي ، وكانت تبدو على الحيوانات النافقة أعراض متشابهة ، فقد كان الحيوان يصاب بالتهاب رئوي حاد كما كان جهازه العصبي يغزوه فيروس سمي «مزل وفرس» . ولولا ضعف أجهزة المناعة في الفقمة لما تسبب هذا الفيروس في نفوقها بحال . من ناحية أخرى دلت الدراسات البيئية على أن التلوث يفضي إلى خلل في الموازين السائدة بين الأحياء ، كما ذكرنا ، ومن نتائج هذا الخلل أن سادت في بعض المناطق البحرية أنواع وأجناس من الطحالب ، لم تكن موجودة من قبل إلا بأعداد قليلة . لكنها أصبحت اليوم تتفجر في نموها في مواسم معينة - في الربيع وبداية الصيف على وجه الخصوص - وعندما تموت هذه الكميات الهائلة من الطحالب تخلف في المياه بروتينات ومواد سكرية ترجها الأمواج بعنف فتنشأ كميات هائلة من الزبد (الرغوة) قد تغطي شواطيء بكاملها ، فتثير مخاوف المصطافين . غير أن أخطر ما في هذا الأمر هو أن خلل الميزان العددي بين الأحياء كثيرا ما يسمح بتكاثر أنواع نادرة من الطحالب السامة وهي عادة - حمراء اللون أو بنية . والمعروف أن الأسماك تتغذى على الطحالب ، وأن الحيوانات الأضخم في البحر تتغذى على الأسماك . ويفضي التلوث كما ذكرنا إلى زيادة غير عادية في بعض الطحالب السامة التي تتسبب في تسمم الأحياء الأخرى ونفوقها . وأثبتت الدراسات أن هذه الطحالب السامة تزدهر يوما بعد يوم بفعل التلوث حتى أصبحت في العقود الأخيرة شائعة في بحار العالم بعد أن كانت نادرة أو معدومة تماما . ولقد غزت هذه الطحالب في السنوات الأخيرة الشواطيء الشرقية لأمريكا الشمالية فقتلت الأسماك



● كل التلوث الأسماك ، فأحاطت بها الشائبات من كل جانب .

والمرجان التي أكلت تلك الأسماك وأوشكت المرجان أن تنقرض تماما في هذه الشواطئ ، وأصبحت الطحالب السامة اليوم خطرا مرعبا يتهدد مزارع الأسماك على شواطئ العالم . والدولة النرويج كمثال أكثر من ٣٠٠ مزرعة أسماك ضخمة إذا هلكت أسماكها كانت هذه كارثة اقتصادية لا تحتمل . وفي الصيف الماضي رصد الباحثون هذه الطحالب بالقرب من الشواطئ اليوغسلافية والإيطالية من البحر الادرياتيكي . فهرب المصطافون خوفا ، فضربت الطحالب بذلك الموسم السياحي في هذين البلدين .

البحر يبتلع اليابسة

قد يتبادر إلى فهم القارئ أن التلوث جعل من البحر وحشا كاسرا يلتهم حتى الشواطئ . والواقع هو عكس ذلك . إذ أن التلوث أوهن البحر وأنهكه ، وظاهرة غمر اليابسة بمياه البحر سببها التلوث أيضا ، ولكن ليس تلوث البحر ، إنما تلوث الغلاف الجوي الذي ترتفع حرارته باطراد فتتمدد مياه البحر بفعل هذه الحرارة ، وترتفع مستوياته إلى حدود تغمر معها الشواطئ والجزر . وارتفاع متوسط حرارة الجو باستمرار - سببه كما وجد الباحثون - هو ارتفاع تركيز ثاني اكسيد الكربون في الجو من جراء حرق الوقود في المصانع والسيارات . ولكنني أود أن أذكر هنا أن ازدياد تركيز ثاني اكسيد الكربون في الغلاف الجوي الذي يحول دون تشتت الأشعة تحت الحمراء التي ترفع من حرارة الأرض في الفضاء الخارجي . وتدل الحسابات على أن الكرة الأرضية أصبحت تطلق ٢٠ مليار طن من غاز ثاني اكسيد الكربون في الجو سنويا . ويتوقع العلماء أن ترتفع حرارة الجو بمقدار يتراوح بين ٢ - ٥ درجات مئوية خلال السنوات الخمسين القادمة . ذلك ما لم يعمل الإنسان على تقليل اطلاق ثاني اكسيد الكربون في الجو . وتدل الحسابات على أن مستوى سطح البحر قد ارتفع منذ بداية القرن الحالي ٢٠ سم بسبب تمدد الماء . كذلك تدل الحسابات على أن كل سنتيمتر واحد زيادة في ارتفاع مستوى الماء في البحر يؤدي إلى إغراق متر كامل من شواطئ الجزر والقارات . وغرق الجزر أصبح مشكلة خطيرة في بعض مناطق العالم . وعلى سبيل المثال تبذل ألمانيا الغربية المجهودات والأموال في سبيل المحافظة على جزرها السياحية في بحر الشمال من الغرق . على أن أخطر ما في الأمر هو المخوف من كارثة حقيقية لا تبقي ولا تذر إذا ظل ارتفاع الحرارة الجوية يجري بهذا المعدل ، فالمخوف كل المخوف أن يصل الجو إلى درجة من الدفء تذوب معها الثلوج في القطبين بعد أن كانت دائمة التجمد . عندئذ سوف يأتي الطوفان الحقيقي .

إنها مفارقة عجيبة حقا . لقد نشأت الحياة في البحار ، فهل تراها تنتهي فيها ؟ □



إعداد : يوسف زعبلاوي

.. نشرت مجلة نيوانجلند الطبية في أوائل شهر مايو ١٩٨٩ بحثاً عن البوتاسيوم ، وفعاليته ، في الحد من ارتفاع ضغط الدم . ذلك أن هذا الملح المعدني يساعد الجسم على إفراز الملح (ملح الطعام نفسه) ، وبالتالي على الحيلولة دون ارتفاع ضغط الدم . من هنا أكد البحث على المقولة بأن الإقلال من تناول البوتاسيوم يؤدي إلى ارتفاع ضغط الدم

من هنا كان التشجيع على تناول الفاكهة والخضراوات ، نظراً لغناها بالبوتاسيوم . ويذكر البحث أن الموز والفراولة والبطاطس والبرتقال وعصير « جريب فروت » تأتي في الطليعة من حيث مقدار ما تحتويه من البوتاسيوم .

□□□

إيدو (٣) يشفي الجروح في ٢٤ ساعة

ابتكر العلماء السوفييت جهازاً جديداً ، يسمى « ايدو ٣ » الذي ينتج مادة خاصة مؤكسدة ذات خصائص علاجية فريدة ، تلتئم بواسطتها الجروح أو البثور التي تظهر على الجلد خلال ٢٤ ساعة .

كما تمكن العلماء خلال يوم واحد من شفاء التهاب اللوزتين الحاد ، وكان هذا في حالة عجزت فيها المضادات الحيوية نفسها عن إزالة الالتهاب . والمادة الجديدة توقف تنامي الأورام الخبيثة ، وتحفز وظيفة الأكسدة في الكبد في جسم الإنسان .

وقال أحد صانعي الجهاز : إن في جسم الإنسان ثلاثة أنظمة لتعطيل فعل المواد الضرورية المسممة للجسم ، وهي نظام المناعة ونظاما الإفراز والأكسدة في الكبد فالمؤكسدات الاصطناعية للنظامين الأولين ابتكرت منذ زمن بعيد . أما الآن فأنشأنا مؤكسداً يفعل ما تفعله الكبد نفسها في هذا المجال .

طريقة العلاج الجديد تتم بإزالة السموم من الجسم عبر استخدام جهاز « ايدو ٣ » ، ويتكون الجهاز من خلية كهربائية كيميائية ومن وحدة الكترونية ، وبواسطته نحصل خلال عملية تفاعل من محلول ملح الطعام العادي على مستحضر ، إذا ما أدخل في الدم يؤكسد المواد السامة في الجسم ويجعلها غير ضارة .

□□□

زراعة الأعضاء والمشاكل

● جراحة زراعة الأعضاء كالقلب والكلى وقرنية العين والكبد جراحة حديثة نسبيا ، إذ لم يمض على عملية زرع القلب الأولى التي أجراها جراح جنوب أفريقيا ، الدكتور برنارد ، سوى عشرين عاما أو أكثر قليلا ، لكنها جراحة نشطة ، وقد أحرزت من التقدم في المدة الأخيرة ما لم يكن في الحسبان ، إلا أنها جديرة بتحقيق المزيد من التقدم ، لا لأنه قريب المنال فحسب ، ولكن لأنه كفيل بإنقاذ الملايين الذين يموتون يوميا ، لقلة ما يتوافر من الأعضاء الموهوبة بالمقارنة مع الأعضاء المطلوبة .

ويتجلى التقدم الذي أحرزته هذه الجراحة أكثر في عدد ما أجرته من عمليات ابتداء من مطلع الثمانينات ، وفي نسبة ما حققته من نجاح ، ففي سنة ١٩٨١ بلغ عدد القلوب المزروعة ٦٢ قلبا ، وقفز العدد فتضاعف ٢٢ ضعفا في سنة ١٩٨٧ ، وقل مثل ذلك في زراعة الكلى ، وقد بلغ ما زرع منها عام ١٩٨١ ٤,٩٠٠ كلية ، ثم بلغ ٩٠٠٠ كلية سنة ١٩٨٧ . أما عمليات زرع قرنية العين فقد تضاعفت آلافا في الثمانينات ، حتى وصلت إلى (٣٥٠٠٠) قرنية مزروعة سنة ١٩٨٧ . وما كان هذا التقدم في الكم ليكون ذا قيمة كبيرة لو لم يقترن بتقدم في الكيف ، في النجاح الذي أحرزته تلك العمليات . وقد بلغت نسبة النجاح ٩٠٪ في عمليات القرنية والكلى ، و ٨٢٪ في عمليات زرع القلوب ، ويصدق هذا كثيرا أو قليلا على عمليات زرع الكبد . (والحديث هنا مقتصر على ما يجري في الولايات المتحدة فحسب ، إذ لا تتوافر الإحصاءات المطلوبة في أي بلد آخر بقدر ما تتوافر في الولايات المتحدة) .

أجريت عملية زرع الكبد الأولى قبل نحو ٢٥ عاما ، ولكن أربعة أجريت لهم عملية زرع الكبد عقب تلك العملية الرائدة من مغادرة غرفة العمليات معافين ، لكنهم لم يتمكنوا من مغادرة المستشفى وهم أحياء . ومضى الجراحون يحرزون المزيد من النجاح حتى وصلوا إلى نسبة نجاح مقدارها ٦٦٪ ، لكن حياة من أجريت لهم العمليات لم تمتد إلا سنة أو أكثر قليلا . وقفز عدد عمليات زرع الكبد في الولايات المتحدة من ٢٦ عملية سنة ١٩٨١ إلى ١٢٠٠ عملية في سنة ١٩٨٧ ، مسجلة بذلك زيادة كبيرة جدا ، بلغت نحو ٥٠ ضعفا .

وتجدر الإشارة هنا إلى المشاكل الأخرى التي تعاني منها جراحة زراعة الأعضاء بصورة عامة ، كمشكلة التأخير أو الوقت الذي يمضي على الأعضاء المراد زرعها ، فهذه الأعضاء لا تنتظر ، ولا سبيل إلى زرع الكلى بعد مضي ٤٨ ساعة على انتزاعها . أما الكبد فلا فائدة ترجى منها بعد مضي ١٠ ساعات ، وتقصر هذه المدة في حالة زرع القلوب ، حتى تبلغ (٣ - ٥) ساعات فقط .

وهناك مشكلة التبرع بالأعضاء ، ولعلها هي المشكلة الكبرى التي تعترض سبيل جراحة زراعة الأعضاء ، فالطلب كثير كثير ، والعرض قليل





قليل ، هذا على الرغم من أن المتبرع لا يخسر شيئا ، إذ أن تبرعه لا يوضع موضع التنفيذ إلا بعد موته ، ولو ذكرنا الآلاف الذين يموتون بسبب حاجتهم إلى كلى سليمة ، تحل محل كلاهم التالفة ، وذكرنا الملايين من الكلى السليمة التي توارى التراب مع أصحابها الموتى لتفنى مع جثثهم الفانية ، تعجبنا لإحجام الكثيرين عن التبرع بأعضائهم بعد موتهم

ونذكر أيضا الأجسام المضادة التي نجحوا في هندستها « بيولوجيا » وتصنيعها ، لكي تهاجم الخلايا التي تسبب رفض الجسم للأعضاء المزروعة ، وقد جربوا هذه الخلايا المخلقة على حيوانات المختبر ، فعاشت ستين عقب تلقيها الأعضاء المزروعة ، دون أن ترفض أجسامها تلك الأعضاء ، دون أدوية مانعة لمقاومة أجسامها للأعضاء المزروعة .

ونذكر كذلك النجاح الذي حقق بالاكتفاء بزرع خلايا منتزعة من الأعضاء ، بدلا من زرع تلك الأعضاء بكاملها ، كزرع بعض خلايا البنكرياس ، وبالتحديد تلك الخلايا التي تفرز الأنسولين ، عوضا عن زرع البنكرياس بكامله ، على أن هذا الأسلوب الذي ما زال قيد التجارب ، ليبشر مرضى السكري بقرب الفرج ، حين سيصبح في إمكانهم التخلص نهائيا من هذا المرض بعملية أو حقنة بسيطة ، يتلقون بها مستحضر الخلايا المطلوبة ، فلا تكاد تمضي ساعة بل دقائق يحصلون فيها على تلك الخلايا حتى يشفوا من مرض السكري الذي كان وما زال مستعصيا .

ونأتي أخيرا إلى ذكر المؤتمر الدولي الثاني عشر الذي عقدته جمعية زراعة الأعضاء في سيدني في استراليا ، في شهر أغسطس عام ١٩٨٨ م ، فقد تركزت الأبحاث في المؤتمر المذكور على زراعة (الأعضاء الحيوانية) في جسم الإنسان ، وقد أكد أحد كبار العلماء (رتشي) أن الحل الوحيد لإنقاذ الملايين من موت محقق إنما هو بالاعتماد على زراعة أعضاء الحيوان في جسم الإنسان ، فأعضاء الإنسان الصالحة للزرع قليلة جداً ، والناس لا يقبلون على التبرع بها ، وإن هم أقبلوا كانت العقبة في تلف تلك الأعضاء ما لم تزرع في غضون ساعات من انتزاعها ، (٤٨ ساعة للكلى) و (٣ ـ ٥ ساعات للقلوب) و (١٠ ساعات للكبد) .

وحسبنا الرجوع إلى بعض الأرقام لندرك مدى خطورة مشكلة العرض والطلب ، في ما يتصل بزراعة الأعضاء البشرية ، فالأعضاء المطلوبة تبلغ في السنة الواحدة ١٢٠٠٠ كلية ، و ٩٠٠ قلب ، و ٥٠٠ كبد ، و ٢٠٠ بنكرياس ، و ٢٠٠ رئة ، ولا يزيد عدد الموتى المتبرعين بأعضائهم عن ٥٠٠٠ نسمة في السنة الواحدة ، ولهذا دعا العالم السالف الذكر إلى تعميم الاعتماد على زراعة أعضاء الحيوان في جسم الإنسان ، وأعضاء الخنازير على وجه التحديد لأنها مقبولة في جسم الإنسان أكثر من أعضاء سائر الحيوان ، بما في ذلك القرود ، وقد لقيت دعوته تأييدا شاملا في الأوساط الطبية في العالم كله ، ولا يقف في طريقها إلا جمعيات الرفق بالحيوان . □



سلامة البشرية في سلامة البيئة

افتتح في مدينة ديزني بولاية فلوريدا الامريكية في أكتوبر الماضي معرض ، أطلق عليه اسم « الأرض » . ويعد المعرض الذي يمثل أحد أجنحة مركز العلوم في المدينة معملا للتقنية الحيوية .

وقد لا تضاهي معروضات هذا الجناح غيرها من حيث الدقة والإبهار والاحتراقات الخيالية ، إلا أنه من المنظور في المستقبل أن تشكل أهمية كبرى للبشرية .

ويستمتع زوار المعرض الجديد بمشاهدة النباتات التي تمكن العلماء من استنباتها من خلية واحدة ، باستخدام قانون الهندسة الوراثية .

ولقد أصبح معروفا علميا في الوقت الحاضر أنه كل يوم يصبح خمسة أنواع من النباتات أو ستة في عداد الأنواع النادرة ، وذلك بسبب الأمطار الاستوائية التي تدمر خمسين هكتاراً من الغابات في كل دقيقة ، وهذا يعني أنه خلال خمسة عشر عاما مقبلة ، سوف يتم القضاء على نصف النباتات والفصائل النادرة في العالم .

وباستخدام هذه الطريقة يمكن المحافظة على الأنواع النادرة من النباتات . ويقول مدير الأبحاث الخاصة بالمعرض : إن استخدام هذه الطريقة للحصول على نباتات معينة سوف ينتشر بمرور الأيام ، ويزداد الإقبال عليه ، خاصة أن هذه الطريقة جربت بنجاح على بعض أنواع الخضراوات والفواكه والنباتات الغذائية عموما ، مثل الفراولة والأناناس والفول السوداني .

ويذكر أن استخدام التقنية الحيوية يمكنه المساهمة في مجالات أخرى من مجالات الحياة اليومية ، مثل تجبين اللبن في أقل من الوقت الذي ينتج فيه الجبن في الوقت الراهن .

□□□





حذر العلماء وخبراء الأمراض المعدية ، في المؤتمر الذي عقدوه في مطلع شهر مايو ١٩٨٩ ، في العاصمة الامريكية واشنطن من وباء جديد ، سيظهر في مستقبل غير بعيد ، ولا يقل خطورة عن مرض الايدز نفسه ، وقد يكون هذا الوباء المنتظر من الامراض القديمة التي انحصر انتشارها على مناطق أو جماعات محدودة حتى الآن .

ذلك أن فيروس حمى الضنك (dengue) قد بدأ يهدد أمريكا حاليا ،

كما يقول الدكتور ستيفن مور ، البروفسور في جامعة روكفلر ، فالحمى المذكورة قد انتشرت في بلدان البحر الكاريبي عندما انتشر فيروسها بواسطة البعوض ، ووصلت هذه الحمى إلى تكساس (مدينة هيوستون) قبل نحو سنتين ، وانتشرت في ١٧ ولاية

□□□

● تؤكد الدراسة التي تجريها وكالة البيئة الامريكية أن الأوزون ، من حيث هو غاز ملوث ، قد ضرب المواسم الزراعية ، وأدى إلى إتلاف ما بلغت قيمته بين ألفين وخمسمائة مليون دولار وبين ثلاثة آلاف مليون دولار سنوياً في المدة الأخيرة ، وفي هذا ضرر بالغ ، فهو يعادل أضعاف الضرر الذي يسببه نقص غاز الأوزون . وقد تم تقدير الضرر بنسبة ١٢٪ ، ومما يذكر أن الدراسة الأخيرة ، ستكتمل في أواخر السنة الماضية ١٩٨٨ ، تضمنت أبحاثاً ميدانية على حقول القمح في نيويورك ، وهي حقول لتجارب خاصة قائمة قرب « إثاكا » ، فتبين أن التلف الذي لحقها في صيف عام ١٩٨٨ قد يبلغ نحو ٣٠٪ ، من هنا كانت القيود الشديدة التي وضعتها وكالة البيئة في الولايات المتحدة على مستويات التلوث بغاز الأوزون .

صدر تقرير عن إحدى مديريات الشرطة في بريطانيا دعا الضباط التابعين لهذه الدائرة وهي في منطقة (مهملة) إلى القيام بواجبهم لحماية البيئة محليا وعلى نطاق عالمي أيضاً ، ودعاهم إلى الامتناع عن استعمال مستحضرات الايروزول التي تحتوي على الفلوروكربونات التي تسبب تلف الأوزون . وأعلن التقرير أن الاجراءات اتخذت لضمان نظافة البنزين الذي تستعمله سيارات الشرطة ، ولضمان خلوه من الرصاص ، فهو ملوث خطير سام ، وذلك قبل حلول سنة ١٩٩١ .

□□□

عودة سمك السالمون

● كان يوم ١١ ابريل ١٩٨٩ يوم بهجة وفرح بالنسبة لأهل لندن ، فقد بدأ سمك « السالمون » يعود إلى موطنه في نهر « التيمز » بعد تغيب طال أمده نحو قرنين . لا عجب إذن ، إن أقاموا احتفالا مهيبا في هذه المناسبة ، أقاموه في قاعة (ونتسور جلدهول) ودعوا اليه دوق ونتسور ليكون ضيف الشرف فيه ، كما دعوا اليه رجال الصناعة والتجارة العاملين في منطقة التيمز .

ومما يذكر أن نهر لندن كان غنيا بسمك السالمون قبل ٢٠٠ سنة ، ولكن التلوث الذي أصاب النهر كما أصاب أكثر الأنهار في العالم ، ما لبث أن فتك بالسمك ، فاختفى السمك من النهر تماما ، حتى سنة ١٩٧٤ حين ظهرت سمكة من سمك السالمون لأول مرة بعد مضي ١٤٠ عاما ، وأعقب ذلك ظهور المزيد من هذا السمك حتى اذا كانت السنة الماضية (١٩٨٨) أمكن تسجيل عودة ٣٢٢ من سمك السالمون العائد من البحر ، وهو سمك كبير ويسمى جرلز (Grilse) .

حضارة الطين تصارع الزمن
رموثا





على الرغم من أن لقاءنا الأول بالمكان كان مثيرا للضيق ، أمطار ورياح مترية ، وحرارة مرتفعة ، مصحوبة برطوبة عالية ، جعلتنا نسبح في العرق المتدفق من مسام جلودنا - خاصة في منطقة الساحل - إلا أن ابتسامة المواطنين الآسرة ، وكلماتهم الودودة البسيطة كحياتهم ، وواقعهم ، قد دفعتنا للتكيف السريع مع الجو المحيط . وسرعان ما استغرقنا في المكان والإنسان ، بالحيوية والخصوبة ، والإبداع . وتحت شمس حزيران (يونيو) اللاهبة انطلقوا بنا في سراديب وحارات قلوبهم ، ومدنهم ، وقراهم ، يكشفون لنا بصراحة مدهشة تفاصيل حياتهم ، وطموحاتهم الممزوجة بلمحات من تاريخ واديهم الطويل بحضارة الطين المنتصبة شواهدها في ربوعه .

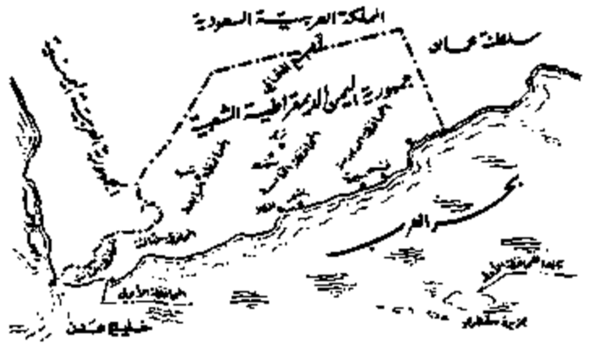
وفي كل مكان ذهبنا إليه ذكرنا أهله باستطلاعات « العربي » لمدن واديهم : المكلا وشبام وسيئون وتريم التي نشرت على صفحاتها منذ ربع قرن من الزمان .

قبل أن نصل إلى مدخل مدينة « شبام » ، أقدم مدن وادي حضرموت ، طلبنا من مرافقنا أن نترجل من السيارة حتى نلم بتفاصيل المعالم المحيطة بالمدينة ذات الشهرة العالمية ، بنمط عمارتها الفريد .

احتل زميلي المصور سطح إحدى البنايات في الضاحية الجديدة للمدينة ، تحت سفح الجبل المقابل لها ، وهي مجال الامتداد العمراني « لشبام » ، بعدما ضاقت عليه بأهلها . ورحنا نتجول في المكان بأبصارنا ، رأينا بيوتا منهارة في الضاحية الجديدة نفسها من الأمطار والسيول الناجمة عنها التي لم يعاصر مثلها أحد من أبناء المنطقة الأحياء ، كما قال لنا شيخ تجاوز عمره الثمانين ، وامتد البصر إلى عمق الوادي حيث قصفته رياح عنيفة مفاجئة ، وهي تتلاعب بذرات الطين الناعمة التي خلفتها مياه السيول على سطح مجرى الوادي الجاف ، والتي تصنع منها ستائر كثيفة حجبت أشعة الشمس التي كانت تبهر أضواؤها العيون .

وقبل أن تقترب منا الرياح المتربة ، كانت أنظارنا قد حطت على المدينة ، ولم تحد عنها . فقد شدنا تداخل اللون الأبيض الناصع الذي طليت به بنايات بكاملها ، وجميع أسطح البنايات بطوابقها العلوية ، مع اللون الطيني الذي يسود معظم اللوحة المعمارية المحسنة بالبيوت ، بتكوينها المتناغم كقطعة موسيقية متكاملة الإيقاع والنغمات .

وحيرت استفساراتنا المتابعة عن دهشتنا



موقع المحافظة الخامسة ، حضرموت ، في اليمن الجنوبي

لوجود هذا الفن المعماري الرفيع الذوق ، في هذا المكان بظروفه المناخية والمعيشية الصعبة .

والتقط مرافقنا دهشتنا بالذكاء اليمني المعروف حين قال : « لا تعجبوا فهذا وجه من وجوه الملحمة التي يخوضها اليمني منذ فجر التاريخ حتى اليوم ، إن صراعنا مع الزمن والطبيعة متعدد الأبعاد والاتجاهات ، سنترككم تكتشفون ذلك بملامستكم لواقعنا ، ثم نناقشكم فيما توصلتم إليه » .

وقبل أن ينهي حديثه ، لفتنا عاصفة ترابية ، فحجبت عنا المدينة ، وتعذر علينا استكمال تصويرها ، فقررنا التأجيل ليوم تال . وعند استعدادنا للعودة إلى مدينة « سيئون » جذب انتباه مرافقينا اليمنيين سحابة شاهقة السواد ، قادمة من ناحية الشرق بسرعة ، فبدا الانزعاج على الوجوه ، وندّت عن أحدهم غمغمة مشحونة بالضيق ، فهمنا منها أنه يخشى بأن هذه السحب هي سحب لمطر غزيرة . رد عليه آخر : « كفانا أمطارا ، وسيولا ، وخسائر ، فلقد حصلنا على كفايتنا لخمس سنوات كاملة قادمة » . ثم استدرك : « عجيب أمر الطبيعة معنا ، إما بجفاف يهلك الزرع والضرع

> تقع محافظة حضرموت في المنطقة الشرقية ، ومساحتها الكلية ١٥٥٣٧٦ كيلومترا مربعا . ويبلغ عدد سكانها ٦٨٥.٩٠٩ نسمة ، وفقا للتقديرات السكانية لعام ١٩٨٦ . يتوزعون إلى ٢٤٠.٢٣٤ حضريا ، ٣٥٥,٢٢٩ ريفياً ، ٩٠.٤٤٦ بدويا . وعاصمتها الإدارية هي المكلا . ما تنقسم إلى ثماني مديريات ، هي : المكلا ، الشحر ، سيئون ، القطن ، دوعن ، الغيضة ، ثمود ، حجر .
>
> وبها مطاران يربطانها بعدن العاصمة ، وبعواصم المحافظات الأخرى ، وبالخارج ، وهما مطار الريان الدولي « المكلا » ، ومطار « الغرف » القريب من سيئون ، وفيها يقع أكبر أودية اليمن مساحة للزراعة ، وهو غني بالنخيل والسكان .



● مدينة المكلا ، وتبدو أحياؤها القديمة بنمطها المعماري المميز ، وأكوابها الزاهية التي يسودها اللون الأبيض المتألق بتموجه مع ألوان الزخارف المبهجة ، وارتفاعاتها المتدرجة من ساحل البحر إلى مدرجات الجبل .

العليا يسار : فلاح يمني يجني ثمار شجرة (البابايا) .
(تحت) . صيادون في لحظة راحة ، وآخر صيد جميل من سمك التونة الذي يمثل ٦٠٪ من جملة إنتاج الأسماك .






سنوات ، أو أمطار ننتظرها بلهفة ثم تأتي بكميات تفوق المعدلات الطبيعية ، وتحدث خسائر كبيرة » . في أثناء ذلك فاجأتنا الأمطار الغزيرة ، فعدونا تجاه السيارة نحتمي بها ، ثم غادرنا المكان الذي حط عليه الحذر والخوف من تكرار ما حدث في نهاية آذار (مارس) ، وأوائل نيسان (ابريل) الماضيين ، عندما استمر هطول الأمطار مدة ثماني عشرة ساعة متواصلة في بعض الأيام .

لم تكن أمطارا ، بل صنابير مفتوحة من السماء ، كما صورها لنا أحد المواطنين .

وقد لخصت هذه اللحظات المكثفة طبيعة الحياة في حضرموت بوجوهها المختلفة ، حيث يتفاعل التاريخ بحضوره الآسر ، مع الطموح الإنساني المشروع في حياة أفضل ، ودور ملائم ، المحكوم بمحدودية الموارد . ومن هنا بدأت رحلة « بعثة العربي » في المحافظة الخامسة « حضرموت » .

ملامح أولية

كان من الطبيعي ونحن في البداية أن نستجيب لإلحاح الذاكرة علينا باستحضارها تصور الحياة المختلفة منذ ربع قرن مضى ، كما جسدتها عيون « العربي » في استطلاعاتها للوادي في ذلك الحين . وعلى أي حال فالمقارنة ضرورية ، وموحية عند التعرف على الحاضر ، هكذا أخبرنا أحمد عوض باوزير ، الصحفي القديم ، مشرف قسم التراث والتحقيق بالمركز اليمني للأبحاث الثقافية ، فرع « المكلا » : « في ذلك الزمان ، كانت حضرموت موزعة بين سلطنتين - القعيطية والكثيرية - تفصل بينهما جمارك وبوابات ، ويحكم العلاقة بينهما قتال ، وصراعات واتفاقات ، يفصل فيها مستشار انجليزي . وكان لهذا الواقع انعكاساته السلبية على حياة الإنسان الحضرمي ، حيث لم يكن أمامه إلا أحد خيارين ، إما الهجرة أو قبول الحياة على مضض ، حتى يدفعه إلى التمرد والثورة » .

أما اليوم - كما تقول حقائق الواقع - فقد أصبحت حضرموت ، منذ أكتوبر ١٩٦٧ ، خامسة المحافظات الست التي تتكون منها جمهورية اليمن الديمقراطية ، بعد أن توحدت جميع محميات الجنوب وسلطناته مع عدن بقيادة الجبهة القومية ، مكونة الشطر الجنوبي من اليمن في العام نفسه .

وتنقسم المحافظة إلى الساحل وحضرموت الداخل ، الساحل يطل على بحر العرب جنوبا ، ويقع في نطاقه مدينة « المكلا » ، « والشحر » - ميناء حضرموت القديم - « وغيل باوزير » المشهورة بزراعة « التمباك » والحناء . أما حضرموت الداخل فتشمل الجزء الأكبر من الوادي وهضبة الهضبة

وقد حكم هذا التقسيم بالإضافة إلى تكويناتها « الجيولوجية » - النشاط الاقتصادي للسكان الذي يكاد ينحصر في مجالات ثلاثة - عدا قطاع الخدمات - وهي صيد الأسماك في الساحل ، والزراعة في الوادي ، ثم تحويلات المغتربين لذويهم ، بالإضافة إلى دور هامشي غير محسوس تلعبه الصناعة ، فهناك عدد من المصانع الصغيرة ، أهمها مصنع تعليب الأسماك وتجفيفها في « المكلا » ومصنع لتعليب التمور في مديرية « سيئون » ، وبعض الصناعات الحرفية التي انكمش سوقها ، كصناعة الحوصي والفضة التي شكا أصحابها في الشحر عند لقائنا بهم من تحول أذواق المشترين - خاصة النساء - من الفضة إلى الذهب ، فاقتصر نشاطهم على ترويج إنتاجهم على السياح في عدن والمطارات والفنادق ، وتلبية الطلبات الرسمية من هذه السلعة .

وعلى الرغم من أن المحافظة تملك إمكانات لصناعة السياحية ، بمناخ حاتي شتاء ، وشواهد أثرية متنوعة كمدينة « شبام » ، وقبر النبي هود ، وغيرها ، بالإضافة إلى شواطيء رائعة ،

وآبار مياه معدنية، ثبت طبيا أنها تعالج عددا من الأمراض كالسكري، والروماتيزم، والأمراض الجلدية المستعصية، إلا أن الحركة السياحية غير متطورة التأثير، لعدم توافر أساسيات صناعة السياحة كالفنادق، والاستراحات، والدعاية وغيرها.

وعندما استفسرنا من السيد: أحمد الجيهني، سكرتير الحزب بالمحافظة، عن أسباب عدم استغلال هذه الامكانات قال: «إن صناعة السياحة تحتاج إلى استثمارات ضخمة، والانفاق من الميزانية يحكمه ـ كما نعرف ـ أولوية الوفاء بالاحتياجات الأساسية والضرورية للناس في القطاعات الاستهلاكية والخدمية والاستثمار، ومع ذلك نسعى لتنشيط السياحة. ولكن أين التمويل؟؟ قلت لماذا لاتفتحون المجال أمام المقتدرين من أبناء المحافظة الذين يملكون إمكانات الاستثمار في هذا القطاع؟ قال: «لقد دعوناهم. وأعطيت تسهيلات مشجعة منذ فترة. ومازلنا ننتظرهم..».

وهناك حركة نشطة في البحث عن المعادن. ولقد قرأنا في مجلة «نداء الوطن» اليمنية الأسبوعية «أن الأجهزة المختصة في مشروع وادي «مدن» للتنقيب عن الذهب تسير بوتائر عالية. وتهدف هذه الأعمال إلى معرفة مكامن خام الذهب واحتياطه. وأفضل الطرق لاستخراجه. ومن المتوقع الانتهاء من إنجازه خلال الأشهر القليلة القادمة».

أما عن النفط، فحلم القديم منذ نصف قرن مضى وأكثر، فقد جرت أعمال البعثات الاستكشافية السوفيتية والفرنسية التي استمرت في بحثها بعد هروب الشركات الأخرى آمالا قوية لاحتمالات توافر النفط بكميات اقتصادية وتقف: إذ يعض الأمر في شمال الوادي المتاخم للربع الخالي، محافظة شبوة، قد تتفجر فيها النفط. وحين تتحقق الاحتمالات فإن الحلم في

صنع المجتمع يبحث في صخور الجبال، ورمل الصحراء، وطين الوادي، بحثا عن مسارب، ليجسد واقعا ملموسا من خلالها.

«المكلا والوجوه المتداخلة»

كانت البداية مدينة «المكلا»، عاصمة حضرموت، وثاني مدن اليمن الجنوبي، عمرها يربو على تسعمائة عام. فقد ثبت عام ١٠٣٥م بأنها تقع وإثرها موقعها الفريد، المحصور بين بحر العرب والجبل المنتصب خلفها كحارس عملاق، كان يصد عنها الطامعين في مضى، لكنه يحول الآن بينها وبين الامتداد العرضي لارتفاع كلفة البناء على مدرجه المرغوبة لدى السكان. فتمددت وتوسعت طوليا بموازاة البحر حيثما أتاح لها المكان الذي ضاق سكانه فأقاموا منذ سنوات قليلة، مدينة «المكلا» الجديدة على بعد خمسة عشر كيلو مترا شرقا بمحاذاة الطريق الساحلي إلى عدن.

ولقد أدى تعرض المدينة إلى التحرر البريطاني، إلى [illegible] خلال [illegible] والتنسيق العدني [illegible] ضاحتها [illegible] ويكسب ملامحها الخاص.

عندما دخلتها كانت حرارة الجو الصحراوية بالرطوبة العالية التي تلف الساحل اليمني كله في أعلى درجاتها (٣٧)، ولم تعطني إلا وسيلة تحملني بها عبر الطرق [illegible] من [illegible]، إلا [illegible] معظم اليمنيين يستخدمون فوطة صغيرة تمسح العرق.

تشق بنا السيارة شوارع المدينة الحديثة المعبدة بعد جسر حديث، يربط بين ضفتيه على جانبي مجرى السيول المتجه إلى البحر. يشير الرفاق إلى مدخل أحد الأحياء القديمة، بين حي «المكلا» والشرج «فكلا:» هنا







● نماذج من فن العمارة اليمنية مبنية بالطين (أعلى) :
- بوابة منزل قديم .
- منارة جامع المحضار بتريم ، ارتفاعها يزيد عن أربعين مترا
- قصر الثورة (السلطان سابقا) بسيئون .
(أسفل) .
- قصر عشة بتريم المشهورة بقصورها المترفة
- جانب من مدينة سيئون

كانت بوابة المدينة ، هدمت بعد الاستقلال لتوسيع الطريق .

ويجوب بنا المرافق أحياء المدينة التي تبدلت أسماؤها القديمة ، واتخذت أسماء حديثة ، فحي « البيس » أصبح حي « أكتوبر » ، و« المكلا » تحول إلى « السلام » ، والبلاد إلى « الشهيد خالد » ، وإن كنا لمسنا خلال تعاملنا اليومي مع الناس أن التغيير لم يتعد الاستعمال الرسمي حتى الآن .

شوارع المدينة القديمة الضيقة المتفرعة من الشارع الرئيس تغص بالمحلات التي تحصل على سلعها من مؤسسات القطاع العام المتنوعة النشاط ، بأسعار محددة لا تلاعب فيها . وبالمقاهي التي يغشاها اليمنيون مرتدين « المعوز » المختلف الألوان ، وهو قطعة من القماش المستورد من بعض الدول الآسيوية ، يلفون بها الجزء الأسفل من أجسامهم ويسمونها « الفوطة » .

حاولنا أن نجد « معوزين » منشورين في المقشة والأكوان فلم نوفق ، وتساءلنا : لماذا لا يصبح محليا طالما أن إنتاجه مضمون التوزيع ؟

توقعنا أن نرى « الجنبية » معلقة في أحزمة الرجال - خنجر اليمنيين الشهير - والعمانيون يعلقونه في احزامهم لكن مرافقنا قال : لقد اختفى هنا تقريبا بعد الاستقلال ، ولم يعد مسموحا بحملها بعدما انتفت الحاجة إليها .

في المساء تحولت الأسواق القديمة الضيقة ، الشوارع والمحلات ، كمعظم أسواق المدن العربية القديمة ، يتم فيها تداول كل السلع المنزلية والنسائية ، المسموح باستيرادها . وفي قبل كان ارتياد هذه الأسواق مقصورا على النساء وحدهن ، ولذلك كانت الحركة تموت فيها بعد المغرب . صادفنا معظم النساء بزيهن التقليدي الذي لم يتبدل ، عباءة سوداء تغطي المرأة من الرأس حتى القدمين ، وربما فتحة للعينين ، وهن يمارسن هواياتهن التقليدية في الفرجة والمساومة .

وإذا كان موقع « المكلا » أثر في نموها العمراني ، فإنه حكم نشاط سكانها الاقتصادي . فبالإضافة إلى الأعمال الإدارية في قطاع الخدمات الحكومية والمؤسسات العامة ، تحظى الأنشطة المرتبطة بأعمال الميناء في منطقة « حلفت » بحي « الشهيد خالد » الذي افتتحت مرحلته الأولى عام ١٩٨٥ ، بنسبة كبيرة من الأيدي العاملة ، وكذلك أعمال صيد الأسماك التي تمثل مصدر دخل رئيس لقطاع الساحل اليمني ، ومادة أساسية لوجباتهم اليومية الرئيسة ، وغالبا ما تكون وجبة الغداء .

مدينة الشهداء السبعة

وإذا كان صيد الأسماك واحدا من أنشطة سكان المكلا ، فهو أهم أنشطة سكان مدينة « الشحر » التي تبعد عن المكلا ٣٤ ميلا شرقا ، وقد كانت تنهض بعبء التجارة في حضرموت قبل أن تأخذ منها « المكلا » أنشطة مينائها بعد ظهورها .

وبجزيرة « الشحر » ثلاث تعاونيات لصيد الأسماك ، أكبرها وأقدمها المنشأة بالمدينة نفسها في فبراير ١٩٦٦ .

وصيادو الأسماك كما يقول الصياد « عوض عبد مسعود » عضو تعاونية « الشحر » ينقسمون إلى صياد [تعاوني] ، وهو الذي يعمل على وسيلة إنتاج (القوارب والمعدات) المملوكة للتعاونية . وصياد [مالك] لوسيلة الإنتاج . والتعاونية هي التي تتولى تصريف إنتاج جميع الصيادين وتسويقه . ولكن تختلف الأساليب المحاسبية لكل نوع منه . فالإنتاج اليومي للصياد التعاوني يتم تقسيمه مناصفة بين التعاونية ، نظير استخدامه وسائل الإنتاج بنسبة ٥٠٪ للتعاونية ، و ٥٠٪ للصياد .

أما الصياد المالك وسيلة الإنتاج ، فينال ثمن إنتاجه الذي يسلمه للتعاونية نقدا ، ويدفع ١٨٪ ضريبة إنتاج وخدمة تعاونية .

وتشتهر « الشحر » كذلك بصناعة الفضيات « الخناجر والحلي المختلفة » ، ولكن انكمش نشاط هذه الصناعة الحرفية لأسباب كثيرة ، منها شيوع استخدام الذهب ، والتخلي عن اقتناء الخناجر . كما أن الأنسجة الحديثة المستوردة أزاحت صناعة النسيج اليدوي .

ويعتز أبناء « الشحر » بعلمائها القدامى ، كالفقيه عبدالله بن عمر بامخرمة الذي كان يلقب بالشافعي الصغير ، وصاحب دراسات في الفلك . والصيادون والمزارعون مازالوا يتبعون تقويما له حتى الآن . وسليمان المهري ، الملاح ، المولود في القرن العاشر الميلادي الذي ذكرته كتب التاريخ كمعاصر ومنافس لابن ماجد البحار العربي الشهير .

وعن المدينة وتاريخها يقول عبدالرحمن الملاحي ، ابن المدينة ، الباحث المتفرغ في مركز الأبحاث اليمني : « الشحر من المدن القديمة ، فقد سميت قديما « ميناء اللبان » ، لأنه كان يصدّر منها . ووصف الساحل الحضرمي الذي يليها في كتب الرحالة القدماء ، حيث كانوا يطلقون عليه اسم « الساحل الشحري » ، ويمتد بين خليج عدن وبدء المحيط الهندي ، وكانت بذلك نقطة اتصال بين أفريقيا وآسيا ، وكانت تتحكم في حركة رسو السفن ، خاصة في الخريف عندما تتحرك الكتل المائية إلى الشحر التي سماها ابن ماجد وسليمان المهري « زحوف الشحر » ، وموقعها قد جذب إليها الطامعين . فقد غزاها البرتغاليون في عام ١٥٢٢ م ولكن أبناءها استبسلوا في الدفاع عنها ، وتمكنوا من صدهم عنها بعد أن استشهد سبعة منهم في معركة عنيفة . ونحن نحتفل بذكراهم كل عام . كما أن مدفنهم الجماعي أصبح مزارا سياحيا » .

علاج السكري بالمياه المعدنية

لم نصدق عندما قالوا لنا : إن هناك عين مياه معدنية ، تشفي من السكري في أربعين يوما ، ومن الأمراض الجلدية ، فذهبنا إلى هناك ، « الصويري » ، التابعة لمديرية « الشحر » التي اشتهرت بعيون المياه المعدنية . واحة من النخيل حول عين مياه ، في منطقة كانت تستخدم لإقامة الجمال ، ثم أدرك الناس أهمية مياهها العلاجية بالتجربة ، فأجري تنظيم استغلالها محصورا عنها ، فتدافع إليها المرضى من أنحاء اليمن الجنوبي . تذوقنا المياه ، طعمها يشبه طعم المياه الغازية إلى حد ما ، نتيجة تشبعها بالكبريت . سألنا واحدا من المرضى ، طاعنا في السن ، وهو عبيد سالم من محافظة المهرة قال « أعاني من السكري منذ فترة ، وأثر ذلك على نظري بشدة ، وعندما شاهدت برنامج « جولة الكاميرا » حول هذا النبع حضرت ومعي أشرطة اختبار السكر ، قبل استخدامي للمياه ، كان لون الشريط يصل إلى أقصى درجات ألوانه ، وبعد خمسة وعشرين يوما من إقامتي الكاملة ، تراجعت الدرجات إلى المستوى الثاني . ومازال أمامي خمسة عشر يوما وينتهي السكري تماما » .

ولقد كانت « أكاديمية » الطب في بلغاريا بتحليل مياه عيون المياه المعدنية المنتشرة في هذه المنطقة ، وأكدت نتائج التحليل قيمتها العلاجية العالية لكثير من الأمراض ، كالتهابات الكبد المزمنة ، وأمراض البنكرياس ، والروماتيزم ، والسمنة ، وأمراض الغدد الدهنية .

يبقى أن نسأل ، لماذا لايهتم المستثمرون من المقتدرين الحضارمة والعرب باستثمار هذه المنطقة سياحيا وعلاجيا . إنها دعوة من المسئولين ، وهناك بانتظارهم الدراسة والتنفيذ .







● فلاحات من مزرعة الدولة يعود في قلب حقل برسيم.
- إعداد الشاي على الجمار. صحفة كانت جزءا مهما من جهاز العروس في الواحي.
- المياه المعدنية في طمسين.

في جولتنا بالمدينة نشاهد بقايا السور الذي أقامه حولها القعيطيون بعد استيلائهم عليها عام ١٨٦٧ ، وقد بقي منه البوابة الشمالية « سدة العيدروس » ، وقد تم ترميمها بإشراف هيئة « اليونسكو » منذ سنوات قليلة ، وهي تجسد الفن المعماري اليمني القديم .

كما شاهدنا التدمير الذي أحدثته سيول هذا العام ، حيث ارتفعت مياه الأمطار إلى ثلاثة أمتار في المناطق المنخفضة ، فانهار ٢١٧ منزلا انهيارا كاملا ، وتضرر ٢٠٧٥ منزلا مازالت ترميم ما يصلح منها جارية . وعلى الرغم من أضرار السيول التي أدت إلى إشغال أبنية المدارس والأجهزة الحكومية بالمنكوبين فإن المدينة القديمة تواصل استمتاعها بالحياة ، ومصارعة أمواج البحر بحثا عن الرزق .

الوعي والمتعة

في أثناء جولتنا المسائية في شوارع عريضة من شوارع حي « المكلا » ، جذب انتباهنا تدافع أعداد من الشباب باتجاه مكتبة عامة مجاورة لمسجد يغص برواده ، دفعنا الفضول لمتابعتهم ، فنحن في زمن ينحسر فيه الإقبال على الكتاب لصالح « التلفاز والفيديو » خاصة في دول العالم الثالث . وهنا يتدافع الشباب على مكتبة ، لماذا ؟

دخلناها . روادها كثيرون ، منكبون على القراءة ، استطلعنا عناوينها ، وهي كتب للتراث والفلسفة ، والآداب ، والأديان وغير ذلك من فروع المعرفة . حاورنا أمينها ، قال : تأسست المكتبة عام ١٩٤١ باسم « المكتبة السلطانية » ، تطورت بعد الاستقلال ، وتغير اسمها إلى « المكتبة الشعبية » . وهي الآن تعرف باسم مكتبة « الشهيد باعطوف » ، تخليدا لذكرى المؤرخ الحضرمي محمد عبدالقادر باعطوف ، المتوفى منذ عامين ، وصاحب المؤلفات والدراسات العديدة حول حضرموت وتاريخها .

وتحتوي المكتبة على ١١,٣٠٠ كتاب في مختلف فروع المعرفة ، عدا الدوريات ، والاستعارة عامة ، لكنها مقصورة على الذكور فقط ، لأن طبيعة المجتمع المحافظة لا تسمح للبنات - حتى الآن - بالاستعارة المباشرة منها .

إن إقبال الشباب على القراءة والثقافة الذي رصدنا مظاهر كثيرة له في مدن المحافظة ، يعكس رغبة دفينة لدى الإنسان الحضرمي في ضرورة امتلاك الأدوات المعرفية التي تمكنه من تأكيد ذاته ، وتعويض آثار التجهيل المتعمد في ماضيه ، ويتجلى ذلك في الاعتزاز بالتاريخ ، قديمه وحديثه ، والسعي لتدوينه . لكل مدينة مؤرخ من أبنائها يعرف دقائق تاريخها ومراحله في إطار تاريخ اليمن كله .

متاحف في المدن الرئيسية تضم آثارا مكتشفة من مختلف العصور ، مكتبات عامة وخاصة ، دوريات شهرية ومطبوعات متنوعة حافلة ، تضم بين دفتيها إسهامات متدفقة في مجالات المعرفة ، فقيرة في الشكل والإخراج ، ولكن الرغبة المشوقة للخروج من الشرنقة تبتكر وتبدع ، وتتغاضى عن متطلبات الشكل الأنيق كما يقول لنا أديب شاب . نشاط مكثف لفروع اتحاد الكتاب والأدباء اليمنيين الذي يوحد بين مبدعي اليمن شطريه . في سيئون ذهبنا لحضور الأمسية الأسبوعية لفرع الاتحاد في دار الأديب الراحل علي أحمد باكثير التي تحولت إلى متحف يضم مؤلفاته وآثاره ، كان الموضوع « من مفكرة الخامس من يونيو ، النثرية والشعرية » ، وكان ذلك في بداية شهر حزيران « يونيو » . حضور كثيف ، متعدد الأجيال ، نجلس على الأرض بتهيب . نسمع مناقشات ومداخلات واعية تعصر العقل وتثيره .

في « المكلا » استمتعنا بإلقاء شعراء شباب من الجنسين لقصائدهم التي تحلق في الآفاق الإنسانية الرحبة ، وتتوغل في حنايا الذات بهمومها الممزوجة بهموم الوطن والأمة العربية . وأيا كان مستواها فإنها تعبر عن وجدان مترع بالحيوية والثراء .

ونلتقي في « سيئون » بالمؤرخ عبدالقادر أحمد الصبان الذي نال وسام المؤرخ العربي في فبراير ١٩٨٩ ، من اتحاد المؤرخين العرب ، ووسام الآداب والفنون اليمني الجنوبي عام ١٩٨٨ تجاوز الخامسة والستين من العمر ، ومازال يعمل مسئولا عن المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار ، بمديرية « سيئون » ، وله ٢٨ كتابا . وهو يمثل نموذجا حيا لروح هذه المنطقة يقول « بدأت الكتابة بعد أن تجاوزت الخامسة والأربعين من عمري في البداية كتبت « المقال » ، وكنا ننسخه بخط اليد لعدم وجود مطابع لدينا ، وأسست تحرير مجلة « زهرة الشباب » في سيئون قبل الاستقلال بزمن . سجنت في هذا القصر الذي نجلس فيه - قصر السلطان السابق في سيئون - في سنة ١٩٦٠ ، بعد أن ألقيت قصيدة بمناسبة المولد النبوي ، تعرضت فيها لحالنا المتردي آنذاك . والآن أعكف على الكتابات التاريخية . وقد أعددنا بعضها .

وفي مدينة « تريم » زرنا مكتبتها الشهيرة المعروفة بمكتبة الأحقاف للمخطوطات

عمارة الطين

لايمكن لمن يزور وادي حضرموت ، ويتجول بين مدنه وقراه ، أن يمنع التمتمة المصحوبة بالإعجاب من التسرب إلى نفسه . وهو يشاهد نماذج العمارة المختلفة في المدن والقرى المتناثرة على جانبي الوادي التي تقام على منحدرات المرتفعات والجبال ، أو تلك المنجمعة في قلب مزارع النخيل وأشجار « العلب » - النبق - التي تنتشر بكثافة في الوادي وفروعه ، لأن النمط المعماري الذي تتميز به البيوت هو تجسيد لتفاعل الإنسان مع البيئة المحيطة عندما يستخدم إمكاناتها المتاحة ، وتوظيفها لتلبية احتياجاته ، وهي هنا الطين الذي يُخلط بأعواد القش (التبن) ، ويصنع منها الطوب (اللبن) الذي يطلى بالنورة - خلاصة الحجر الجيري - بعد بنائه ، وخشب أشجار « العلب » - ذات المكانة الأسطورية ، لقدمها واستخداماتها الاقتصادية المتنوعة التي يستخدم في السقوف والأعمدة والأبواب . وليس كل طين يصلح للبناء ، لأن للطين الصالح أماكن محددة (كطين زبر)

والأعجب كذلك مابتكره تظلما للتهوية والإضاءة ، يعتمد على توزيع الفتحات ، نوافذ وفتحات تهوية ، بكيفية تؤدي إلى تخفيف حدة الحرارة في الصيف ، وترطيب الجو .

والملفت للنظر تلك القيم الجمالية التي يخلقها التكوين المعماري الخارجي للبيوت ، الناجم عن تناغم ارتفاعات المتراوحة بين الطابقين والأربعة ، ورشاقة الخطوط واستطالاتها ، وتناسب مسطحات الفتحات للنوافذ والأبواب والتهوية مع المسطحات الكبيرة للحوائط ذو المتنوع في ابتكار أشكال تهذيبات حوائط السطوح . الناجمة عن التكوين المعماري التشكيلات اللونية المبهجة ، المكونة من تناغم وتنافس في ألوان الطلاء المتدرجة للأسطح والحوائط والنوافذ التي تكتسب عنفوانها اللون الأبيض المتفاعل مع اللون الطيني الألوان ناصعة مبهجة . تبدو البيوت كالصبايا متدللات على أعراسهن

وعلى الرغم من أن هذا النمط يشيع في الوادي كله . فقد لاحظنا بعض التميزات لكل مدن عن القرى ، وكل مدينة عن الأخرى .



● يحتفي الإنسان العربي بالحياة ، فيعبر عن مشاعره بالرقص والغناء .

- الصورة العليا رقصة شعبية لإحدى فرقة حضرموت للرقص .

- الحفلة للشاب ليلة عرسه (أي سهرة) .



● بشكل من المرأة في الوادي: إما الرجل بنفسه، وإما تقوم بأعمال الرجل في الزراعة (الصورة العليا). وفي اليمين مصنع لتصنيع خشبة للعزبة اليمنية في وحدة الثانية بالقمر.

فالمستوى الاقتصادي لسكان المدن انعكس على عمارتهم ، بحيث تعددت فيها القصور ، وارتفعت الطوابق ، وتلاصقت ، وبرزت تأثيرات ثقافات المهاجر وفنونها ، خاصة الأندونسية والماليزية في « تريم » و« سيئون » ، والهندية في « المكلا » . وبدأت هذه الظاهرة تختفي نتيجة العودة الجماعية للمهاجرين ، ولارتفاع المستوى الثقافي العام مع انتشار التعليم بقيمه الجديدة .

وعند اختراقنا للوادي في طريقنا من « سيئون » إلى « المكلا » ، حيث استخدم بعض الظواهر التي بدت نشازا في سياق تشكيلة الوادي المعماري ، أن حجر « الخرسانة » المسلحة كبديل ، بدلا من الطين .

وعندما سألت المسئولين بالمحافظة عنها قالوا : « إن هذه الظاهرة لن تستمر طويلا ، لأن المكتب الفني للمحافظة أصدر توجيهه بالحد من استخدام هذه المواد داخل الوادي ، إلا في أساسات البيوت فقط ، لأن تجربة البيوت هنا أثبتت فرص استخدامه في الأساسات كي تحميها من الأمطار ، بالإضافة إلى أن المادة « الخرسانية » لا تلائم الجو الحار في الوادي ، إلا إذا استخدمت مكيفات هواء ، وبسبب الطاقة الكهربائية العالية تحول دون انتشارها ، ثم إننا نريد الحفاظ على طابع الوادي على الرغم من أنه يسبب لنا المشاكل في صيانة البيوت وهموم عمليات سنستخدم « النورة » في الطلاء حتى نتلافى تأثير الأمطار على المباني الطينية » .

« شبام » تتحدى

وإذا كان الوادي يمتلئ بالشواهد الأثرية التي تكشف عن نمط الحياة ويمتد في مختلف العصور التاريخية ، كالقلاع المقامة على المرتفعات ، أو المدن المطمورة في جوانب الوادي

التي اكتشف بعضها بعثات التنقيب السوفييتية اليمنية المشتركة أو الفرنسية ، أو اللوحات الحجرية التي تحمل حروف « الخط المسند » الذي يعده بعض المؤرخين أساس الكتابة العربية ، إلا أن مدينة « شبام » تنتصب وحدها في قلب الوادي ، كشاهد على إبداعات « حضارة الطين » التي تصارع الأجيال الحالية ضد تعرضها لخطر الهدم ، أو الضياع في ثنايا الزمن .

و« شبام » التي يقول عنها نداء هيئة اليونسكو للعالم في ديسمبر ١٩٨٤ : « بأنها من أكمل الشواهد على ما بلغه الفن والهندسة المعمارية ، فهي أشهر المناظر التي يكتشفها المرء ، بعد أن يكون قد عبر هضبة صحراوية صخرية ، إذ تتراءى له منبثقة في أعماق وادي حضرموت ، وسط غابة من النخيل ، منطلقة برشاقة نحو السماء ، وتتكون المدينة من أبراج عالية من سبعة أدوار أو ثمانية ، متراصة ، متلاصقة » .

ولقد شهدت المدينة خلال العقود القليلة الماضية ، ظهور أنماط جديدة من المساكن حديثة ، غير أنها نجحت في إقامة التوازن الدقيق بين مساحتها وعدد سكانها ، بين ماضيها وحاضرها . هذا التوازن الذي يحافظ على هويتها . مع أن الوادي بكامله ، وعاصمته التاريخية ، قد أصبحا مهددين بالخطر ، نتيجة الآثار المشتركة للسيول والفيضانات المدمرة ، ولقد جرفت الفيضانات خلال السنوات الأخيرة جزءا من سد « موزاع » الذي يقع في الشمال ، على مقربة من المدينة ، وأزالت فيضانات هذا العام « سد الموزع » الذي بني منذ القرن العاشر الميلادي » وعند زيارتنا للمدينة التي تتكون من خمسمائة بيت ، يسكنها الآن عشرة آلاف نسمة ، ويصل عمر بيوتها الآن ٥٠٠ عام ، شاهدنا التشققات في بعض البيوت من جراء الأمطار .

وقد تبنت اليونسكو عام ١٩٨٤ مشروع حماية «شبام» من خلال حملة دولية، تسعى إلى ترميم الآثار والمواقع ذات القيمة التاريخية والثقافية والطبيعية الموجودة في وادي حضرموت وصيانتها، وبوجه خاص التراث المعماري لمدينة «شبام».

وعلى الرغم من نداء اليونسكو الموجه إلى العالم فإن المساهمة ماتزال محدودة، والأموال التي تتحملها حكومة اليمن الديمقراطي، المطلوب لحماية المدينة، وتحريك السياحة فيها، كما قال الأستاذ عبدالله الحويزي، مسئول تنسيق الحملة مع اليونسكو، هو ١٣٠ مليون دولار فقط. قلنا ونحن نغادر «شبام»: وهل عسير على أبناء الوطن العربي تدبير هذا المبلغ لحماية هذه المدينة الفريدة؟

الزراعة هي الأصل

واصلنا رحلتنا في أنحاء الوادي نتابع وجوه الحياة المتعددة فيه، ويستكمل مرافقنا معلوماته عن الوادي: «يصل عرض الوادي في أجزائه الشمالية الغربية من ١٥ - ٢٠ كيلو متراً، وينتهي في الشرق عند سحوت بكيلومتر واحد، وبه عدد من الأودية الفرعية. ونشاط السكان الرئيسي هو الزراعة، ومحاصيله هي القمح والذرة الرفيعة والخضراوات والتمور.

ويمسك خيط الحديث منه، المهندس الزراعي، صالح عوض، فيقول: إن المساحة الصالحة في الوادي زادت من ٣٪ من المساحة الكلية لحضرموت عام ١٩٧٣ إلى ٥,٥٪ عام ١٩٨٦. وتطورت المساحة المزروعة فعلاً من ٠,٦٪ عام ٧٣ إلى ٣,٣٪ عام ١٩٨٦. والزراعة في الوادي تتم وفق أنماط ثلاثة: مزارع تعاونية، دولة، ملكية خاصة. وبالوادي ١١ مزرعة تعاونية، وعشر مزارع دولة. وهناك مشروعات لتطوير الزراعة في الوادي: الأول مشروع وادي حضرموت الزراعي، وقد اكتملت المرحلة الأولى والثانية منه، بتكاليف ٤٢ مليون دولار، واستهدفت المرحلة الأولى إعداد البنية التحتية (شق طرق وقنوات)، وإنشاء وحدة لتعبئة التمور، وتأسيس جهاز للإرشاد الزراعي، ثم إنشاء ١٥٠ هكتاراً كمزارع نموذجية.

والمرحلة الثانية إعداد ٣٣٦٠ هكتاراً للزراعة، وأنجز ذلك بالفعل عام ١٩٨٨، وإعداد ٥٦ بئراً ارتوازية. ولقد استخدمت طرق جديدة للري في هذه المساحات، للحد من مفقود المياه، فيتم ري ٦٠ هكتاراً بالرش والتنقيط، و٥٠ هكتاراً بالأنابيب بدلاً من القنوات. كما كان متبعاً بالطريقة التقليدية كما تم حماية الوادي الرئيسي بإقامة ١٢ مسقطاً مائياً (مصائد) لتهدئة سرعة مياه الأمطار، وتدرجها، خاصة في وادي «عدم» «والمسيلة»، وتم تهذيب شبكة (الري من مياه السيول) في منطقة «تريم»، كما أدخلت الآليات الزراعية في مراحل البذر والحرث والحصاد.

والمشروع الثاني يتم بالاشتراك مع الاتحاد السوفيتي، حيث يتم استصلاح أراضي جديدة، على مساحة ٧٠٠٠ فدان. تم توزيعها على ثماني مزارع دولة، تتراوح مساحة المزرعة من ٦٠٠ - ١١٠٠ فدان.

وفي قرية «بور» التابعة لمديرية «سيئون» زرنا مزرعة الدولة التي تأسست عام ١٩٧٤، وتنتج القمح والذرة الرفيعة والخضراوات مساحة المزرعة الكلية ٧٦٣ فداناً، المزروع منها ٦٥٤ فداناً، والباقي قنوات ومنافع عامة

ونترك المزارعين يفلحون الأرض، ويصنعون الحياة في قلب الوادي الذي قامت فيه حضارة متميزة، شغلت حيزاً مهماً من مساحة الزمن العربي، عسى أن يعيدوا مجدها، أو يحموا آثارها من الاندثار. □



عندما تحافظ الشعوب على تاريخها

تجربتان ثقافيتان
من تايوان



الشعب في تايوان خليط من جماعات عرقية موغلة في القدم . كانت هي صاحبة الأرض ، والثقافة والتاريخ . انضمت إليها جماعات جديدة مهاجرة ، زاحفة من الصين الأم ، على فترات متتالية . كان آخرها عقب الصراع « الأيديولوجي » ، في منتصف القرن العشرين الذي أدى إلى قيام جمهورية الصين الوطنية على جزيرة فورموزا . ومنذ قامت الدولة الجديدة نشأت رغبة عارمة في المحافظة على الجذور ، جذور قديمة ثابتة ، تمثل الأصول السكانية القبلية التي تضم تسع قوميات بدائية . لها ثقافتها وتقاليدها وشعرائها وجذور حديثة متشتتة ، تمثل المقيمين الجدد من المستوطنين الصينيين ، الحالمين بالعودة إلى الصين الأم ، المرتبطين بمعالمها وآثارها وتراثها . ومن خلال التمسك بالجذور جاء تحقيق تجارب ثقافية رائدة . لعل أبرزها إنشاء « قرية فورموزا البدائية » ، وفتح « نافذة على الصين » .

نافذة على الصين

لماذا نافذة على الصين ؟

الحلم الدائم لسكان تايوان من أصحاب الأصول الصينية المهاجرة هو العودة إلى الصين الأم ، عندما يتم تحريرها كما يتصورون ، أو على الأقل عندما تتحدان ، وإذا لم يكن الجيل الحالي قادرا على ذلك . فقد يستطيعه الجيل التالي . ولكن كل ذلك لا يكون إلا بحرص التمسك بالوطن الأم في أذهان أبناء الشعب ، وفتح عيونهم على المعالم التاريخية الرئيسية التي تضمها أرض الصين منذ عهودها الامبراطورية القديمة التي لم يرها الأبناء ، والتي ما تزال محفورة في رؤوس الآباء والأمهات .

كان السبيل إلى ذلك إقامة مدينة قزمية نموذجية صغيرة ، أطلقوا عليها اسم « نافذة على الصين » ، تضم ٧٦ نموذجا من أشهر معالم الصين التاريخية ، في مجسمات تم تصغيرها بنسبة واحد إلى ٢٥ ، تعبر عن الأساليب المختلفة للحياة في مختلف عصور المجتمع الصيني .

زرنا المدينة القزمية في منطقة لونجتان ، على مسافة ٣٥ كيلومترا ، جنوب غربي تايبيه . منشآت المدينة وحدها أقيمت على مساحة ٢٠ ألف متر مربع . واستغرقت عملية إنشائها منذ بدء تنفيذ مخططاتها عشر سنوات ، بدأت في عام ١٩٧٥ ، حتى تم افتتاحها في ٧ يوليو ١٩٨٤ . المعالم التاريخية البارزة في الوطن الأم التي أقيمت في المدينة صورة طبق الأصل من المعالم التي شهدناها قبل ذلك في مختلف أنحاء الصين الشعبية . تبرز هذه المعالم سور الصين العظيم الذي أحيطت به المدينة القزمية ، والمدينة المحرمة بقاعاتها وقصورها وأسوارها وتقاليدها وتماثيلها ، بما في ذلك ساحة تيان ان من ، ومعبد السماء في بكين ، وممر شويوتنج ، والمعبودة البوذية لمعبد لونجمن في مقاطعة شانسي ، البالغ طولها الأصلي ٧٦ مترا بمرتفع ٢٢ طابقا أنشئت عام ١٠٥٦ (انظر العربي ٣٥٦ يونيو ، و٣٥٩ أكتوبر ١٩٨٨) .

ويحتل نموذج القصر الصيفي مساحة واسعة . وكذلك نموذج المعبد السماوي في شنت الذي استغرق إنشاؤه في عصر شينج تسعين عاما ، بين ١٧٠٢ و١٧٩٢ ، وتقع على ارتفاع ألف متر فوق سطح البحر . وكان البلاط الامبراطوري ينتقل إليه خمسة شهور كل عام وتبعد عنه قليلا قاعة آلهة السماء في معبد شيق بمقاطعة شانسي ، ويرجع تاريخ إنشائه إلى عام ١٠٢٣ في عصر سونج . تماثيل الآلهة الأم تتمثل في شكل الامبراطورة « دواجر تونتي » يحيط بها تماثيل ٤٢ من نساء البلاط كل منها قطعة رائعة من كنوز الفن . وتشتهر عن هذه القاعة أسطورة تحكي عن انتشار المجاعة

والجفاف الذي غطى أراضي المنطقة وارتفعت ابتهالات الصلاة داخل قاعة إلهة السماء، فتساقطت على الفور أمطار غزيرة كانت كافية لزراعة ٥٠٠٠ هكتار من الأرض...!

ومن أحق النماذج مغارات لونجمان في لويانج بمقاطعة هونان التي بدأ نحتها في عام ٤٩٤م حتى ٦٧٦م، خلال عصر تانج، في أعلى قمة الجبل خلف معبد المنجسيان. المغارات تمثل الطراز الهندسي الصيني وأروع زخارف الفن مع تمثال هائل لبوذا القاعد القرفصاء، بطول ٨٥ قدما، وحوله الملائكة الحارسة والملوك وقوفا، بطول ٥٠ قدما.

مظاهر النهضة الحديثة

كل هذه المعالم يتمثل فيها أفراد الشعب وطوابير الجيوش الامبراطورية في تماثيل صغيرة يبلغ عددها ٥٠ ألف تمثال، طول كل منها يبلغ حوالي ٧ سنتيمترات، مصغرة بنسبة ١ إلى ٢٥، وشكلت بالنسبة نفسها الأشجار والطيور والحيوانات والحدائق ومختلف أنواع التماثيل. مصممو منشآت «نافذة على التاريخ» لم يكتفوا بالمعالم التاريخية في الصين الأم، لكنهم أضافوا إليها معالم حديثة، تعرض بالأرقام والبيانات مظاهر التطور الاقتصادي والاجتماعي والصناعي في تايوان، ليشهد الأبناء مدى النهضة التي بلغتها بلادهم خلال عدد قليل من السنين. من بين ذلك نماذج من المشروعات الصناعية وخطوط قطارات الأنفاق والسكك الحديدية المكهربة التي تربط تايبيه ببقية المدن الرئيسية، وكذلك أرصفة ميناء تايشونج، ومطاحن الدقيق، وصهاريج تخزين النفط والغاز، ومحطة الكهرباء الرئيسية، ورافعات الشحن، بالإضافة إلى الشاحنات البرية وسفن الشحن البحرية التي تنقل الصادرات والواردات. ومن أجمل النماذج مطار تايبيه وطائراته التي تتحرك على الأرض وتصعد وتهبط في مدارج المطار، وحديقة الحيوان، ومسجد تايبيه الكبير، ومنشآت جامعة تايوان، والقاعات التذكارية لشيانج كاي شك، وصن يات سين، والمتحف الوطني.

هنا يشهد الأبناء بالنماذج والأرقام والبيانات المجسمة حقيقة المعجزة الاقتصادية التايوانية ونموها، وكيف استطاعت تايوان تحقيق فائض نقدي كبير، أخذ يتراكم في خزائنها، بسبب الزيادة الضخمة في صادراتها بالنسبة لوارداتها، وكيف تجاوز الاحتياطي النقدي ٧٣ بليون دولار، وما يزال يسجل ارتفاعا مطردا وراسخا، وكيف أصبحت الجزيرة، بحجمها المتواضع الذي لا يزيد عن ٣٦ ألف كيلو متر مربع، إحدى أغنى دول العالم، حتى أن دخل الفرد فيها بدأ يتجاوز هذا العام ٦ آلاف دولار. وقد تحقق كل ذلك من خلال قناعة بأنه «إذا أردت أن تبني بلدا غنيا، يجب عليك أولا أن تجعل الشعب غنياً، فإذا أثرى الأفراد ازدهر الوطن».

قرية فورموزا الحضارية

التجربة الثقافية الثانية نشهدها حين نصل إلى تايشونج، ثالث أكبر مدينة في جزيرة تايوان، وبالتحديد في جنوبها الشرقي ببحيرة «الشمس والقمر» (صن مون ليك) وشواطئها. في هذه المنطقة نزور «قرية فورموزا التقليدية» التي تمثل مرحلة بدائية من مراحل الحضارة الصينية القديمة.

القرية تمتد على مساحة ٦٢ هكتارا (الهكتار = ١٠ آلاف متر مربع)، وكان الهدف من إقامتها المحافظة على تراث تايوان منذ الزمن الذي كانت تستوطن الجزيرة فيه تسع قبائل أو قوميات، ما يزال المتحدرون منها يفخرون بجذورهم فيها، ويعتزون بانتمائهم إليها.







● مهرجان الفنانين من تايوان

شهدنا معالم القرية مقسمة إلى تسعة أقسام ، تمثل أساليب المعيشة الاجتماعية والاقتصادية والفنية لكل مجتمع من المجتمعات السكانية .

ففي نموذج مجتمع « يامي » الذين كانوا يسكنون جزيرة « لانيو » نشهد كيف تقوم حياتهم على صيد الأسماك . هنا القوارب الصغيرة ذات المجاديف التي يستخدمها فردان أو ثلاثة في ملكية خاصة ، وهناك القوارب الكبيرة للصيد التعاوني ، يشارك فيها بالجهد عدد من الأفراد ، يقسمون حصيلة الصيد بينهم بالتساوي . حياة أبناء القبيلة تقوم على الصيد وصناعة القوارب وتجفيف الأسماك وتمليحها . كل فرد يبذل جهدا مساويا لقدرات عمره . الجميع أسرة واحدة ليس لها زعيم . فكل منهم يعرف واجبه ، ويدرك حقوقه ، في ظل النظام التعاوني المشترك . وتتغير مهمات الأفراد حسب تغير الفصول والشهور . الرجال الناضجون يتولون صناعة السفن والقوارب وبناء البيوت وصيد الأسماك وصنع المشغولات المعدنية والأواني الفخارية . والنساء عليهن فلاحة الأرض وجمع الحصاد وإعداد الطعام ونسج الملابس . ويترك للكبار ، أصحاب الخبرات ، صناعة الصدريات الذهبية والمكونات الفضية وتصميم زخارف المباني « وجيكورافيا » ، وكل ما يحتاج للمهارات الفنية .

للمرأة قبل الرجل !

أما قرية قبيلة « آمي » أكبر المجتمعات القبلية فهي تستوطن سهول وادي تايتونج وسفوح مرتفعات وسط تايوان ، حيث الأنهار والقنوات والأراضي الخصبة الصالحة للزراعة . وهم يشكلون عدة مجمعات قروية أسرية ، يضم كل منها حوالي ٥٠٠ فرد من الأقارب . ولخصوبة أرضهم وسهولة ريها فقد برعوا في فنون الزراعة وحرث الحقول ، مستخدمين

الثيران . بالإضافة إلى اشتغال قلة منهم في الصيد النهري . ويتميز مجتمعهم الأسري بالتنظيم الإداري والمجالس القروية . وتلعب المرأة دورا متميزا في العشيرة ، بينما الرجال في حكم الأتباع والمرؤوسين.

وتتحمل المرأة مسئولية الحصاد وتجفيف المنتجات الزراعية وتخزينها . سواء في القاعات المقامة خارج البيت مستقلة عنه . أو على جوانب جدران الأكواخ السكنية المصنوعة من أعواد البامبو ، والقش ، والمبنية من طبقتين مزدوجتين . بينما تشكل كوة منافذ متباعدة ، بحيث لا يسمح للرياح العاصفة أن تدخل بشكل مباشر إلى داخل البيوت إذ تنكسر حدتها بين البابين غير المتقابلين . وتبرع النساء في الصناعات اليدوية الريفية ، وبخاصة في صنع الأواني الفخارية التي تستخدم في الطبخ

وهم يحرصون على الروابط الأسرية ، بحيث يخصص في كل كوخ غرفة للابن أو البنت عند الزواج ، فإذا زاد العدد ، بحيث لا يستوعبه الكوخ ، فإن الأب يقيم كوخا آخر على مساحة أخرى غير بعيدة من كوخ الأسرة .

وقبل انتقال العروسين إلى البيت الجديد يقام احتفال ديني في كوخ الوالدين ، تقدم خلاله فطيرة الأرز قربانا للآلهة ، مع دعوات بألا تنفصل عرى الروابط الأسرية بين البيتين . وتتميز الأكواخ من الداخل بالزخارف اللونية والرسوم وتماثيل إلهة السماء المنحوتة على الأعمدة الخشبية التي ترفع السقوف لتضمن لها الأمن والاستقرار .

القديم والحديث

النماذج التي تضمها قرية فورموزا الحضارية تتميز بأن كلا منها أقيم في بيئة طبيعية مماثلة للبيئة التي تعيش فيها كل قبيلة ، بجبالها وأنهارها وسهولها وقنواتها وحقولها وحدائقها وأنماط مساكنها وبيوتها وتقسيماتها الداخلية وساحاتها الخارجية . كما تقوم كل قبيلة فيرتدون زيهم الشعبي ، ويقومون بأداء رقصاتهم على أنغام موسيقاهم وطبولهم ، ويقضون أمام مشاغلهم الصناعية ينسجون وينحتون ويزخرفون ويؤدون كل الأعمال اليدوية التي يتميزون بها ، ويمارسون حياتهم تماما كما يعيشونها في بيئاتهم الأصلية ، حتى الطعام يقدم بالطريقة التقليدية نفسها ، بالأواني الفخارية ، دون اللجوء إلى أي أدوات من الأدوات أو الآلات الحديثة

الرجال يؤدون الدور نفسه الذي كانوا يؤدونه حسب طبيعة مجتمعهم ، والنساء يمارسن كل نشاطهن التي يمارسنها في قراهن ، والأطفال من حولهم يلعبون ويمرحون ويلهون دون اللجوء إلى أي نوع من الألعاب الحديثة . فصورة الحياة البدائية تعرض بطريقة طبيعية ، لا يمسها أي تجديد أو تحديث ، حتى يمكن الحفاظ على الماضي الذي لا يريدون أن يفقد أو يضيع مع دورة التاريخ .

المقابلة بين القديم والحديث تبدو فور اجتياز البوابة الفاصلة بين قرية فورموزا والجانب الآخر المواجه لها . هنا أنشئت حديقة أوربية رائعة على النمط الحديث ، تمتد على مساحة ستين ألف متر مربع ، تزهو بالخضرة والزهور والورود في أحواض منسقة تنسيقا بديعا ، تتناثر بينها النوافير ، بينما تتوسط الحديقة نافورة موسيقية ضخمة ، تتراقص مياهها بأشعة الليزر ، باستعراضات ملونة تقدم ٥٧٦ نوعا من التشكيلات على الأنغام الموسيقية المتباينة شرقية وغربية .

المشهد كله تطل عليه ثلاثة أبراج صينية ، أوسطها من خمس طبقات ، يرتفع إلى ٩٠٠ متر ، بينما البرجان الآخران من ثلاثة طوابق . الإطلالة من فوق البرج الأوسط تقدم مشهدا متكاملا لقرية فورموزا ، ولبحيرة الشمس

والقمر . ثم لمعالم تجربة ثقافية أخرى متميزة نطل عليها من بعيد « مجمع فوكوانج شان ».

تجربة مجمع ثقافي

« فوكوانج شان » تعني « جبل بوذ المضيء » . لفت انظارنا ونحن نطل من فوق البرج حيث شهدنا على بعد تمثالا ضخما هائلا . يقوم على قمة الجبل ، قرب مدينة « كاوشينج » ، وهو يطل على ساحة واسعة تضم مجموعة من المباني متباينة الأشكال والأحجام .

قالت لنا مرافقتنا - هذا المجمع أقيم على مساحة لا تقل عن ٥٠ هكتارا (نصف مليون متر مربع) . وهو تجربة ثقافية مثيرة من نوع خاص ، حتى ولو بدا لكم في صورة معبد بوذي !

في الطريق حدثتنا عن قصة إنشاء المجمع والرجل الذي أنشأه ، قالت : قبل اثنين وعشرين عاما ، في سنة ١٩٦٧ ، وقف الراهب العلامة شنج يون ، المسئول عن مكتب الخدمات البوذية في المنطقة ، يطل على هذا المكان الذي لم يكن سوى أرض مهملة عند سفح الجبل ، تغطيها الأعشاب ، ولا تطؤها أقدام إنسان . وراح يتذكر المراحل التي مر بها منذ ترك بيته في شنجو وأصبح راهبا في سن الثانية عشرة ، ثم درس في الكلية الدينية في نانكين ، ليلتحق بعد ذلك بالدراسات العليا ، ليتخرج ، ويحصل على الدكتوراة ، ويعين مديرا لعدة مدارس ، ثم رئيسا لتحرير عدة صحف . وبعد الصراع المذهبي في الصين رحل إلى تايوان عام ١٩٤٩ . وراح يتابع طبع الدراسات البوذية ونشرها حتى تولى مسئولية مكتب الخدمات في كاوتشنج . وخطر له وهو يطل على هذه المساحة الواسعة من الأرض القريبة من مكتبه أنها مناسبة لتنفيذ مشروع طالما ملأ خياله . فقرر أن يبيع مقر مكتب الخدمات الذي كان قد أنشأه بحصيلة صناديق النذور ، وأن يضيف إليها قيمة مبيعاته من الكتب والدراسات البوذية التي أخذ يطبعها بالملايين ويوزعها على أتباع البوذية المنتشرين في جميع أنحاء العالم ، حيث يلقى منهم هبات ومعونات هائلة لتشييد مشروعه . وقاد حملة ، شاركه فيها الأهالي والرهبان ، لإعداد الأرض التي أطلق عليها اسم « أرض بوذا الطاهرة » . وبدأ بالمعهد المشترك بقمة أول مبنى « فوكوانج شان » عند أقدام سفح الجبل ، لتتدرج مبانيه الأخرى بعد ذلك صعودا حتى القمة . ليصبح خلال سنوات قليلة أضخم مجمع ثقافي ديني تعليمي اجتماعي ضخم تشغل مبانيه مساحة نصف مليون متر مربع ، هو الأكثر شهرة في جميع أنحاء تايوان .

المشهد بالغ الإثارة ، وبخاصة عند قمة الجبل الذي يستقر عليه أضخم تمثال منتصب لبوذا ، طوله ١٢٠ قدما (حوالي ٣٥ مترا) ، يحيط بقاعدته ٤٨٠ تمثالا مذهبا لتلاميذه ، و ٣٠٠ تمثال لحوارييه ، تمتد على طول الساحة المواجهة ، وحول جوانب الساحة أقيم ١٤ ألف و ٨٠٠ تمثال للرهبان البوذيين .

الأكثر إثارة هو المشاهد المجسدة المتتابعة في مجموعة القاعات الرئيسية التي تستقبل الزائرين ، والتي تمثل مراحل انتشار البوذية ، ورحلة « جاوتاماابودا » ، وقصة الصراع بين الخير والشر ، والسبيل الخير للوصول إلى السمو ، وبلوغ « النيرفانا » ، من خلال اتباع طريق الفضيلة والأعمال الطيبة .

الكل في واحد

ولكن ليس هذا هو بيت القصيد بالنسبة للتجربة الثقافية المتميزة ، فالأهم هو ما أقيم في نطاق المجمع من معالم رئيسية ، تحقق الكثير من الخدمات للإنسان ، وتتناول كل مناحي





● تمثال بوذا ، وطوله ٣٥ مترا تحيط به تماثيل لتلاميذه في مجمع فوكوانج شان . أما الصورة الثانية فلإحدى طالبات كلية آسي وهي تجتاز بنجاح الصبر .

الثقافة ، بصرف النظر عن التوجه الديني . فقد تم في إحدى طبقات المجمع إقامة مدرسة ، تضم جميع مراحل التعليم من الرياض إلى التعليم العالي ، ولا يكتفى فيها بتدريس العلوم الدينية المتصلة بالبوذية ، ولكن التعليم يشتمل على المواد الحديثة ، بما فيها اللغات والرياضيات والعلوم الطبيعية والفنية والبحثية ، ويلتحق الخريجون بكلية الدراسات البوذية للحصول على درجة الأستاذية . ويسمح للقادمين من أي دولة في العالم بالالتحاق بهذه المعاهد . كما أن الإقامة والتغذية والتعليم بالمجان دون مقابل .

دراسة التمريض تهدف إلى تدعيم الهيئة الطبية في المستشفى التخصصي الذي يشكل أحد أقسام المجمع للخدمات الطبية والاجتماعية . هذا المستشفى يستقبل المرضى ، ويقوم بعلاجهم بالمجان .

يتبع الجهاز الطبي سيارات إسعاف طبية مجهزة لتلبية أي نداء لطلب العلاج . ولا يكتفي المستشفى بتلبية احتياجات المرضى ، ولكنه يزود المحتاجين منهم بالملابس والأغذية والأدوية دون مقابل . وضمن الأجنحة جناح مخصص للعجزة وكبار السن الذين يحتاجون للرعاية ، ويبحثون عن الراحة والأمان ، بالإضافة إلى جناح آخر لليتامى والأحداث ، يتلقون فيه العلم ، ويتمتعون بالحرية والسعادة والأمن الاجتماعي .

أما الجانب الثقافي فيتم من خلال المكتبة التي تضم عشرات الآلاف من الكتب الدينية والأدبية والاجتماعية والعلمية والدراسات البوذية ، ومن خلال قسم خاص للنشر وطباعة الكتب بإشراف الجمعية الثقافية . كما يوجد متحف يضم الآثار التراثية للبوذية والمعروضات التاريخية التي تحكي تاريخ الحضارة في البلاد .

على الرغم من أن هذه التجربة تابعة تقوم بها مؤسسة دينية بوذية فإنها نموذج يمكن أن يحتذى به لدعم الجهود الثقافية في أي مجتمع يؤمن بقيم الحياة وحرية البشرية . □



ضرورة فحص الطفل عند ولادته





بين الحنين إلى الصبا الراحل، والخوف من الشيخوخة القادمة، تقف المرأة على حافة الأربعين، خائفة، يزيدها الخوف ذبولا، فتقف حائرة بين العمر المنتصر والعمر المنكسر.

بقلم: نجوى قلعجي

مسكينة المرأة عندما تدرك سن الأربعين، فمنذ الثلاثين يبدأ القلق والكآبة يعززها خوفا من أفق الأربعين الشاحب. والنوادر التي تحكى عن علاقة المرأة بالعمر وتشبثها بالصبا لا تحصى ولا تعد، ويقال: إنه ما من امرأة تعترف بوصولها إلى الثلاثين. وهذا واقع وليس مجرد نادرة تروى للتسلية. في السبعينيات وفي بيروت رغبت ذات مرة بإجراء تحقيق صحفي حول هذا الموضوع مع عدد من النساء، فأجريت اتصالا مع نساء من مختلف المجالات: كاتبات، شاعرات، رسامات، ربات بيوت، وسكرتيرات، ولقد فوجئت أن نسبة عالية منهن رفضن هذه التهمة التي وجهتها إليهن أي «أنهن بلغن الأربعين»، ولازال صوت إحداهن يرن في أذني وهي تجيب بغضب: «من قال لك إني في الأربعين» وأغلقت سماعة الهاتف دون أدنى مظهر للباقة. لكن المرأة التي تعاني أزمة العمر تحيا مأساة حقيقية، تغطيها أحيانا بمثل هذا التصرف الإنكاري. لذا لا يصح الاكتفاء بإلقاء النوادر. فعلاقة المرأة مع العمر علاقة درامية.

فات أوان قوس قزح

إن مشكلة العمر عند المرأة مشكلة جوهرية ، لا يعانيها الرجل بهذه الحدة ولا بهذا الأثر ، بل على العكس تماما . فالرجل يبلغ استقراره العاطفي والمهني ، في هذه السن «أي في الأربعين» ، وانطلاقا من هذا العمر الناضج يبدأ بالتدرج للربيع نحو قمم النجاح والسعادة . وفي هذا المجال يقول الفيلسوف برترندراسل : إن الديبلوماسي والسياسي يتطور نحو مزيد من الوعي والتفهم ليدرك كمال ثروته الفكرية في السبعين . وبعكس هذا التطور المتنامي للرجل وخاصة بعد الأربعين ، فإن هذا العمر الحرج يبدو بالنسبة للمرأة غالبا أضخم من سور الصين ، بل هو حاجز لايمكن تجاوزه . ذات مرة قالت لي امرأة أربعينية وهي تقف بحسرة أمام واجهة لبيع الألبسة تنظر بحسرة إلى قميص وردي اللون «فات الأوان» ، وعندما قلت لها : إذا كنت ترغبين في ارتدائه فلماذا لاتشترينه ؟ أجابت : «لقد رأتني والدتي منذ سنتين أرتدي ثوبا ورديا ، فنهرتني قائلة : دعي هذه الألوان لابنتك ، إنها لم تعد تليق بك ، لقد كبرت وهذه المرأة صادقة حقا ، فإن الربيع ممنوع عليها بكل معانيه ومظاهره طالما أنها دخلت تحت سقف الخريف المنذر بغيوم الشيخوخة الرمادية ، وهكذا تنسحب ألوان قوس قزح من المرأة التي تبلغ الأربعين ولا يبقى لها إلا لون الحسرة على ماضي الشباب وأيامه ، وعلى الرغم منها تصاب بالشحوب ، وتهبط حيويتها النفسية وشعورها بالفرح ، والأهم من ذلك أنها تفقد أهمية وجودها وجدارتها في الحياة .

وهكذا تعنف «سميرة» (٥٠ عاما) شقيقتها «زهرة» (٤٥ عاما) لأنها تفكر بعد زواج أولادها أن تتعلم الخياطة ، وتطمح إلى المزيد ، تقول : ماذا لو تعلمت العزف على العود ؟ فتسخر شقيقتها وتجيب : لست في حاجة إلى المال لتعلمي الخياطة ، ثم ألم تسمعي المثل الذي يقول : «بعد أن شاب ذهب إلى الكتّاب» ! وما معنى أن تتعلمي العزف على العود ، دعي هذا للمراهقات .

لكن «زهرة» أصرت لأنها اسم على مسمى ، فهي تتجدد في كل فصل نبات . لاأريد أن أنطفىء مثل سراج انتهى زيته . إنني أحس بطاقة تنير أكثر من قنديل ، فالحاجة المادية لاتدفعني إلى تعلم الخياطة ، بل رغبة في إعطاء معنى لحياتي اليومية ، أن استيقظ وليس أمامي الجدران التي تقول لي بشماتة : إنني أصبحت مثلها باردة ، جفاء ، بلهاء ، بل أريد إنجاز أمر ممتع ومفيد يشعرني بأنني مازلت على قيد الحياة . فدليل الحياة ليس التنفس فقط ، بل حيوية النفس . أما عزف العود فهذا حلم قديم منعني منه زواجي المبكر ، وشغل بتربية الأولاد ، واليوم وبعد أن أتممت واجباتي الأسرية ، ماذا يمنعني من تحقيق هواية بريئة حيث أعبر من خلالها عن مشاعري وأبث أوتار العود همومي وأحلامي التي تحققت والتي لم تتحقق ؟

«زهرة» نادرة بين النساء في موقفها من هذا العمر ، ندرة زهرة الزنبق في حديقة مهجورة . فأكثرية النساء يستسلمن للكآبة وحزن سقيمين ، ويدخلن في عمر عقيم ويخضعن لآراء الآخرين ، وأكثر من هذا «يصبحن حساسات لأقل نظرة وأبسط ضحكة» . قيل إن المرأة في الأربعين تصبح مثل زهرة شقائق النعمان الهشة ، سريعة الانفراط تحت سياط النظرات اللاذعة . وتعيش حياة السقم والغم والعقم والصمت .

لا عمر للرجل وخمسة أعمار للمرأة

تقول «جيني غريغوار» وهي كاتبة عالمية مشهورة في الصحافة ومختصة بشئون المرأة : «ليس للرجل عمر ، لكن النساء يعشن بعمر مقسم على مراحل حسب عمر المراهقة الطيف ، حيث رأسها محشو بالأزهار ، وحذاؤها مسطح يداعب التراب . هذا العمر تمر بعد أنثويا ، ولا يستمر لأكثر من خمسة عشر عاما . وفي العمر الثاني تتفتح شفاه «مولس» وتعطي زهرتها ، ويصبح هاجس الفتاة حبا وزوجا وأطفالا وتلتهم هذه الاهتمامات المرأة وتشغلها خلال خمسة عشر أو عشرين عاما .

ويأتي العمر الثالث - الذي يفاجىء النساء غالبا بمجيئه في الفترة الزمنية بين ٣٥ و ٣٦ عاما حيث تضعف هرمونات الجسد الأنثوية وينتاب النساء شعور بائس على هامش أنوثتهن الخاصة ، رغم ذلك يبقى هذا العمر مقبولا ، فالوجه ما زال مشرقا بدون تجاعيد ، والحياة أخذت طريقها للاستقرار العاطفي والعائلي حيث تم بناء الحب والزواج والأولاد .

أما العمر الرابع : والذي تسميه جيني غريغوار «عصر العزلة» وعصر الحيرة والتخلي ، حيث تبلغ المرأة الأربعين ويأتي هذا العمر للمرأة كاكتشاف لأشياء الحب والزواج والأولاد ولكن اكتشاف أمر تجهل بالضبط ما هو ، ولا تعرف كيفية تحليله .. كيف لا ؟! وهو زمن اكتشاف المرء بالوحدة والهامشية وهجر الأولاد وكل تزوج من نظرات الإعجاب والرغبة .. لكن هناك بعض النساء يتجاوزن هذه المرحلة بسلام ويحولنها إلى عصر الطمأنينة .

وبشكل عام فهذه هي مرحلة القلق الوجودي الكبير في حياة المرأة ، فالقلق يتصاعد يوميا مع اقتراب العمر الخامس «عمر الشيخوخة» الذي يأتي ليغلق حلقة المصير حيث تلعب المرأة تاركة خلفها «صورة» مسطحة ، وهي تبتسم طبعا ، معلقة فوق جدار غرفتها .

وكما رأينا فإن أطول عمر هو عمرها الرابع وأصعب عمر لزوجها هو العمر الرابع أيضا ، ولكن هذه حقيقة يخفيها الرجال والنساء ولا يتكلم أحد عنها وغالبا ما يسيجها صمت قاتل .

بيد أن «جيني غريغوار» تعطي معظمة النساء ، أن الأربعين هو العمر الذي يمكن أن تكون فيه المرأة جميلة أيضا ، وقد سبقها إلى هذا القول مثل شعبي قديم «بين الأربعين زهر البساتين» ويؤكد ذلك حديث الكثيرين ومنهم



كيركغارد الفيلسوف، الذي يرى أن جمال الروح أهم من جمال الجسد وأبقى. ورغم ذلك فالقول باستمرار الجمال بعد الأربعين في الوجه والقامة أو في انتقاله إلى النفس، هو مجرد اعتقاد من شأنه تخفيف القلق وليس إلغاؤه. أما لماذا؟ فلأنه يخفي المرآة كأداة للزينة فلا يصل لعمق المشكلة ولا يمسك بجذورها، وقد يكون من الأفضل رؤية الوضع النسائي في هذا المجال كما هو عليه، لإيجاد حلول واضحة وموضوعية لهذا الداء. فالنساء في الأربعين غالبا يصبحن بدون مستقبل (طالما أن المستقبل محدد بأمرين: الجمال والإنجاب) ولا يتحدد أمامهن غير تلاشي الذات. وللأسف الشديد فإن هاجس الأربعين يجيء للمرأة قبل هذا العمر بكثير، وها هي «سيمون دي بوفوار»، تكتب «ذات يوم وأنا في الأربعين، فكرت قائلة، هاهي الشيخوخة في عمق المرآة تترقبني» إذ مهما تباين عمر المرأة، ومهما تنوعت بيئتها الاجتماعية، يبقى هذا العمر في كيانها هاجسا يردد أصداء مزعجة.

من الهامش إلى المتن

في إحصاء قام به «هارولد بورشتاين» (وهو أحد المهتمين بمجالات علم النفس والتربية في الكلمة المكتوبة والمسموعة في فرنسا) تقول طالبة لا يتجاوز عمرها ١٩ عاما: «لا أستطيع أن أتصور نفسي في الخمسين. هذا أمر محزن جدا إن الناس الذين بلغوا هذه العمر، وأتخيل أشلاءهم حولي هم منطفئون يحيون على ذكرياتهم وليس لديهم من أمل بشيء، هذا فظيع».

وهذه شهادة امرأة متزوجة، أم لثلاثة أولاد، زوجها معلم مدرسة، وهي لا تعمل وتبلغ ٤٣ عاما تقول: «لدي انطباع أنني أقف على قمة وأنه ابتداء من الآن لن أفعل شيئا غير الهبوط».

وفي هذا الصدد تقول الكاتبة «كوليت اودري».

«إن امرأة تهرم، هي امرأة لم تعد تصلح لشيء وتعيش ما تبقى من حياتها على الهامش».

ماذا نقول بعد؟! إن كلا من أطباء الصحة وأطباء الأمراض النسائية يؤكدون أن الأربعين هو عمر النضج الجسدي والصحي للمرأة، حتى أن أزمة انقطاع الحيض لا تشكل أزمة إلا على صعيد التناسل، فطاقة المرأة بعد انقطاع الحيض تصبح أكبر وأشد تركيزا، في هذا المجال يبين الدكتور «ويليام برلوند» (وهو محلل نفسي أمريكي اهتم بهذا الموضوع وآثاره الجسدية والنفسية) أن عددا كبيرا من النساء اللامعات

كن هشات وصحيفات قبل سن الخامسة والأربعين ولكن طاقتهن لم تنطلق إلا مع هذه السن ونذكر منهن: القديسة «تيريزا دافيلا» و«فلورنس نايتنجيل» رائدة «الصليب الأحمر» و«جين أدامز» التي حازت على جائزة نوبل عام ١٩٣١ لجهودها من أجل السلام وحقوق المرأة و«دوروثيه ديكس» التي ناضلت حتى أقرت الولايات المتحدة أول شروط قانون حماية المعوقين والمسجونين.

العمر المنتصر والعمر المنكسر

وإذا كان الطب قد بدأ يرى أن عمر الأربعين يمكن أن يشكل مرحلة السنوات الذهبية بالنسبة لصحة المرأة وطاقتها، فإن عالم الاقتصاد يضيف بعد أن يطالع إحصائيات العمل النسائي أن هذا العمر «هو زمن العمل وزمن المردود» كذلك فإن عالم الاجتماع يرى فيه عمر اللياقة، وعالم النفس أصبح باستطاعته أن يرى فيه عمر التوازن الأفضل.

لكن النساء يبقين محشورات بين عمر بناتهن اللواتي بلغن الخامسة عشرة وعمر أمهاتهن اللواتي بلغن الستين ويقفن في الأربعين بين العمر المنتصر والعمر المنكسر حائرات لا عمر لهن ولا لون، يزيدهن الخوف من الذبول شحوبا وذبولا، يمشين بين حنين إلى الصبا الراحل وخوف من الشيخوخة القادمة، لا يجرؤن على البوح بما يعانينه من عناء، وتكاد تصرخ الواحدة منهن لنفسها: أحلى، الأولاد ما عادوا بحاجة لرعايتي لقد أكملوا تعليمهم أو تزوجوا. والزوج [illegible] عينيه تخفت ونظرته الولهى تخف فيا محنتي

كلمة أخيرة لحديث يجب أن تكون خلاصة: تماما كما أن المرأة تتساوى مع الرجل في البقاء فهي تتساوى معه في الفناء وإذا كانت ثمة فروق في التكوين الجسدي والنفسي بين المرأة والرجل فإنهما يتساويان معا في البقاء وفي الفناء، في حق العيش والارتقاء، وكأول حق من حقوق المساواة بين المرأة والرجل في الشروط العامة هو حق المساواة في العمر، فتماما كما يكتمل نضج الرجل في الأربعين وتبدأ مسيرته نحو تفتح طاقاته ونحو ذروة عطاءاته، كذلك ليكن هذا العمر بالنسبة للمرأة نقطة بداية وليس نقطة نهاية.

وعلى المرأة قبل الرجل - وعليه مشكلتها هي - أن تعي أن نضجها يبدأ من الأربعين، فلتكن هذه المرحلة من العمر لديها انطلاقة جديدة نحو السنوات الأكثر طولا والأكثر غنى، إذ بعد أن عاشت كليا لأجل الزوج والأولاد، تستطيع أن تلتفت قليلا إلى ذاتها، وأن تستعيد ماضيها من هوايات واهتمامات، وبعد أن أدت واجبها نحو الزوج والأولاد، أصبح بمقدورها أن تنظر إلى واجبها تجاه نفسها، فترتقي بنفسها نحو الاهتمام بصحتها ورشاقتها والاهتمام بثقافتها ومعرفتها والاهتمام بدائرة أوسع من دائرة الزوج والأولاد الاهتمام بالمجتمع حتى تكون الأربعون عتبة مرمرية تجتازها لتحقيق ما تسمى حقا عمر التفوق والتألق. □



فحص الطفل عند ولادته ضرورة ملحّة

بقلم : الدكتور عمر فوزي نجاري

فرحة الأم بقدوم مولود جديد إلى الأسرة ، ينسيها شهور الحمل الطويلة ، وما صاحبها من مشاكل صحية ونفسية ، ولكي تدوم السعادة لا بد من الإسراع لإجراء كشف طبي مبكر على صحة المولود للاطمئنان على سلامته ، وتجنيبه الكثير من المشاكل التي قد تترتب على إهمال مثل هذه القضية .

يقاس تقدم الأمة ورقيها حسب معايير اجتماعية وثقافية وسياسية واقتصادية وصحية . ولعل المقياس الصحي من أبرز هذه المعايير ، حيث تظهر نسبة المواليد إلى نسبة الوفيات في بلد ما ، مدى رقيّ الأمة وتطورها .

وتكون هذه النسبة عادة منخفضة في البلدان المتقدمة ، فالطفل منذ ولادته يخضع لرقابة صحية جيدة ، واهتمام صحي جيد . كما تشكل الولادات في المستشفيات أكثر من ٩٠٪ في تلك البلدان ، بينما لا تتجاوز هذه النسبة في بلدان العالم الثالث ٥٪ ، وهذا يعني أن غالبية المواليد في البلدان المتقدمة يخضعون منذ الولادة للكشف الطبي المبكر من قبل أطباء مختصين .

بينما لا تتجاوز نسبة الأطفال الذين يكشف عليهم عند الولادة في البلدان النامية ١-٣٪ ، ذلك أن الكشف الطبي الأول للطفل حتى في الولادات التي تتم في المستشفيات لا يشمل جميع الولادات ما لم يطلب الأهل ذلك ، أو ما لم تلاحظ على الطفل مشكلة مرضية .

أسرع للفحص المبكر :

لعل من الضروري هنا التأكيد على أهمية الكشف الطبي المبكر على صحة الطفل الآنية ، وعلى مستقبله الصحي بعامة ، لما قد يكشفه هذا الفحص الأولي من مشاكل صحية قد يكون



● جهاز الكشف عن صحة الطفل داخل رحم الأم.

علاجها الباكر وتدبيرها الآني منقذا لحياة الطفل. وكثيرا ما أتذكر حالات لأطفال تم إنقاذهم من موت كان محققا لو تأخر الأهل بعرض طفلهم على الطبيب، ومن هذه الحالات - على سبيل المثال لا الحصر - طفلة لها من العمر أربعة أيام، راجعني أهلها لأن ابنتهم لم تتغوط على الرغم من مرور أربعة أيام على ولادتها. وبسؤال الأهل تبين لي أن الطفلة تعاني من إقياءات صفراوية مستمرة، وبفحص الطفلة لوحظ وجود انتفاخ في البطن مع كبر حجمه. وبالكشف على فتحة الشرج تبين لي غياب فوهتها، وهذه الحالة تعني وفاة محققة للطفلة ما لم يتم إجراء عمل جراحي إسعافي لها لإيجاد فتحة شرجية للطفلة. وقد تم ذلك وتحسنت حالة الطفلة. وهي الآن تمشي على قدميها

من المسئول ؟

إن الاهتمام بصحة الطفل الوليد يبدأ من تكوينه في رحم أمه، وحتى اكتمال نموه وولادته، ولهذا توصي الحوامل بمراجعة الطبيب بشكل دوري أثناء الحمل، لمراقبة حالهن وتزويدهن بالتعليمات والنصائح المناسبة، ولعل بعض أهم هذه الإرشادات. العناية بالتغذية الجيدة من أجل صحة الحامل والجنين معا، والامتناع عن التدخين والمشروبات الكحولية، لما لها من تأثير ضار على صحة الأم والجنين. وتعد هذه من أهم الأسباب المؤدية للخداج والولادة لأجنة ناقصة الوزن مقارنة مع أقرانهم. وننصح الحوامل بعدم تناول أي دواء دون مشورة الطبيب، خاصة خلال فترة الحمل الأولى لما قد تسببه بعض الأدوية من تشوهات في الأجنة التي كثيرا ما نشاهدها في ممارستنا اليومية.

ولا شك في أن فترة الولادة من أهم الفترات التي تؤثر على المستقبل الصحي للطفل. ولذا يتوجب أن تتم الولادة في المشافي المختصة، وبإشراف اختصاصيين كي يتم اتخاذ الإجراءات الصحية المناسبة في حال حدوث طارئ ما، وهذا ما لا يمكن اتخاذه إذا ما تمت الولادة في منزل ناء أو قرية بعيدة.

تشوهات واضحة

ومن المشاكل التي قد يتعرض لها الأطفال حديثو الولادة ما هو ناجم عن ظروف الوضع كالورم الدموي الناتج عن انضغاط فروة الرأس بين جمجمة الطفل وحوض الأم، ويظهر على شكل انبعاج في قمة الرأس غالبا، وهو انبعاج طري القوام ذو حروف عظمية قاسية الملمس، وغالبا ما يزول هذا الانبعاج تلقائيا خلال فترة قد تصل إلى الأسبوعين ولا يحتاج لأي علاج.

هناك التشوهات الخلقية الولادية، وهي الأسوأ، كالتشوهات المشاهدة في الوجه المعروفة باسم شفة الأرنب، وهي عبارة عن شق في الشفة العليا للطفل قد يمتد فيشمل قبة الحنك وقد يصل إلى اللهاة. ومثل هذا التشوه يحتاج لعلاج جراحي ولعناية تمريضية جيدة.

ومن التشوهات الأخرى المشاهدة ما يعرف باسم الأقدام القفداء الروحاء، وهو تشوه خلقي أيضا يصيب ناحية القدمين، ويظهر بميلان القدم نحو الداخل والأسفل، ويبدو كأن الطفل يقف على حافة قدمه بدلا من أخمصها.

وهذا التشوه يصيب الأنسجة الرخوة للقدم، فإذا أهملت معالجته إلى سن متأخرة، يؤدي إلى تشوه في شكل عظام القدم، ومن هنا كانت المعالجة الباكرة ضرورية جدا، إذ كلما بكرنا في معالجة الطفل كانت المعالجة أجدى.

وأخرى خفية

ومن الأمراض التي قد تصاحب المواليد، أمراض القلب مثلا، كالثقب بين البطينين، والثقب بين الأذينين، وبقاء القناة الشريانية، وهنالك أيضا التشوهات المختلفة التي قد تحدث على مستوى الأنبوب الهضمي كالنواسير العصبية المريئية، وغياب فتحة الأمعاء والانفتالات وغياب فتحة الشرج. وهذه التشوهات الخفية جميعها لا يمكن كشفها إلا من قبل طبيب مختص وقد يكون منقذا لحياة الطفل في بعض الحالات

ومن التشوهات الأخرى المهمة التي قد يتأخر اكتشافها إلى ما بعد الفحص الدوري الأول، وربما الثاني هو خلع الورك الولادي، وهو آفة خلقية مزعجة جدا للطفل وأهله، لما يسببه من اضطراب نفسي، ولما يتركه من تشوه حالي وجسماني، ومن إعاقة لحركات الطفل الطبيعية، هذا إذا تأخر اكتشاف المشكلة وتأخر بالتالي العلاج. وهنالك أيضا رباعي فالو وهو مرض خلقي يصيب القلب، وقد لا يكشف من الفحص الفيزيائي الأول للطفل، إذ غالبا ما يتم اكتشافه بعد فترة من الولادة. وفيه لا يشفى المريض إلا بإصلاح العيب الخلقي جراحيا.

وهنالك أيضا الفتوق على اختلاف أشكالها، كالفتق السري الذي يحدث في منطقة السرة، والذي يتأخر ظهوره إلى ما بعد سقوط السرة لدى الطفل (الفتوق الصغيرة).

أهمية الفحص الدوري:

تتم أهمية الفحص الدوري للطفل خلال السنة الأولى من عمره من إمكانية هذا الفحص في كشف حالات مرضية مبكرا ما أمكن، وبالتالي اتخاذ الإجراءات المناسبة تجاه ما يمكن أن يطرأ على صحة الطفل من تدهور أو انحراف.

ولعل أهم ما في الفحص الدوري هو مراقبة نمو الطفل جيداً، والتدخل لصالح الطفل في حالة ملاحظة أي اضطراب في نموه. □

هو.. هي

هـوس ثقـافي

لا أشك أبدا بذكاء زوجي، ولا أنتقص أبدا من ثقافته، ولا أقلل من حبه للعلم والثقافة والفن، لكن مشكلته كما يبدو لي هي أنه لكثرة متابعاته الثقافية والأدبية نسي الحياة نفسها، واكتفى بالنظريات والأفكار. وبدل أن يعيش الحياة كما هي، عاش مع شخصيات الروايات التي يقرؤها، أو الأفلام السينمائية التي شاهد منها الكثير، وبدل أن يستمع إلى مشكلات الناس الحقيقية وهمومهم وربما أغانيهم، هام عشقا بالموسيقا الكلاسيكية التي لا أشك بقيمتها الفنية الكبيرة، لكنني أعتقد أنها بحاجة إلى أجواء خاصة ومزاج نفسي خاص لسماعها.

وهكذا كان علي منذ بداية حياتنا الزوجية أن أحاربه في كثير من «عاداته» الثقافية الكثيرة، وفي الوقت نفسه بدأت أعمل على التخفيف من هذا «الهوس الثقافي»، وحتى المتابعة التي كانت تتوزع على أكثر من مجال. ودون أن يشعر زوجي وجد نفسه منغمسا في حياة اجتماعية حقيقية، يشاهد المشاكل الزوجية، ويحاول أن يجنبها، ويراقب المشاكل العائلية لأصدقائنا، ويستمع إلى اهتمامات قد لا تكون في عالم الروايات التي كان يقرؤها، ولا في منصة المسرحيات التي كان يشاهدها، أو في رقي الموسيقا التي كان يستمع إليها، لكنها كانت حقيقية وواقعية، والأهم من ذلك كله كانت مفيدة لشاب مثله خبر القراءة، ولم يخبر الحياة، وعاش الخيال قراءة وموسيقا ولم يعش الواقع. وشعرت بالاطمئنان وأنا أشاهد مركب حياتنا الزوجية سائرا بهدوء، حتى كان مجيء طفلنا الأول.

عندئذ قام زوجي بمحاولته الأخيرة ليعود سيرته الأولى، فقد ظن أن الأوان قد آن ليتركني منهمكة في رعاية الطفل، ويعود لمشاهدة الأفلام والمسرحيات، ومتابعة الندوات والمحاضرات، لكنه نسي أنه الآن أصبح مسئولا عن طفل يبدأ خطواته الأولى على طريق الحياة، وأن أطفالا آخرين في الطريق ليساهموا في تعمير الكون ويعطوا للحياة معنى وقيمة. وفي أحد الأيام كان زوجي منهمكا في قراءة رواية عندما بدأ طفلنا بالصراخ، فأغلق الكتاب بهدوء، ونظر إلى الطفل الباكي، ثم حول نظره إلي، وصمت قليلا، ثم تمتم بكلمات لم أفهمها، لكنني ميزت من بين جميع كلماته اسم «فرويد». وقبل أن أسأله عن علاقة كل هذا بفرويد رأيته ينهض ويتوجه للطفل ويحتضنه بحنان.

هي..





نظريّة وتطبيق

لم أكن أتوقع أن تكون النظريات التي نقرأ عنها والأفكار التي تشيع في كتب علماء النفس والاجتماع بعيدة عن الواقع إلى هذه الدرجة .

فقد كنت أعتقد بصحة نظرية فرويد التي تقول : إن حب المرأة لزوجها ينتقل بعد إنجاب الطفل الأول إلى الابن ، وإن الزوج يشعر بأن الاهتمام به بدأ يقل بالتدريج ، حتى يصل حدا قريبا من الإهمال بعد إنجاب مزيد من الأطفال . وأصارحكم بأنني كنت أخاف على نفسي من هذا المصير ، لكنني الآن بت مقتنعا بعكس ذلك تماما .

قبل الزواج كنت أبدو في سباق مع الحياة ، أقرأ وأتابع الجديد في عالم الكتب ، وأستمع إلى المحاضرات والندوات ، وأستمع إلى الموسيقا العربية والكلاسيكية ، وأشاهد الأفلام السينمائية ، وأتابع الجديد في المسرح ، وأحب مشاهدة مباريات كرة القدم .

وقد حاولت أن أبقى هكذا بعد الزواج ، لكنه كان أمرا مستحيلا ، فمع الزواج وجدت نفسي منغمسا في عدد كبير ومتداخل من العلاقات الاجتماعية المتشابكة ، بأصدقائي ، وزملائي ، وأقاربي ، وصديقات زوجتي وزميلاتها وأزواجهن . بالطبع كان من المستحيل استمرار متابعاتي تلك بالوتيرة نفسها ، فبدأت بالتدقيق في اختيار الأفلام السينمائية والمسرحيات التي كان علي مشاهدتها مع زوجتي ، وأوقفت الاستماع للموسيقا الكلاسيكية التي لا تحبها ، وتوقفت عن مشاهدة مباريات كرة القدم ، لأن زوجتي لا تطيقها ، وخفضت عدد المجلات والصحف التي كنت أقرؤها ، وأقلعت عن متابعة المحاضرات والندوات ، فلا مكان في الحياة الزوجية لكل هذا . لكنني كنت أقول لنفسي : إن هذا أمر مؤقت ، فما أن يأتي طفلنا الأول حتى تنشغل زوجتي به ، وأعود سيرتي الأولى . غير أن ما حدث كان العكس تماما .

لأن الطفل بحاجة إلى رعاية دائمة لذا فقد أضيفت إلى مهماتي بعض شؤون البيت ، والأعمال والشراء التي تزداد مع قدوم الطفل ، ولم أعد أستطيع الخروج للسينما أو للذهاب إلى المسرح ، أو متابعة الندوات ، لأنني يجب أن أبقى مستعدا لأي طارئ قد يحدث للطفل ، ولم أتمكن من الاستماع للموسيقا الكلاسيكية لأنها تزعج الطفل النائم وحتى قراءتي لم أتمكن من مواصلتها كما كنت آمل بسبب بكاء الطفل في أوقات غريبة ، اعتقدت فترة أنها كانت بتحريض من زوجتي .

ومع أنني كنت أخشى إهمال زوجتي لي بعد الطفل الأول والاهتمام به ، فإنه قد جاء علي وقت ، كدت أصرخ فيه متمنيا أن يكون فرويد على حق .

..مهو



ضغط الدم المرتفع
ماذا لو أهملنا علاجه ؟

بقلم : الدكتور حسن فريد أبو غزالة

كثير من الناس قد يخطئون في توهمهم بأن ضغط الدم مرض من أمراض الإنسان ، لأن الحقيقة أننا جميعاً لا حيلة لنا أن نعيش بمعزل عن ضغط الدم ، فهو الضمان الوحيد لتدفق أسباب الحياة واستمراريتها في كل خلية من خلايا الجسم ، حاملاً معه الغذاء والأكسجين ، ناقلاً معه الفضلات في أوبته . وربما قصدوا أن يعبروا عن ارتفاع ضغط الدم عن معدله الطبيعي لتفاهم التعبير وقالوا : ضغط الدم .

وما دام هناك قلب ينبض ، وهناك دم يتدفق ، وشرايين لها جدران ذات عضلات تنقبض وترتخي ، فلابد أن يكون للدم ضغط ، لهذا سنزيد أحد هذه العوامل عن حده للمحصلة هي ارتفاع ضغط الدم عن معدله ، وإنما سائلين تمسكت أسباب الحياة .

والأطباء يتجهون إلى القناعة بأن موطن العلة هو ضيق يعتري الشرايين الطرفية ، ذات المقاطع الصغيرة والمتوسطة في دورة الدم العامة في الجسم ، ولهذا فلا موضع لضغط الدم المرتفع في الأورطا أو الأوعية الشعرية أو الدورة الرئوية . كما يحدد الحد الأقصى لضغط دم إنسان بالغ طبيعي سليم هو ١٥٠ مليمتراً من الزئبق عند انقباض عضلة القلب . هذا ما نسميه بالضغط الانقباضي ، وبمقدار ٩٠ مليمتراً من الزئبق للضغط الانبساطي الذي يتوافق مع ارتخاء عضلة القلب .

والواقع أن ضغط دم الطفل عند ولادته يكون منخفضاً بما يقدر بحوالي ٧٥ مليمتراً من الزئبق للضغط الانقباضي ، و ٤٠ مليمتراً من الزئبق للضغط الانبساطي ، ويعبرون عنه بكسر بسطه الضغط الانقباضي ، ومقامه الضغط الانبساطي ، ثم يزداد ارتفاعاً مع تقدم العمر وتوالي السنوات .

قد يذهب فريق من الأطباء إلى إطلاق اسم المرض الصامت على ضغط الدم المرتفع ، لأن الحالة قد لا تصاحبها أعراض ولا علامات محددة واضحة المعالم تدل عليه ، وإنما هو قياس ضغط الدم العابر الذي يكشف عن هذه الحالة مصادفة ، أما الأعراض والعلامات فتأتي متأخرة ، عند استفحال المرض ، بل ربما تكون مضاعفات خطيرة لا تحمد عقباها ، لهذا نصحوا وشددوا في نصيحتهم بضرورة الكشف المبكر والفحص الدوري .

مضاعفات القلب :

في بداية الأمر تتضخم عضلة القلب ، حتى تتغلب على المقاومة الطرفية لدورة الدم ، بسبب ضيق الشرايين الصغيرة ، كما أحدثه

الانقباض عضلات جدرانها ، ولكن دون جدوى ، وإذا ما استمر الحال وتفاقم الأمر ، وزاد ضغط الدم ارتفاعاً عن ذي قبل ، تعجز عضلة القلب عن المجاراة ، لتستسلم وتسترخي وتصاب بهبوط ، وهذا هو فشل القلب الذي يعرف بهبوط القلب على ألسنة عامة الناس ، مما قد يكون سبباً شائعاً للوفاة بعد طول معاناة .

مضـاعفـات الأوعيـة الدموية :

في علم الطبيعة قانون يؤكد أن لكل فعل رد فعل ، وهكذا فزيادة ضغط الدم داخل تجويف أنبوبة الشريان تدفع عضلات الجدار إلى مزيد من الانقباض ، مما يؤدي إلى مزيد من ضيق مجرى الوعاء الدموي ، فيصل الحال إلى أمرين أولهما حلقة مفرغة من زيادة ضغط الدم ، وثانيهما دمار جدار الوعاء الدموي ، وموت عضلاته ، بل ربما انتهى الأمر إلى انفجار بعد تمزق ، أو إلى حدوث تحدّب وانتفاخ ، يعرف باسم « الأنيوريزم » في لغة الطب .

إن العلاج المبكر المتواصل يكبح جماح ارتفاع ضغط الدم ، حتى لا يفلت الزمام من صاحبه ، كما يتطلب مواصلة العلاج واستمرارية الكشف الطبي طوال الحياة لدى طبيب مختص ، يتولى الإشراف الطبي ، وقياس ضغط الدم ، واستطلاع حال المصاب احترازاً من المضاعفات التي قد تداهم صاحبها دونما توقع ، ودون أعراض وعلامات سابقة للخطر واضحة المعالم تنذر بوقوعه .



علاج ضغط الدم المرتفع :

القاعدة الذهبية في الطب تؤكد أن علاج المرض يبدأ من البحث عن سببه ولو تفحصنا أسباب ارتفاع ضغط الدم لطالعتنا حقيقة غريبة ملحة هي : أن مابين ٨٠ - ٩٠٪ من المصابين بارتفاع ضغط الدم لا تتبين لحالتهم سبباً محدداً أبداً ، وهذا النوع يطلق عليه في الطب اسم ارتفاع ضغط الدم الأساسي أو الأولي ، وهنا يتركز العلاج على تخفيض منسوب ضغط الدم ، والعودة به إلى الحدود الطبيعية بأي وسيلة تناسب وحال المريض وعمره .

ربما كانت هناك بعض العوامل التي يشار إليها بأصبع الاتهام ، أكدت الملاحظات مشاركتها في ترسيب المعاناة بضغط الدم المرتفع ، وهذه تؤخذ باعتبار الطبيب المعالج ، غير أن النظريات والاجتهادات لتفسير ارتفاع ضغط الدم تبقى مستثناة من الاعتبار عند علاج ضغط الدم المرتفع .

أما البقية الباقية وهم القلة من المرضى ، فقد نجد لارتفاع ضغط الدم لديهم سبباً محدداً ، فيصبح علاج هذا السبب - لو أمكن - كفيلاً بعلاج ارتفاع ضغط الدم بالتبعية ، وهذا هو ما نسميه « ارتفاع ضغط الدم الثانوي » .

فإذا ماعمدنا إلى ذكر العلاج فلابد أن نعود إلى تأكيد البحث عن السبب واستئصاله أولاً ، غير

أن هناك طرائق عديدة أخرى، لايمكن الاستغناء عنها. خاصة إذا ماتعذّر معرفة السبب في ارتفاع ضغط الدم كما هو الحال مع ارتفاع ضغط الدم الأساسي أو الأولي، ومنها:

أولاً: محاولة التخفيف من ضغوط الحياة على المصاب، سواء الضغوط النفسية، أو الاجتماعية، أو الجسمانية، وهذا يتطلب معونة الأهل والتجمع مع الأسرة الطبية بالإضافة الى المختصين في علمي النفس والاجتماع.

ثانياً: تخفيض وزن المريض، والالتزام بحدود الأوزان الطبيعية للعمر والجنس، فالبدانة رفيق درب مستحب لارتفاع ضغط الدم.

ثالثاً: الامتناع عن تعاطي ملح الطعام أو التقليل منه بأقصى قدر ممكن، بعد أن ثبتت التهمة عليه في المساهمة في رفع ضغط الدم. والشعوب المسرفة في تناول ملح الطعام هم أكثر ضحايا هذه الحالة.

رابعاً: العقاقير، وهذه أمرها معقد ومتشعب: تدخل في نطاق اختصاص الطبيب المعالج، وهي تتراوح بين مدرات البول وبين العقاقير التي تعطل التغذية العصبية لجدران الأوعية الدموية التي تؤدي إلى توترها وانقباضها، فيصاب الإنسان بما يعرف باسم «بيتا بلوكر»، بالإضافة الى هذا قائمة طويلة من العقاقير المهدئة للتنفس وتهدئة القلب، والعقاقير التي ترخي الشرايين وتوسع مجراها وتحد من مقاومتها لسريان الدم.

إن الأمر الذي يجب أن يدركه المصاب هو ضرورة الالتزام بما يحدده الطبيب المعالج من أدوية، وربما ينصح به، حيث لابد من الانتظام في المواعيد والاستمرارية في أخذ العلاج.

إن مريض أمراض ضغط الدم المرتفع عليه أن يتصادق مع مرضه، وأن يتحلى بالصبر الجميل على مواصلة العلاج سنوات طويلة متتالية، بل ربما كانت رفيقة العمر كله في حال يصعب الحكم فيها بإمكانية الشفاء منها أو الخلاص من براثنها.

فربما يأتي ارتفاع ضغط الدم وهو لايحمل في حد ذاته لصاحبه مشاكل ولا أعراضاً، كما يغري المصاب بالإهمال والتراخي، غير أن الغاية دائماً من العلاج هي الحذر من غدر المضاعفات التي لاترحم.



الرجال وسرطان الثدي

السيد غالب عبده ـ الاسكندرية ـ جمهورية مصر العربية

أمر سرطان الثدي مألوف ومعروف لدى النساء، لكنه لم يعهد في عالم الرجال، واحتماله نادر، والأندر منه أن يصيب السرطان كلا الثديين معاً.

وسرطان الثدي يظهر في أكثر من صورة، لكنه ينمو تدريجيا، والأغلب أن يكون صامتا بلا ألم، وتشخيصه يقوم على الشبهة، ولا يملك أي طبيب أن يؤكد الإصابة به، إلا بعد فحص عينة من الورم، تثبت وجود تغيرات سرطانية.

والصورة التي تصف بها معاناتك تبدو بعيدة كل البعد عما تتوهم، والأفضل لك استشارة طبيب مختص، ليحسم لك الأمر، وننصح بألا تذهب بعيدا مع المعاناة في صحبة الأوهام.

السيد/ عارف [illegible] ـ حماة ـ سورية

تلوُّن الجلد واحمراره في منطقة العجان، يوحي بالإصابة بعدوى فطرية، وهو أمر بحاجة الى كشف طبي، وعلاج مناسب، ولابد من استشارة اختصاصي الأمراض الجلدية، لكنه لا يستوجب القلق. □



عـــــودة

للوهلة الأولى بدت «قريتي» هي «الريفي»، المدخل المؤدي إلى ساحتها، والسراي القديم الذي بقي شاهدا على وجود السلطة في هذه القرية النائية، وبعض المنازل التي كسر الألفة بيني وبينها تقادم العهد بها، واستحالة لونها، ونمو الأعشاب بين حجارتها غير المتنظمة، وإلى جانبها انتصبت بيوت ومنازل جديدة نضرة البنيان، وارتفعت مبان عرفتها منخفضة، وزالت مبان أخرى، وشقت شوارع عريضة في القرية الصغيرة، فتغيرت وجه الأزقة التي عرفتها جيدا، وتحولت الفسحات التي كانت ملاعب لأطفال ذلك الزمن إلى ساحات رحبة حديثة التصميم.

كانت تلك هي الزيارة الأولى «لقريتي» بعد أكثر من عشرين عاما. «وقريتي» هي الاسم الذي أطلقته على هذه القرية التي عملت فيها خلال سنوات دراستي الجامعية.

لم أحاول نسج علاقات مع أحد أو مصادقة أحد من أهل القرية، فقد كنت مهتما بدراستي الجامعية وبرامجي الخارجية أكثر من الاهتمام بإقامة علاقات اجتماعية، وكنت أكثر ميلا لمراقبة القرية وهي تستيقظ مع ساعات الفجر الأولى، ومشاهدة الحياة تدب في جسدها النائم.

لكن أهل القرية أصروا على انتزاعي من هذه الحالة غير المألوفة لديهم، إلى أن نجحوا في إدخالي إلى عالمهم القروي البسيط، وكأنما بترتيب مسبق وجدت الجميع يخاطبونني باعتباري واحدا منهم، ويشيرون إلى قريتهم باعتبارها قريتي. ووجدت نفسي الحاضر الدائم في أماكن سهرهم، وليالي سمرهم، ومجالسهم الخاصة. وحين كان علي أن أغادر القرية لم أكن أتوقع، ولا كانوا هم يصدقون، أن الغياب سيستمر أكثر من عشرين عاما.

ووقفت أتأمل وجه «قريتي» الذي تغير، راقبت المارة والعابرين الذين بدت هيئاتهم لأول للسير مألوفة لدي، وخطواتهم وملامحهم ليست غريبة عني، لكنهم لم يكونوا أهل قريتي الذين عرفتهم.

عرفت البيوت والشوارع القديمة، لكنها لم تعرفني، وعرفت مدخل القرية ومخارجها، وطريق المدرسة، وطريق الكروم القريبة، وطريق المدينة المجاورة، لكنها لم تألفني. هل هو تواطؤ الزمان مع المكان احتجاجا على رفضي حضن قريتي، أم هو عقاب لي على خيانة عهد لم يكتب مع «قريتي» التي غادرتها كل هذه السنين؟ ☐

صلاح حزين

جمال العربية

صفحــة لغــة

بقلم : الدكتور حسن عباس

التصحيف والتحريف

الصحيفة هي التي يكتب فيها ، والجمع على صحف وصحائف . وقد جاء في التنزيل : « إنّ هذا لفي الصُّحُفِ الأُولَى صحف إبراهيمَ وموسى » ، ومعناها الكتب التي أُنزلت عليهما . والصحيفة إذ تجمع على صحف فذلك من باب جمع فَعِيلَةٍ على فُعُل ، كسفينة وسُفُن . والمُصَحِّف والصَّحَفِيُّ هو الذي يروي الخطأ عن قراءة الصحف . أما التصحيف فهو الخطأ في الصحيفة . قال فيه المعري : أصل التصحيف أن يأخذ الرجل اللفظ من قراءته في صحيفة ، ولم يكن سمعه من الرجال ، فيغيره عن الصواب ، وقد وقع فيه جماعة من الأجلاء من أئمة اللغة وأئمة الحديث ، حتى قال الإمام أحمد بن حنبل : ومن يَعْرى من الخطأ والتصحيف ؟ لذلك نجد التصحيف يقل في مواضع ويكثر في أخرى ، على أن هذا الموضوع لا يخلو من طرائف وقع فيها المُصَحِّفون ، ثم انبرى بعض أئمة الأدب واللغة إلى حصرها وتصنيفها ، وقد وجدنا في بعضها فائدة لغوية فضلا عن طرافة . وإنما الذي ساعد على شيوع التصحيف قديماً أن العرب لم يكونوا يعجمون الحروف ، فلما أعجموا - أي وضعوا النقاط - زال اللبس ، وبان المعنى ، فاختفى التصحيف أو كاد . ومن هنا جاء القول الشائع : « يضع النقاط على الحروف » ، أي يبين المعنى بتحديد اللفظ وإزالة اللبس .

من ذلك ما جاء في كتاب « التصحيف » حيث يقول الأصمعي ، وهو من المتقدمين في رواية الشعر : « كنت في مجلس شعبة ، فروى الحديث ، فقال : تسمعون جرْش طير الجنة (بالشين) . فقلت : جَرْس ، فنظر إليَّ وقال : خذوها منه ، فإنه أعلم بهذا منا . والجَرْس هو الصوت ويقال : أجرس الحادي إذا حدا للإبل ، أي أصدر صوتاً .

وقد قرأ الأصمعي أيضاً على أبي عمرو بن العلاء شعر الحطيئة ، فقرأ قوله :

وغــررتني وزعمتَ أنـ . . . ـك لابنٌ بالصيف تامِرْ .

أي كثير اللبن والتمر ، فقرأها « لاتني بالضيف تأمُر » ، وهو يريد بذلك أنك لا تتوانى عن ضيفك تأمر بتعجيل القِرى إليه .

فقال له أبو عمرو : أنت والله في تصحيفك هذا أشعر من الحطيئة !

وقد روى أبو بكر بن الأنباري عن أبيه قوله : قرأ القُطْرُبُلِّي المؤدب على ثعلب بيت الشاعر الأخطل :

فلو كنت في جُبٍّ ثمانين قامة
ورُقِّيت أسباب السماء بسُلَّم

فقرأ في « حَبّ » (بالحاء المهملة) فقال له ثعلب : خرب بيتك ! هل رأيت حباً قط ثمانين قامة ! إنما هي « جُبٌّ » .

وفي كتاب « نزهة الألباء » قال أبو الحسن الطوسي : « كنا في مجلس اللحياني ، وكان عازماً على أن يملي نوادر ضعف ما أملى ؟ فقال يوماً . تقول العرب : مثقل استعان « بدفّيه » . فقام إليه ابن السكيت وهو حدث (صغير) وقال : يا أبا الحسن ، إنما تقول العرب : مثقل استعان « بدفّيه » ، وهم يريدون أن الجمل إذا نهض بالحمل وهو مثقل استعان بجنبيه . فقطع الإملاء . فلما كان في المجلس الثاني أملى : تقول العرب هو جاري « مكاشري » . فقام إليه ابن السكيت أيضاً وقال : أعزك الله ! وما معنى مكاشري ! إنما هي « مكاسري » (بالسين المهملة) أي كسر بيتي إلى كسر بيته . قال فقطع الإملاء . فما أملى بعد ذلك شيئاً !

وجاء في كتاب « ليس » لابن خالويه : سائر كلهم قالوا . قد بلغ فيه الشيب ، إذا وخطه بعضه (وهو أول ما يظهر من الشيب) إلا ابن الأعرابي ، فإنه قال بلغ (بالغين المعجمة) وصحّف . وهذا الكلام يجري على رؤبة ، وذلك أنه قال ليونس النحوي : إلى كم تسألني عن هذه الخزعبلات . . . وقد بلغ منك الشيب .

ويرد في كتاب « الأمالي » لأبي علي القالي قول الأعشى :

نـروح عـلى آل المحلّق جفنـة
كجابية « الشيخ » العراقي تفهق

وكان أبو عمرو يرويه كجابية (السيح) ويقول : « الشيخ » تصحيف ، والسَّيح هو الماء الذي يسيح على وجه الأرض .

وجاء في كتاب ابن خالويه أيضاً :

جمع المفضل والأصمعي مجلس فأنشد المفضل

وذات هِـدْم عـارٍ نـواشـرُها
تُصمِتُ بالماء تولباً جَدِعا

فقال الأصمعي : صحّفت ، إنما هو جَدِعاً ، أي سيء الغذاء ، فصاح المفضل ، فقال له : والله لو نفخت في ألف شبور ما أنشدته بعد هذا إلا بالدال . أما لسان العرب فيورد في مادة جَدَع الشرح التالي : جدع الغلام يجدع : ساء غذاؤه .

وقال الزبيدي : حدثني قاضي القضاة منذر بن سعيد قال : أتيت أبا جعفر النحاس فألفيته يملي في أخبار الشعراء شعر قيس بن معاذ المجنون حيث يقول :

خليليّ هل بالشام عينٌ حزينةٌ
تبكي على نجدٍ لعلّ أعينها
قد أسلمها الباكون إلا حمامة
مطوّقة باتت وبات قرينُها

فلما بلغ هذا الموضع قلت : باتا يفعلان ماذا ؟ أعزك الله ! فقال لي : وكيف تقول أنت يا أندلسي ؟ فقلت : بانت وبان قرينها . ويروي ابن فارس في المجمل عن ثعلب بيتاً أنشده أبو عمرو بن العلاء :

فما جَبُنوا أنّا نَشُدُّ عليهمُ
ولكن رأوا ناراً تُحشُّ وتسفعُ

قال : فذكرت ذلك لشعبة فقال : ويلك ! إنما هو

فما جَبُنوا أنّا نَشُدُّ عليهم
ولكن رأوا ناراً تحشّ وتسفعُ

قال الأصمعي : وأصاب أبو عمرو وأصاب شعبة . ولم أر أحداً أعلم بالشعر من شعبة . أما المعنى فهو : تحشّ : توقد ، وتحش : تحس وتشوى ، وكلاهما تفيد معنى .

وذهب أبو عبيد في قولهم « في عن هذا الأمر مندوحة » ، أي متسع ، إلى أنه من قولهم : انتدح بطنه ، أي اتسع ، وهذا غلط وتصحيف ، لأن الانتداح : العمل ، وتركيبه مندوح ومندوحة على وزن مفعولة ، وهي من تركيب ندح . والندح : جنب الجبل وطرفه وهو إلى السعة ، وجمعه أنداح . أفلا ترى إلى هذين الأصلين تبايناً وتباعداً ؟ فكيف يجوز أن يشتق أحدهما من الآخر ؟ □



□ صفحة شعر

□ هكذا غنى الآباء

عذلتُ أهلَ العشقِ حتى ذقتُه !

للمتنبي

يحار من تناط به مهمة اختيار قصيدة من جيد شعر المتنبي . فإذا تصفح الديوان وقف أمام عيون الشعر ودرر الكلام وفرائد الحكمة ، لا يعرف أي القصائد يختار وأيها يدع . ولكن الذي يغري في هذه القصيدة التي وقع عليها الاختيار أنها تحمل من خصائص شعر المتنبي الكثير .

والمتنبي هو شاعر العربية الأشهر ، ظل على ألف عام أو أكثر شغل الناس ، وموضع الإعجاب والخصومة ، في مختلف الأجيال . وحول شعره ونفسه الكبيرة يحتدم النقاش والجدل . وما أكثر الآراء التي قيلت فيه ، والأوصاف التي خلعت عليه . إنه أحمد بن الحسين . . الكوفي الشاعر المعروف بالمتنبي . كان أبوه يعرف بعيدان السقا . وكان مولد أبي الطيب في الكوفة سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م . واختلف في تسميته المتنبي ، منهم من عزا ذلك إلى ادعائه النبوة ، ومنهم من قال غير ذلك . كان « يخبط القبائل » كما قال عن نفسه ، أي يتنقل بينها ، وانتقل كذلك إلى بغداد وحلب وغيرها من بلاد الشام ومصر وبعضا من بلاد فارس .

قال هذه القصيدة في صباه يمدح بها أبا المنتصر ، شجاع بن محمد ، ولم يقتصر فيها على المديح ، بل جاوزه إلى وصف حاله وهو المحب العاشق . وانتقل إلى الحديث عن الحكمة التي استمدها من تاريخ الغابرين ، حتى بلغ الغاية من القصيدة وهي المديح . والقصيدة تفيض حيوية واندفاعا وإقبالا على الدنيا . ها هو يخوض تجربة الحب بكل تبعاتها من سهد وأرق ، حتى تبلغ فيه الصبابة غايتها واكتمال معناها ، فإن غاية الشوق أن يبدو المحب على النحو الذي تصوره أبيات القصيدة ، وهو شوق تكاد نار النفس عن أن تحرق بمثل ما تحرق ناره ، وتنطفيء دونه ! وتعمل عوامل الطبيعة على إذكاء تلك النار ، فإذا لمع البرق ، أو تغنى الطائر ، أعادت له الذكرى حية قوية على أشد ما تكون الحياة والقوة .

ينتقل الشاعر بعد هذه المقدمة نقلة مفاجئة إلى الحكمة ، فيرى أن الناس يتهمون في منازل يفرق أهلها عنها بالموت . ويضرب المثل بالملوك الغابرين ، ممن جمعوا الأموال الطائلة ، وحشدوا الجيوش الجرارة ، فذهبوا وذهبت ، وانتهى المطاف بهم إلى قبور ضيقة ، ورين عليها صمت حزين ، كأن الكلام قد حرم على أهلها . والحكمة المستفادة من ذلك كله هي أن الموت آت وإن كانت النفوس عزيزة ، والعاقل الفطن من لا يغتر بما جمع أو حشد .

يقف الشاعر وقفة قصيرة عند ذكر الشباب ، فيذكر فيه سواد الشعر قبل المشيب ، ونضارة الوجه وحسنه ، فيبكي هذا الشباب قبل زواله ، حتى يكاد جفنه يضيق بدموعه .

يجتمع للقصيدة كما بدت لنا صفات من القوة والضعف ، على أن صفات القوة فيها أظهر وأرجح ، فهي - على جزالة ألفاظها وفصاحة لغتها - سهلة يسيرة المنال ، وقد توافر لها من الصور الشعرية ومن الحكمة ما يضعها في مصاف روائع المتنبي ، ولكن انتقالها المفاجيء من وصف إلى وصف ، ومن أجواء شعرية إلى أخرى ، دون تمهيد ، هو أكثر ما يؤخذ عليها .

أرقٌ على أرقٍ ومثلي يأرقُ ... وجوًى يزيدُ وعبرةٌ تترقرقُ[1]

جهدُ الصبابةِ أن تكونَ كما أرى ... عينٌ مسهدةٌ وقلبٌ يخفقُ[2]

ما لاحَ برقٌ أو ترنّمَ طائرٌ ... إلا انثنيتُ ولي فؤادٌ شيّقُ[3]

جرّبتُ من نارِ الهوى ما تنطفي ... نارُ الغضى وتكلُّ عما تحرقُ

وعذلتُ أهلَ العشقِ حتى ذقتُهُ ... فعجبتُ كيفَ يموتُ من لا يعشقُ

وعذرتُهم وعرفتُ ذنبي أنني ... عيّرتُهم فلقيتُ فيه ما لقوا

أبني أبينا نحنُ أهلُ منازلٍ ... أبدًا غرابُ البينِ فيها ينعقُ[4]

نبكي على الدنيا وما من معشرٍ ... جمعتهمُ الدنيا فلم يتفرّقوا

أينَ الأكاسرةُ الجبابرةُ الألى ... كنزوا الكنوزَ فما بقينَ ولا بقوا

من كلِّ من ضاقَ الفضاءُ بجيشِهِ ... حتى ثوى فحواهُ لحدٌ ضيّقُ[5]

خرسٌ إذا نودوا كأن لم يعلموا ... أنّ الكلامَ لهم حلالٌ مطلقُ

فالموتُ آتٍ والنفوسُ نفائسٌ ... والمستغرُّ بما لديهِ الأحمقُ

والمرءُ يأملُ والحياةُ شهيّةٌ ... والشيبُ أوقرُ والشبيبةُ أنزقُ

ولقد بكيتُ على الشبابِ ولمّتي ... مسودّةٌ ولماءِ وجهي رونقُ[6]

حذرًا عليهِ قبلَ يومِ فراقِهِ ... حتى لكدتُ بماءِ جفني أشرقُ

أمّا بنو أوسِ بنِ معنِ بنِ الرضا ... فأعزُّ من تحدى إليهِ الأينقُ[7]

كبّرتُ حولَ ديارِهم لما بدتْ ... منها الشموسُ وليسَ فيها المشرقُ

وعجبتُ من أرضٍ سحابُ أكفّهم ... من فوقِها وصخورُها لا تورقُ

وتفوحُ من طيبِ الثناءِ روائحٌ ... لهمُ بكلِّ مكانةٍ تُستنشقُ

مسكيّةُ النفحاتِ إلا أنّها ... وحشيّةٌ بسواهمُ لا تعبقُ

أمريدَ مثلِ محمدٍ في عصرِنا ... لا تبلنا بطلابِ ما لا يُلحقُ

لم يخلقِ الرحمنُ مثلَ محمدٍ ... أبدًا وظنّي أنّهُ لا يخلقُ

يا ذا الذي يهبُ الجزيلَ وعندَهُ ... أنّي عليهِ بأخذِهِ أتصدّقُ

أمطرْ عليَّ سحابَ جودِكَ ثرّةً ... وانظرْ إليَّ برحمةٍ لا أغرقُ

كذبَ ابنُ فاعلةٍ يقولُ بجهلِهِ : ... ماتَ الكرامُ وأنتَ حيٌّ ترزقُ

□

---

(١) - الأرق : فقد النوم . والجوى : الحرقة ، من حزن أو عشق . (٢) - الجهد : الطاقة والوسع . الصبابة : رقة الشوق . (٣) - انثنيت : رجعت . (٤) - أبني أبينا : يا إخواننا . (٥) - لحد : قبر . (٦) - اللمة من الشعر : ما جاوز شحمة الأذن . (٧) - الأينق : النياق ، جمع ناقة .



بقلم : الدكتور عبداللطيف الرجال*

لم يجد العلماء والأطباء وسيلة لتحسين صحة الإنسان وتخفيف آلامه إلا سعوا إليها بالبحث والتجربة والتطوير . وهاهو العلم يقتحم مجال نقل نخاع العظم (نقي العظم) من شخص إلى آخر . فكيف تتم هذه العملية الخطيرة ؟ وإلى أي مدى يتحقق لها النجاح ؟

لقد بدأت عمليات نقل نخاع العظم في الغرب في أواخر الخمسينيات ، وأوائل الستينيات ، في محاولة معالجة مرضى سرطان الدم (اللوكيميا) . ثم سعى الباحثون والأطباء لتطوير هذه العمليات ، واستخدام نتائجها في علاج أمراض أخرى ، غير سرطان الدم ، وحققوا إنجازات أولية جعلت السعي مستمرا ومطلوبا .

وعملية نقل نخاع العظم من العمليات التي تحتاج إلى عناية طبية فائقة ، وتعتمد على التحاليل المخبرية المكثفة ، في مراحل تحضير المريض للعملية وأثنائها ، ثم متابعة نتائجها ، وهي تحتاج إلى مدة علاج طويلة ، أدناها أربعون يوما ، وقد تصل هذه المدة إلى خمسة شهور كاملة أو ستة ، ولذلك كانت كلفتها عالية ، بالإضافة إلى أن غرفة العمليات لاتستخدم بأدواتها إلا مرتين فقط ، حرصا على عدم انتقال العدوى ، بأي وسيلة كانت ، لأي إنسان آخر ، أو حدوث اختلاطات للمريض أثناء إجراء العملية ، حيث تكون مقاومته شبه معدومة خلال هذه الفترة ، نتيجة لتدمير كريات الدم البيضاء المريضة التي تقوم بهذا الدور الحيوي . المرة الأولى عند سحب النخاع من المتبرع للمريض ، وهو لايخرج أبدا عن دائرة أقاربه من الدرجة الأولى ، والمرة الثانية

* استشاري طب الأطفال بمستشفى الملك فيصل التخصصي بالرياض - السعودية .

عند زرع النخاع في جسم المريض ، كما أنه يراعى عند إجراء هذه العملية ، منذ مراحلها التحضيرية وحتى نهايتها ، أن يكون جميع أفراد الفريق الطبي القائم بها ، بدءا من فني المختبر والأشعة وانتهاء بالأطباء ، معقمين تعقيما كليا خلال تعاملهم مع المريض . والعملية في حد ذاتها بسيطة جدا ، لاتحتاج إلى استخدام مبضع الجراح ، وإنما إلى استخدام إبرة خاصة لسحب نخاع العظم من عظم الورك ، تحت التخدير العام من المتبرع ، ثم زرعه عن طريق الحقن بالإبرة في المريض .

واحتمالات حدوث تعقيدات صحية ، كاحتمال حصول فشل كلوي أو رئوي أو كبدي أو حتى فشل الدورة الدموية ، أو احتمال حصول رفض الجسم للنخاع الغريب عنه بشكل حاد أو مزمن . كل هذه الاحتمالات تفرض ، بالإضافة إلى العناية والمتابعة المستمرة ، استخدام علاجات وأدوية خاصة عالية الكلفة .

ولقد أصبح إجراء هذه العملية يتم بشكل « روتيني » في بعض المستشفيات في الولايات المتحدة ودول أوربا الغربية والشرقية واليابان . وفي الوطن العربي يكاد يكون مستشفى الملك فيصل التخصصي بالرياض هو المركز الطبي العربي الوحيد الذي تجرى فيه هذه العملية (على حد علمي) .

لماذا ينقل النخاع ؟.

وهذه العملية تجرى لعلاج عدد من الأمراض التي كان يصعب علاجها من قبل ، ومنها :

أولا : السرطان ، وبخاصة سرطان الدم الذي يسمى أحيانا ابيضاض الدم « Leukemia » ، والورم اللمفاوي ، وهما الدافع الأول ، والأكثر شيوعا ، لإجراء مثل هذه العمليات ، وعادة تجرى العملية لعلاج بعض أنواع ابيضاض الدم ، وليس لجميع أنواعه ، وكذلك تتم عند وصول المرض إلى مرحلة معينة من السيطرة عليه ، وهنا يمكن أن يكون المريض نفسه هو المتبرع ، وقد يكون أحد أقرب الأقارب مثل الأخت أو الأخ ، وأحيانا يمكن أن يكون المتبرع أحد الوالدين ، ويندر أن يكون أحد الأقارب من خارج هذه الدائرة صالحين لاستخدامهم متبرعين .

ثانيا : بعض الأمراض التي يرافقها خطر يهدد الحياة ، نتيجة عجز نخاع العظم عن إنتاج نوع أو أنواع من الخلايا ، مثل فقر الدم اللاتنسجي « Aplastic anemia » ، وهو فقر الدم الناتج عن عدم مقدرة إنتاج نخاع العظم « Stem cell » ، وهذا النوع من فقر الدم يكون غاية في الشدة ، حيث يؤدي إلى عدم قدرة نخاع العظم على إنتاج الأنواع الرئيسية الثلاثة ، وهي : الكرات الحمراء ، والكرات البيضاء ، والصفائح . والمريض يكون بحاجة إلى أن يزود بهذه الخلايا الثلاث بشكل مستمر ، إذا لم يتم علاج هذا المرض .

وحاليا توجد طرق مختلفة لمعالجة هذا المرض ، غير عملية زرع نقي العظام ، مثل استخدام عقاقير مثبطات المناعة . وكذلك تستخدم عملية نقل نخاع العظم في مرض نقص المناعة المرتبطة « Sever Combined immune deficiency » ، حيث يفقد نخاع العظم القدرة على إنتاج الخلايا اللمفاوية . ومرض تصخر العظم ، حيث يفقد نخاع العظم المقدرة على إنتاج الخلايا العظمية . وغيرها من الأمراض المختلفة التي سببها عدم قدرة نخاع العظم على إنتاج خلايا معينة ضرورية أساسية لاستمرار الحياة ، بحيث تستحيل الحياة أو تصعب بدونها .

ثالثا : بعض الأمراض الوراثية « Genetic D » تؤدي إلى إنتاج خلايا غير طبيعية من نخاع العظم ، مثل الثالاسيميا (فقر دم حوض البحر الأبيض المتوسط) أو نتيجة لنقص أنزيم .

رابعـا : بعض الأورام الصـلبـة ، وبعض الأمراض المتفرقة .

كيفية إجراء العملية :

بعد التأكد من أن المريض بحاجة ماسة إلى عملية نقل نخاع العظم ، سواء منه نفسه ، كما في حالات السرطانات ، أو من غيره من بعض الأقارب ، تجرى تحليلات بسيطة لجميع أفراد أسرته ، لمعرفة نوعية الأنسجة . وإذا وجد المتبرع المناسب ، يتم فحصه سريريا ومخبريا ، للتأكد من خلوه من الأمـراض ، ثم تشرح العملية بخطواتها ، وأهميتها وملابساتها للمريض وأهله وللمتبرع ، والتأكيد على أن المتبرع لنخاع العظم لايتعرض إلى أي مخاطر ، سوى مخاطر التخدير العام ، وهي نادرة الحدوث ، ونسبة خالية في البساطة ، وأن المتبرع بنخاع العظم مثل المتبرع بدمه ، يعوضه الجسم بسرعة وبدون أي مشاكل ، ويلزم للمتبرع دخول المستشفى يوما واحدا فقط ، أو يومين على الأكثر ، لسحب نخاع عظمه .

وقبل إعطائه للمريض ، يجب أن يمر المريض بما يسمى عملية التحضير ، وهي عبارة عن تدمير شبه كامل لجميع نخاع عظمه ، عن طريق العلاج بالأشعة ، أو استخدام بعض العلاجات المسممة للخلايا . والمستعمل منها حاليا ، في معظم الحالات ، عقارا « بيوسلفان » و « سيكلوفوسفامايد » ، أو غيرهما من العلاجات المشابهة ، القادرة على قتل خلايا نخاع العظم .

وعملية التدمير هذه تتم خلال ثمانية أيام ، أربعة أيام لكل نوع من العقاقير ، حيث نحتاج إلى نوعين من العقاقير المسممة للخلايا حتى تكتمل . وخلال تلك الفترة تراقب خلايا دم المريض مخبريا ، حيث يلاحظ هبوط مستمر في جميع أنواع خلايا الدم ، من كريات بيضاء ، وحمراء ، وصفائح ، وبعد انتهاء المدة المحددة للعلاج اللازم لتدمير نخاع العظم يعطى المريض ، عن طريق الحقن الوريدي ، نخاع العظم الجديد (من المتبرع) ، وهو عبارة عن كمية بسيطة ، تحسب بدقة بالمختبر ، ومقدارها يتراوح مابين ١٥٠ سم^{3} - ٥٠٠ سم^{3} ، حسب عمر المريض ، ووزنه ، وحالته المرضية التي استدعت إجراء هذه العملية له ، وتعطى للمريض خلال ساعة أو ساعتين .

ونتيجة لتحضير المريض ، كما أسلفنا ، بعلاجات لتدمير نخاع عظمه الأصلي فإنه يتعرض لنقص حاد في عدد كريات الدم المختلفة من بيضاء وحمراء وصفائح . ولذلك يعطى المريض مضادات حيوية مختلفة ، حسب الحاجة ، أو حسب نتائج عمليات نقل النخاع ، أو بشكل تقديري ، لمواجهة النقص في كريات الدم البيضاء الذي يعد فقدها أخطر على المريض من مكونات الدم الأخرى ، لأنها أداة جسم المريض في المقاومة والمواجهة لأي نوع من أنواع البكتيريا أو الفيروسات أو الفطريات ، وهذا الدور الحيوي من أهم وظائفها . وهنا يجب مراعاة عزل المريض كليا ، لمنع وصول عدوى إليه من أي مرض من أي جهة كانت . وبعد فترة تتراوح بين أسبوع إلى ثلاثة أسابيع ، وأحيانا فترة أطول من ذلك ، من يوم زراعة نخاع العظم الجديد تبدأ نتائجه بالظهور تدريجيا ، ويظهر ذلك بوضوح بمتابعة عدد خلايا الدم بأخذ عينة من دم المريض ، وعندما يلاحظ زيادة مستمرة في عدد الخلايا ، خاصة الخلايا البيضاء التي يؤخذ عددها معيارا لفك عزلة المريض ، فإذا أصبح عدد هذه الخلايا في الدم أكثر من ٥٠٠ خلية لكل سم٣ ، فإن ذلك يعني أنه أصبح بمقدور النخاع الجديد العمل بشكل جيد وكاف لإعطاء المريض المقدرة - ولو جزئيا - على محاربة الخمج Infection . وبالتالي يسمح للمريض بالخروج من عزلته ، والتحرك داخل المستشفى ، وزيارة بعض أقاربه له داخل غرفته ، لأن ذلك يمنع



● زراعة نخاع العظم في المختبر

حتماً بإنا خلال فترة العزل .

ويستمر نخاع العظم الجديد بالنمو ، كنمو النبتة الجديدة بالضبط ، وإذا قدر الله لنخاع العظم الجديد الظروف المناسبة للنمو بدون أي مشاكل ، سواء أكان خمج Infection ، أو رفض ، فإنه يستمر بالنمو والفاعلية .

احتمالات كبيرة للنجاح

وعلى الرغم من كل هذه التعقيدات ، والصور المتعددة الجوانب لهذه العملية ، فإن نتائجها مشجعة في كثير من الأحيان ، وتختلف نسب نجاحها من حالة إلى أخرى ، ويعتمد نجاحها ـ أو فشلها ـ على عوامل عديدة ، منها نوع المرض الأصلي الذي كان سببا في إجراء هذه العملية ، وكذلك الحالة الصحية العامة للمريض ، فكلما كانت صحته العامة جيدة ، ولم يكن هناك خلل بأي عضو من أعضاء جسمه ، خاصة الأعضاء الرئيسية منها كالكبد والكلى والرئتين والقلب ، كانت نسبة نجاح العملية أكبر . وكذلك على عمر المريض ، فهي بالأطفال تعطي نتائج أفضل منها بالكبار ، وعلى التطابق الكامل بين نوع خلايا المتبرع والمريض نفسه ، فكلما كانت مطابقة تماما كان احتمال نجاحها أكبر .

فمثلا نسبة نجاح عملية نقل نخاع العظم في حالات سرطانات الدم تبلغ حوالي ٦٠٪ في معظم مراكز العالم ، في حين أن نتائجها في مرض الثلاسيميا Thalassemia تبلغ ٨٠ ـ ٩٠٪ في الأطفال الذين تبلغ أعمارهم سنتين إلى ثلاث ، إذا وجد نخاع عظم مطابق كليا من متبرع قريب جدا كالأخ والأخت . وتنزل هذه النسبة إلى ٧٠٪ تقريبا في الأطفال الذين تبلغ أعمارهم فوق سبع سنوات للمرض نفسه وللظروف نفسها .

ومع هذا فإن العملية ـ كما ذكرنا ـ مازالت في مراحلها الأولى ، ونسبة المخاطر فيها وكلفتها مازالتا عاليتين وأقل مما يرضي الطموح الطبي ، إلا أن الأمل في الارتقاء بها وتطويرها وتخفيض كلفتها يتعاظم ، خاصة مع جهود الباحثين والأطباء الدءوبة التي تستفيد من معطيات العلم الحديث المتقدمة . □



يهدف هذا اللغز إلى تسليتك وإمتاعك بالاضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر في المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع العامة .

والمطلوب منك الاجابة عن أسئلة هذا اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذي سينشر في العدد القادم .

١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
										١
							■			٢
				■						٣
■					■					٤
		■				■				٥
■					■		■		■	٦
			■		■					٧
						■				٨
	■	■						■		٩
					■					١٠

كلمات أفقية

١ . أكبر نحاتي عصر النهضة من آثاره « داود » .

٢ . تائه ، من أعظم فناني عصر النهضة الايطاليين .

٣ . تنحيه وترفع من فعاليته ، جمع لذة .

٤ . يخفي في نفسه ، فاكهة تحليه باللؤلؤ .

٥ . متأخر ، رفعة ومجد .

٦ . شمندر .

٧ . ذو علاقة بالدين ، دال على الصداقة .

٨ . أكثر أهمية ، فنان هولندي عاش ومات فقيرا تباع لوحاته بالملايين .

٩ . فنان هولندي شهير من فناني القرن ١٧ .

١٠ . يقوم بعمل فني مستخدما الصخر أو الرخام ، تطريب وغناء .

كلمات عمودية

١ . فنان انطباعي فرنسي من فناني القرن ١٩ ، إسباني من أكبر سيرياليي العصر .

٢ . مدرسة فنية تهتم بالانطباع العام لا التفاصيل .

٣ . مصاب ، تتصرف بمرح وانطلاق .

٤ . أخذت من جلهد ، شبع ، تجدها في حوت .

٥ . عابث ، أول التراب وآخرها .

٦ . ثلمر مشجوب ، هولندي من توابع فنان القرن ١٧ .

٧ . غير راضيين ، قليل .

٨ . خفنا ، الأحرف الثلاثة الأولى من اسم فنان القرن اسمه يفان جوخ .

٩ . الاسم الأول لصاحب « العشاء الأخير » .

١٠ . صبي ، يسيطر أو ينتشر .

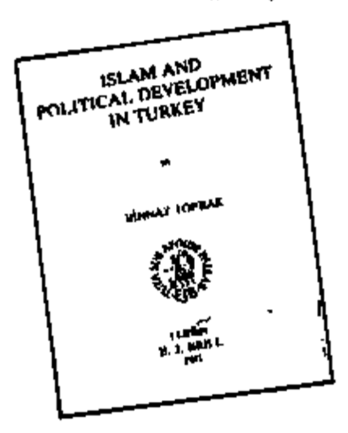
● حل مسابقة العدد الماضي سبتمبر ١٩٨٩ م

١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
■	[illegible]	[illegible]	ا	[illegible]	ب	[illegible]	ل	ا	م	١
ن	[illegible]	س	ج	■	ن	ا	م	ل	ع	٢
■	ر	[illegible]	[illegible]	[illegible]	■	د	[illegible]	[illegible]	ن	٣
ه	[illegible]	■	ك	[illegible]	[illegible]	ج	■	ا	ه	٤
ا	■	س	ي	ا	ع	■	ق	ض	ا	٥
م	[illegible]	ن	ن	[illegible]	[illegible]	ا	■	خ	ل	٦
[illegible]	■	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	■	[illegible]	[illegible]	[illegible]	٧





مكتبة العربي



الإسلام والتطوّر السياسي في تركيا

تأليف : بيناز توبراك / عرض وتعليق : جمال وردة

على الرغم من كل القوانين الأوربية الحديثة التي أدخلها أتاتورك إلى تركيا فقد فشل في بناء المجتمع الحضاري الجديد ، ذلك أنه أقحم الدين في معركة غير مجدية ، متجاهلاً الخصوم الحقيقيين لهذا البناء المتجدد . وبذلك لم يحسن اختيار المجالات المناسبة لحركة التقدم والتحديث في بلاده .

الدين والسياسة ثنائية جدلية قديمة لقطبين متحركين ضمن معادلة ثابتة . يتجاذبان حيناً لدرجة الانصهار ، ويتنافران كالنقيضين أحياناً ، ولكنهما أبداً متداخلان تأثراً وتأثيراً .

يقول « فرانك باركن » : هناك تشابه بين الدين والثورة ، فكلاهما يسعى لاختصار المسافة وتضييق الفجوة بين المعطيات الملحة والمادية للحياة ، ولكن بأسلوبين مختلفين ، ففي حين تؤجج الثورة طموحات الطبقات المطحونة ، وتعمل على تصعيد أمانيها ، تحاول الأديان الحد من غلواء هذه المشاعر وتخفيفها ، وصولاً إلى الاستقرار والتجانس الاجتماعي . وفي حين تحطم الثورات هذه الفروقات عنوة وقهراً فإن الأديان تسعى لإذابة هذه الفروقات تطهيراً واقتناعاً . ويفرق « دونالد سميث » بين فئتين من هذه العلاقة الناشئة : فهناك أنظمة دينية عضوية وشاملة ، ينعدم فيها التمايز بين الدين والدولة ، وعند ذلك تستمد السلطة السياسية شرعيتها من الدين مباشرة . وأنظمة كنسية تتميز بانفصاله والضح بين الدين والسياسة ، وتبقى متقوقعة داخل كيانها المستقل ، وهي ذات علاقة معقدة مع القوى السياسية الأخرى . وفي الحقيقة هناك بعض الأديان تعبر عن رفعة الأرض بالسماء ، من خلال مصعد صغير ، يتسع لراكب واحد فقط . فقد جعلت الخلاص الروحي والتطهير النفسي فردياً وذاتياً . إن الارتقاء إلى مرحلة « النيرفانا » في البوذية مثلاً يتم من خلال الإنسان وحده ، وليس من خلال القوانين الجماعية أو الاجتماعية للدولة .

لا كهنوت في الاسلام :

أما المسيحية ففيها عزوف وترفع ، ليس عن السياسة فحسب ، بل عن الحياة كلها . وكذلك المسيحية ، فهي تنادي بالمجتمع المتسامح الفاضل ، من خلال الإنسان المتسامح الفاضل ، وعلاقتها مع السياسة أخلاقية بحتة ، وليست « أيديولوجية » كما في الإسلام الذي ربط بين الدين والدولة ، وزاوج بين الحق الإلهي والعمل الاجتماعي . كما يختلف الإسلام عن غيره من الأديان فقد أعطى الجميع حق التحدث بالدين والعمل بمطالبه ونفى دور الوسيط . فلا كهنوت في الاسلام . وهكذا بقيت العلاقة بين العبد وربه مباشرة ، ولا حاجة لطرف ثالث يتمحور داخل مؤسسات خاصة ، لها سياستها وأموالها وعقاراتها وسفراؤها ، وكأنها دولة داخل دولة ، كما أن التبتل والزهد والتنسك ليست فضائل مقدسة في الإسلام . وحين جاء الغرب بعلمانيته وفصل الدين عن الدولة ، أعاد للدين دوره القديم في مجتمعاتهم بعد أن امتزجت مصالحه مع السلطة ، وأصبح الدفاع عن مصالحه مرتبطاً بالدفاع عن تلك الأنظمة السياسية القديمة ، فكان لا بد من الصدام مع القوى الثورية الجديدة ، كما حدث في معظم الثورات الأوربية الحديثة . وكان لزاماً على هذه الثورات أيضاً ، أن تحطم هذه العلاقة الناشئة بين الكنيسة والدولة

وحين انهارت الدولة العثمانية أصيب أتاتورك بالذهول أمام فداحة هذا الإرث الكبير ، فسارع إلى دفن « الرجل المريض » قبل أن يلفظ نفسه الأخير ، وعجل باستيراد القبعات الأوربية وإلباسها لجمهور المعزين والمشيعين قبل أن يفيقوا من صدمة السقوط .

ولكن التاريخ يقول : إن « الأيديولوجيات » لا ينهيها فزع الكوابيس ، ولا تنهار أحلام اليقظة . ففي غمرة حماسه وانبهاره بالتفوق الأوربي استورد أتاتورك كل شيء ، القيم والرموز والأحرف اللاتينية والتقسيم

الجمهوري . لقد أخطأ حين عدَّ الإسلام حجر عثرة أمام التقدم الحضاري ، وأخطأ مرة أخرى حين نظر في القشور والشكليات ، دون العمل على خلق المتغيّرات الاجتماعية اللازمة لإعطاء هذه المفاهيم الجديدة فكراً ووعياً . لقد نزع الوجدان من الجسد ، ناسياً أن الدين فطرة ومشاعر . لقد تصور أن الصراع الحضاري ينحصر بين الدين والدولة ، أو بين العلمانية وغير العلمانية ، بينما الصراع الحقيقي يمتد بين الجهل والعلم ، وبين العوز والاكتفاء ، وبين التكافؤ والاستغلال . وهذه الحقيقة فطن لها المثقفون الأتراك بعد نصف قرن من التجربة « الكمالية » ، حين اكتشفوا أن الخلل كامن في القوى الإنتاجية وعلاقاتها المعقدة ، وليس في القبعة أو الطربوش . وعن أثر الدين في السياسة التركية الحديثة قدم الكاتب التركي « بينار توبراك » هذه الدراسة التي أعدها في الأصل كأطروحة لنيل درجة الدكتوراة من جامعة نيويورك ، مستعرضاً التطور السياسي الذي طرأ على الساحة التركية منذ إعلان الجمهورية عام ١٩٢٣م ، وكيف استطاع الإسلام على الرغم من علمنة الدولة أن يلعب دوراً حاسماً في عملية التطور هذه . في عام ١٩٦٧ « كتب اندرو مانجو » : إن القارىء العادي للصحافة التركية يلاحظ بأن السياسة هناك أصبحت ذات حس ديني واضح . والواقع أن هذا الانطباع ليس جديداً ، فمنذ التحول السياسي الذي حدث عام ١٩٤٦ بإلغاء نظام الحزب الواحد أصبح الدين محوراً لمعظم البرامج الحزبية الجديدة ، وقبل ذلك أيضاً . فخلال حرب الاستقلال (١٩١٩ - ١٩٢٠) اعتمد أتاتورك نفسه على أئمة المساجد وخطبائها في تعبئة الجماهير وتحفيزهم للدفاع عن وطنهم ضد الغزو الأجنبي ، وحتى بعد إعلان الجمهورية بقي الدين حافزاً وملهماً لأنصاره الذين عدوا حركته تهديداً للدم التركي . وحين أصدر شيخ الإسلام في الأستانة الفتوى المشهورة بتكفير أتاتورك رُدَّ عليه بفتوى مضادة من مفتي أنقرة ، تحمل تواقيع أكثر من ١٥٢ عالماً دينياً ، من مختلف مناطق تركيا ، بل إن المؤتمر الأول للجمعية الوطنية كان يضم ٧٣ عالماً دينياً من بين ٣٦١ . لقد استطاع رجال الدين في البداية تمهيد الطريق أمام حركة أتاتورك التجديدية ، معتبرين أن خلع السلطان لا يعني خلع الخلافة ، ولكن أتاتورك انقضَّ عليهم بعد أن استتب له الأمر عام ١٩٢٨ .

حوار طريف :

وهناك حوار طريف بين أتاتورك وأحد الفلاحين البسطاء أثناء الحرب في الأناضول ، فقد استغرب أتاتورك من هذا الفلاح الذي مازال يحرث أرضه بكل هدوء واطمئنان ، فقال له : كيف تفعل ذلك والعدو على حدود وطنك ؟ فأجابه الفلاح : « يا باشا ! كان لي ثلاثة إخوة وولدان قتلوا جميعاً في اليمن وجاليبولي ، وأنا الآن المعيل الوحيد لثلاث عائلات تعتمد جميعاً على فأسي . إن حقلي هو وطني ، ولا تتوقع مني أن اترك الفأس وأحمل البندقية قبل أن أرى الأعداء بأم عيني وهم يطأون حقلي بأقدامهم » .

لم يفعل أتاتورك شيئاً يذكر في العلاقات الاقتصادية والاجتماعية للريف التركي . لقد بقي « الأغوات » على حالهم ، يمارسون قوتهم واضطهادهم . وكذلك بقي « الأشراف » في المدن ، يمارسون استغلالهم ، وبقي الفلاح التركي والعامل التركي بين السندان والمطرقة . حتى العلمانية المستوردة من أوروبا لم يقم بتطبيقها بحذافيرها . فالعلمانية الغربية تضمن على الأقل حرية العقيدة وحرية التعبير . لقد تجاهل أتاتورك

ذلك ، وأقام « ديكتاتورية » الحزب الواحد ـ الحزب الجمهوري الوطني ـ وفي حين أطلق الحريات لبعض الأقليات الدينية ، كاليهود والأرمن ، فقد صادر مفاهيم إسلامية ، وحجزها داخل حقيبته الدبلوماسية . إن أوربا لم تصادر المفاهيم الدينية . وفي دراسة حديثة أجراها الكاتب « ريتشارد روز » ، للمقارنة بين ٧٦ حزباً سياسياً في ١٧ بلداً أوربياً اكتشف أن هناك ٣٥ حزباً تنتمي إلى بعض المفاهيم الدينية ، وهي ذات صبغة دينية ، أو على الأقل هاجس ديني واضح ، وفي العهد العثماني كانت هناك اتفاقات سياسية ، ذات صبغة دينية ، كالمعاهدة الروسية العثمانية عام ١٧٧٤ بين كاترين الثانية وعبد الحميد الأول الذي كان له حق رعاية المسلمين في روسيا ، مقابل حماية كاترين للرعايا الأرثوذكس في الامبراطورية العثمانية .

لقد ألغى أتاتورك المحاكم الشرعية ، واستعاض عنها بالقانون المدني السويسري ، والقانون الجنائي الإيطالي ، والقانون التجاري الألماني ، ومنع تعدد الزوجات ، ولكن الإحصاءات تقول : إن نسبة تعدد الزوجات بعد نصف قرن من تلك القرارات تشكل ٢,٧٪ في الريف ، و ١,٦٪ في المدن الكبرى ، وشبه منعدمة في العواصم . والقضية إذن مجرد وعي واستدراك بدليل انعدامها في العواصم ، كما أن نسبة الزواج المدني لا تزيد عن ٣٥٪ فقط . وحين صدرت هذه القرارات العلمانية بدأت الساحة السياسية تشهد الكثير من الثورات والانتفاضات المضادة ، وكان أهمها ثورة الشيخ سعيد في شرقي الأناضول ، فعلى الرغم من وصف حركته بالانفصالية الكردية ، فإن من أهم أهدافها المطالبة بعودة الخليفة « وحيد الدين » ، آخر سلاطين بني عثمان . ونشطت أيضاً الجماعات « النقشبندية » ، وبقيت هذه الانتفاضات مستمرة حتى عام ١٩٣٦م ، وبعد ذلك اتجهت إلى المعارضة السرية ، بعد تصفية رموزها ومحاكمتهم ، وفي عام ١٩٤٦م وافق « عصمت اينونو » ، خليفة أتاتورك ، على مبدأ تعدد الأحزاب من أجل حملاته الانتخابية ، وكسب مزيد من الأصوات الفلاحية . وفي الحال تشكل ٢٤ حزباً جديداً ، منها ٨ على الأقل ذات اتجاهات إسلامية ، وأهمها حزب العدالة الاجتماعية ، وحزب المزارع والفلاح ، وحزب الحماية الاسلامية ، وحزب المحافظين . وكان الحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري ، يتنافسان في كسب أصوات الناخبين بمزيد من قرارات الانفتاح الديني . فعندما فاز الحزب الديمقراطي بالأغلبية « البرلمانية » عام ١٩٥٠ أصدر رئيس الوزراء « عدنان مندريس » قراراً برفع الحظر عن الأذان باللغة العربية ، وكان ذلك حدثاً جللاً ، عمت بموجبه البهجة ودموع الفرح كل الأقاليم التركية . ثم بدأت سياسة ترميم المساجد القديمة ، وفتح المزارات المقدسة ، وبناء المساجد الجديدة ، ويقدر عدد المساجد التي تم تعميرها خلال عشر سنوات من تاريخ القرار بحوالي ١٥,٠٠٠ مسجد ، كما ارتفع عدد الجمعيات الإسلامية من ٩٥ إلى حوالي ٥,٠٠٠ جمعية .

الطربوش والاستقلال :

وفي عام ١٩٦١ انشق حزب العدالة عن الحزب الديمقراطي ، واستطاع هذا الحزب الجديد ، ذو الاتجاه الديني ، أن يوصل إلى السلطة ، عام ١٩٦٥ ، « سليمان ديميريل » رئيساً للوزراء . وقد حدث تحول خطير آخر داخل حزب الشعب الجمهوري ، حين أصبح

« بولند أجاويد » سكرتيراً عاماً للحزب ، وبدأ يمارس نقداً ذاتياً « للكوادر » القديمة التي باعدت بين الحزب والجماهير ، واعترف « أجاويد » للمرة الأولى بأن الصراع الحقيقي ليس بين الطربوش والقبعة ، بل بين الفقر والاستغلال ، وأن الأحزاب جميعها قد استغلت الدين كغطاء لإخفاء عجزها السياسي والاقتصادي والاجتماعي . وفي هذه الفترة ولد حزب جديد ، انشق عن حزب العدالة . وأطلق عليه اسم حزب « الخلاص الوطني » ، وهو حزب إسلامي جديد ، يجمع بين التقدم العصري والروح الإسلامية . ويدعو إلى صحوة جديدة في المجالين المادي والروحي معاً ، وقد أسسه الدكتور « نجم الدين أربكان » ، وهو شخصية علمية فذة ، فقد نال درجة الدكتوراة في الجامعة التقنية في أنقرة ، ثم سافر في بعثة علمية إلى ألمانيا ، حيث رجع مبهوراً بالتجربة الألمانية ، بعد الحرب العالمية الثانية ، وكيف استطاع الشعب الألماني بإخلاصه وتفانيه وبانضباطيه أن يخلق مجتمعاً حضارياً جديداً على أنقاض النازية المهزومة .

وأثناء اشتراكه في الحكم رفع وزير العدل (أحد أعضاء الحزب) قضية ضد مدير التلفاز ، لسماحه بعرض بعض الأفلام الإباحية عن حياة تماثيل الأمازون البدائية ، كما يطالب الحزب برفع بعض التماثيل العارية من الحدائق والميادين . وقد استطاع الحزب الفوز بـ ٤٨ مقعداً في « البرلمان » التركي ، في انتخابات ١٩٧٣ ، حاصلاً على ١٢٪ من مجمل الأصوات ، إلا أنه بقي حزباً للمثقفين فقط ، بعيداً عن عمق الريف وحارات المدن .

وفي أواخر الستينات تغيرت المعادلة السياسية بدخول حزب العمل التركي الذي يضم الماركسيين الأتراك ، وأصبح الصراع الجديد بين اليمين واليسار .

الاسلام والعمل السياسي :

لقد لعب الإسلام دوراً بارزاً في إثراء العمل السياسي التركي ، فقد كان العامل الموجه بشكل أو بآخر لكل الأحزاب السياسية ، إذ أعطى للدولة العثمانية هويتها الدولية ، ووحد شخصيتها ، ومنحها الشرعية لقيادة العالم الإسلامي ، كما ساعد على خلق الاستقرار والتجانس الاجتماعي في مجتمع متعدد الجنسيات والقوميات . وفي فترة المد القومي ساعد أيضاً على رصّ الصفوف ضد القوى الأجنبية ، وعمل على إذكاء روح المقاومة والمعارضة « للديكتاتورية » الحزب الواحد . لقد دخل الإسلام معركة « الديمقراطية » التي انتهت بإعلان عام ١٩٤٦ وقبول النظام القديم مبدأ تعدد الأحزاب .

إن جذوة الدين التي حاول أتاتورك إخمادها لم تنطفيء ، بل ظلت نبراساً أخلاقياً وحافزاً للتحولات الاجتماعية والسياسية وللعدل الاجتماعي . □

من أقوال ماركوس اوريليوس انتونيوس الحكيم الروماني المأثورة قوله :

× من يستطيع أن يمنعك من أن تكون صالحا ؟
× الانهماك في الملذات أشر من الانهماك في الآلام .
× هل في حياة الإنسان أشياء أعظم من العدل والحكمة والشجاعة ؟



قصص الحب العربية:
أغراضها وتطورها

تأليف : الدكتور عبد الحميد ابراهيم محمد
عرض وتعليق : أشرف مصطفى الهندي

حفظت لنا كتب التاريخ والأدب كثيرا من قصص الحب التي دارت في أروقة القصور أو بين مضارب الخيام العربية .

وتجاوزت شهرة بعض عشاق العرب أحيانا ، شهرة حكام وخلفاء وقادة . والكتاب الذي نعرض له فيما يلي متابعة لبعض قصص العشق والعشاق ، وتطورها ، وتنوع أغراضها .

« الحب » واحد من أهم المضامين في الآداب العالمية كلها ،ولا يكاد يخلو منه أدب من الآداب،ولا فن من الفنون.

وقد اهتم الباحثون بدراسة الناحية العاطفية عند العرب . والكتاب الذي نحن بصدده تناول قصص الحب العربية على أنها نوع من الأدب الذي انتشر بين عامة الشعب ، فركز على كشف طبيعة هذه القصص ، ثم تتبع تطورها على مرّ العصور وفي شتى المناحي ، ثم كشف عن الأسباب التي قعدت بها عن النمو الكامل والتطور الملموس .

معنى القصة

والقصة التي حرص المؤلف على استجلاء معانيها ، واظهار حقيقتها ، ليست تلك القصة القصيرة التي عرفها العالم في القرن التاسع عشر ، وإنما قصد المؤلف - كما يقول في الفصل الأول - ذلك المعنى الذي جاء في القواميس العربية لهذه اللفظة ، واهتم بالطبيعة الخاصة للقالب القصصي

العربي ، ويخرج المؤلف من بحثه في القواميس العربية بمعنى عام ، محدد للقصة ، وهو « المتابعة » ، فقص آثارهم : تتبعها بالليل أو في أي وقت كان ، وقص الخبر : تتبعه .

وقد انتشرت هذه القصص بين الناس انتشارا واسعا ، حتى أن ابن داود لم يجد فائدة من ذكر كثير من هذه الأخبار في كتابه « الزهرة » ، لأنها - على حد قوله - قد كثرت في أيدي الناس ، فقل من يستفيد منها . كما أن هناك نظرة إلى هذه الأخبار على أنها شيء لا يتحرى الدقة التاريخية ، وأنها حكايات شاعت بين الناس ، قد تزيدوا فيها كما قال قيس بن ذريح وهو يعتذر لقيس بن الملوح أمام ليلى . فإن قيسا المجنون قال : إنه رأى ليلى فقط ليلة النخيل ، ولكن الناس قد تزيدوا في ذلك . وهذه النظرة تفسر الاضطراب في الروايات التي قد تسند خبرا إلى قيس ، ثم نراه مسندا إلى جميل ، أو شعرا إلى عروة ، ثم نراه منسوبا إلى ابن ذريح .

وهذه النظرة تتمثل فريقا من الباحثين من حيرتهم أمام هذا التزيد ، وذلك لأن عقل المؤرخ لا يستطيع أن يضفي على هذه القصص صفة الصدق الواقعي والوجود التاريخي ، وعلى الرغم من ذلك فقد نجح المؤلف في مسعاه ، وضمن دقة بحثه بحسن اختياره للشواهد أمام الكم الهائل الذي تجمع لديه من كتب الأدب .

أغراض قصص الحب

وفي الفصل الثاني من الكتاب سلك المؤلف مسلك باحث الأدب ، ونظر إلى ما في هذه القصص من دلالات أدبية وإشارات فنية ، ولم يطلب منها الصدق الواقعي والوجود التاريخي ، حتى لنجده يقول : « لا يعني أن يكون قيس أو جميل أو عروة قد وجدوا تاريخيا ، وإنما الذي يعني أنهم شخصيات قصصية ونماذج بشرية » . ولذلك فإنه تعمق في البحث للإجابة عن تساؤله المطروح ، وهو : هل كان هذه القصص أغراض ، أم أنها كانت خبط عشواء ، تنبت كنبات الصحراء ، بدون غاية مرسومة أو هدف معلوم ؟ !

وقد انتهى المؤلف من بحثه إلى أن قصص الحب قامت بعدة أدوار لتنفيذ أربعة أغراض رئيسية هي :

التفسير والشرح لبعض مواقف شعرية : لا سيما إذا انطوت هذه الأشعار على بذور حكايات وقصص ، كأن يذكر الشاعر ليلة التقى فيها بحبيبته وما لاقى من الصعاب . وحين انتشرت هذه البذور وتلك الإشارات أراد الناس أن يفسروها ويشرحوها ، فاختلقوا حولها القصص والحكايات التي تفسر الأبيات وتصل بعضها ببعض . وكثيرا ما حاك القاص أو الخيال الشعبي أبياتا مشهورة أنشدها « كثير عزة » عن بكائه وعن محنته وحسرته ، يقول :

أقـولُ لمـاءِ العـين أمعِـنْ لـعـلَّـهُ
بِما لا يُرى من غائبِ الوجدِ يَشهدُ
فلَمْ أرَ مِثلَ العينِ ضَنَّتْ بمائِها
عَلَيَّ ولا مِثلي عَلى الدمعِ يَحسُدُ

كما أن هذه القصص قد أدت وظيفة التسلية : لا سيما بعد أن أظلت الحضارة العرب بعد الإسلام ، فتبعها ألوان من الترف والملذات ، وكثر الظرفاء والمضحكون ، فقامت القصة بدورها في التسلية في مجتمع حضاري .

كما استغلت في الإعلان والدعاية : وعرف كثير من الأذكياء قيمة القصة في الدعاية لأنفسهم ، والترويج لشعرهم ، وبخاصة أن هذه القصص تشيع بين العامة ، وتذيع وسط الشعب ، فاستغلوا القصص وحملوها ما يريدون أن يحملوها ، وجعلوها تتنقل وسط الناس ، لاهجة بأسمائهم ، مذكرة بهم . وقد برع في هذا النوع كل من حماد الراوية وعمر بن أبي ربيعة ، وكان عمر ذكيا ، فقد أكثر من الدعاية لنفسه والترويج لشعره ، مرة برشوة المغنين والمغنيات حتى ينشدوا شعره ، كما جاء في الأغاني ، ومرة ثانية بإشاعة

هذا النوع من القصص التي أكثر من اختلاقها وترويجها .

وهناك قصص ذات أغراض تعصبية : حيث لم تستغل قصص الحب استغلالا شخصيا فحسب ، بل استغلت لأغراض تعصبية أيضا ، فقد عرف العرب في تاريخهم صراعا بين السادة والعبيد ، وتنازعات بين بعض وبعض ، فاستخدم كل فريق ما تيسر له من الأسلحة ، فكانوا ينحلون الشعر ، ويختلقون الأحاديث تدعيما لنزاعاتهم ، وتأييدا لمواقفهم . فنالت بهذا القصص حظها من الانتحال والاختلاق ، بما يخدم فكرة الفريق المنتحل ، وينصر قضيته .

ومن الطبيعي أن يختلف كل فريق في سبب المهاجاة ، ثم يروح يؤلف القصص بما يرضي هواه ويشفي حاجته .

وهناك قصص ذات أهداف دينية : كأن تحث القصة على العفة والترغيب فيها والإثابة على الوفاء بالوعد والمكافأة على الصبر وكل العناصر الدينية الأخرى الكثيرة المتنوعة التي يستظل الحب بظلها .

تطور قصص الحب

وقد خصص له المؤلف ثلث الكتاب ، وفيه استعرض تطور قصص الحب عبر مختلف العصور العربية وأشكالها وألوانها المختلفة ، وذلك من عدة نواح رئيسية أهمها :

أولا : ناحية يتتبع فيها الباحث حكاية معيّنة ، وينظرها في مختلف المراجع ، ويراقب التطور والفروق بين هذه المراجع التي قد تكون فروقا شكلية ، كالاختلاف على اسم الخليفة الذي ترفع إليه القصة ، وقد تكون فروقا يسيرة ، كالاختلاف حول بعض أسماء شخوص القصة .

ثانيا : ناحية يتتبع فيها الباحث القصص المتشابهة ، ويراقب الفروق بينها ، وهي فروق لا تعدو الاختلاف في الأسماء ، أو زيادات في بعض الروايات ، بل إننا نلاحظ من الأمثلة التي أوردها المؤلف أن التقارب وصل ببعض الروايات إلى حد استعارة التشبيهات والألفاظ . وعلة ذلك أن الرواة لم يكونوا ينظرون إلى هذه القصص نظرة أدبية خالصة ، وكذلك النقاد لم ينظروا إليها نظرة جدية تقومها وتنير لها السبيل ، فتركوها للعامة يحكونها في مجالسهم ، ويتصرفون فيها تصرفا فطريا .

ثالثا : ناحية يتتبع فيها الباحث تطور هذه القصص مع تطور ظروف العصر ، وتأثرها بالتيارات الثقافية والاجتماعية ، كما نرى فيما يلي :

أ - حكايات الحب الحسية التي رويت حول ابن أبي ربيعة وغيره من شخصيات العصر الأموي ، وقد كانت حكايات من النوع الظريف التي لم تبتعد كثيرا عن الخلق العربي ، ولكن بعد أن أدى الاتصال بالأمم المجاورة ثمرته ، وبعد أن عرف العرب فلسفة « ماني » وإباحية « مزدك » كثرت القصص الماجنة والحكايات المنحرفة والحب الشاذ .

ب - قصص العشق العذرية : كانت تدور في العصور العربية الأولى (في العصر الجاهلي والعصر الأموي) حول عشق فتى لفتاة ، عشقا لا يشرك معها فيه غيره ، ولكن بعد ذلك نجد قصصا صوفية يتجاوز فيها العاشق حب البشر إلى حب الذات العليا ، حبا يملك عليه كل جوارحه ، ويجعله ينشد الأشعار الصوفية في محبوبه الذي لا يشرك في حبه أحدا .

ج - كثير من العرب في العصر الجاهلي وفي العصر الأموي كانوا يقدرون العاشق ، ويتعاطفون معه ، ويعدونه شخصية أرقى من غيرها ، ولكن هذه النظرة تغيرت عند كثير من الناس ، فأصبحوا ينظرون إلى العشاق نظرة سخرية ، ويعدونهم مرضى أصابهم الخلل في عقولهم والاضطراب في أفكارهم ، فكانوا يعقلونهم بالحديد ، ويحصرونهم في دار تسمى

« حلو المجانين » . وفي هذه الناحية يرى المؤلف أن قصص الحب حين عبرت عن الجنون والشذوذ أو كشفت عن الوجد الصوفي لم تتطور من الناحية الأدبية عن قصص الظرفاء والمتريين ، وكل الفرق الذي حدث أنه بدل الظرف حل الجنون ، وبدل العشق العذري حل العشق الصوفي . أما من الناحية الأدبية فما زالت القصة قصيرة ، فيها بطور فنية ، جاءت بمحض المصادفة ، وما زالت خبرا قصيرا ، سريعا متناثرا في بطون الكتب ، تختلط فيه الحقيقة بالوهم ، والتاريخ بالخيال ، اختلاطا لا يبين عن شخصية التاريخ المحققة ولا عن شخصية الخيال المطلقة .

وخلاصة هذا الفصل ، أن تطور قصص العشق كان ضئيلا ، لأن الراوي لم يكن على دراية بالعمل الذي لا ينبغي أن يختلط بالتاريخ اختلاطا يضيع شخصية كل منهما ، وإنما ظهر التطور بوضوح في السير الشعبية ، ثم بصورة أوضح عند شعراء الفرس والترك ، ثم بصورة أكثر وضوحا في الأدب العربي الحديث ، ورواية ليلى والمجنون لأحمد شوقي تعد رائدة في هذا المجال .

من قصص الحب العربية

وفي الفصل الرابع والأخير من هذا الكتاب تحدث الدكتور عبد الحميد ابراهيم محمد عن تقنية القصة القديمة ، ثم ذكر نماذج كاملة لهذه



● غلاف الكتاب

القصص اعتمد فيها على الكتب العربية القديمة مثل « التيجان » ، « لوهب بن منبه » ، واختار منه قصة لقمان بن عاد ، وقصة موطن الحب ، وكتاب « مصارع العشاق » لابن سراج ، واختار منه قصة « كتمت الهوى » ، وكتاب « تزيين الأسواق » لداود الأنطاكي ، ولم يكتف المؤلف بذكر هذه النماذج مجردة صماء ، بل حاول استنطاقها ، وقام بتحليلها ونقدها وقارنها بما يشبهها من نماذج أخرى . وهو بذلك قد أتاح للقارئ فرصة التذوق والاستمتاع بلا معاناة ، وبينّ بالنماذج التي قدمها ، أن أدبنا العربي غني بهذا النوع من القصص الجذاب ، وأن الأمر لا يحتاج إلا لحاسة خاصة تلتمس هذه القصص من بين بطون الكتب ، وتتفطن إلى هذا النوع من الأدب السهل السلس الذي لا ينبغي أن تقل العناية به عن العناية بالشعر والشعراء والرسائل والكتاب ، وغير ذلك من أنواع النثر التي فيها تأنق وصناعة ، وربما كان هذا النوع من النثر الذي ينطوي على شعبية ظاهرة وديمقراطية واضحة كونه يجري على ألسنة العامة في يسر وسلاسة ، وبعد عن التأنق والصناعة أصدق في الدلالة على نفوس منشئيه ومتلقيه من هذا النوع الذي نشأ كثير منه في بلاط الخلافة .

إن هذا الكتاب قد أعطى للنثر الشعبي اهتماما خاصا ، أهمله كثير من الدارسين والباحثين ، والباحث الذي يفرض على نفسه مهمة البحث والتنقيب والتأريخ لأحد الجوانب المعتم عليها ، ويتصدى لتحليل أبعاد صورها في سبيل إظهارها ، وتوسيع معانيها ، فإنه يضع نفسه في موضع دقيق قد يعرضه للسقوط في حالة هبوب ريح أو في حالة ظهور عقدة أو عقبة كؤود تعيق خطواته . ولقد نجح الدكتور عبد الحميد ابراهيم محمد في مسعاه لأنه يملك خيوط لعبة التأليف وقواعدها ، فخرج كتابه إلى الناس باعتباره إحدى الدراسات الرائدة في هذا المجال . □



اسم الكتاب : جذور حركة القرامطة
اسم المؤلف : عبد المنعم عزيز النصر
الناشـــــر : مطبعة أسعد - بغداد
عدد الصفحات : ١٣٦ من القطع الكبير
سنة النشر : ١٩٨٧م

عرض تاريخي لجذور حركة القرامطة في التاريخ العربي الإسلامي، وخروجها على الدولة العباسية، ويعرض المؤلف بعد ذلك لتطورها ومحاور دعوتها وشيوعها، والنقد والاعتراضات اللذين ووجهت بها.

□□□

اسم الكتاب : الصناعة والتكامل الاقتصادي العربي
اسم المؤلف : د. يوسف صايغ
الناشر : دار طلاس للنشر - دمشق
عدد الصفحات : ٢٤٥ صفحة من القطع الكبير
سنة النشر : ١٩٨٩م

يقدم الكاتب في كتابه رؤية جديدة لكيفية تحقيق التكامل الاقتصادي العربي من خلال الصناعة، والكاتب الذي شغل فترة منصب المستشار الرئيس لدى منظمة التنمية الصناعية لهيئة الأمم المتحدة، يؤكد أن العصر الذي نعيش فيه هو عصر سمته الصناعة ذات الحجم الكبير، وإذا استمر الجهد العربي جهداً قطرياً فإننا لن نتمكن من الخروج من دائرة التبعية. ويحلل المؤلف في كتابه نشأة الصناعة العربية، وتطورها خلال الأربعين عاما الماضية، ثم يعرض لمشاكل الصناعة العربية، وبعد ذلك يحلل السياسة الصناعية، ويقيم التنمية الصناعية الحالية والتنمية الصناعية البديلة. وفي القسم الثاني من الكتاب يناقش المؤلف قضايا التكامل الاقتصادي العربي وآفاقه.

□□□

اسم الكتاب : المرحلة
اسم المؤلف : فكري الخولي
الناشر : دار الغد - القاهرة
عدد الصفحات : ٢٥٢ من القطع الكبير
سنة النشر : ١٩٨٧م

عمل روائي، يسجل فيه كاتبه سيرة حياته، بلا حرج ولا تكلف، ويقدم هذا السرد في قالب فني فريد، مستمد من فطرة فنية واضحة، وموهبة أصيلة، وتدور أحداث هذه الرواية كلها في أوساط العمال والفلاحين، وبخاصة في الشرائح الأكثر فقرا، ويقدم الكاتب الصورة بلا «رتوش» ولا تجميل لواقع جنسي الريف والعمال منذ مطلع هذا القرن.

□□□

اسم الكتاب : صور من الماضي - للمملكة العربية السعودية
اسم المؤلف : بدر الحاج
الناشر : دار رياض الريس للكتب والنشر - لندن
عدد الصفحات : ٢٢١ من القطع الكبير
سنة النشر : ١٩٨٩م

دراسة عن تاريخ التصوير الشمسي من خلال أعمال مصورين عرب وأجانب، تتناول الحياة

السياسية والاجتماعية والعمرانية في المملكة العربية السعودية ، خلال فترة ١٨٦٥ ـ ١٩٤٠م . ويضم الكتاب مجموعة من الصور النادرة التي التقطت لوقائع وأحداث في هذه الفترة التاريخية المهمة .

□□□

اسم الكتاب : عشت مع هؤلاء الأعلام
اسم المؤلف : عبد الله يوركي حلاق
الناشر : مجلة الضاد ـ حلب
عدد الصفحات : ٢٣٧ صفحة من القطع الكبير
سنة النشر : ١٩٨٨م

يقدم المؤلف في كتابه وقائع وتفاصيل حياة عن أعلام عصره الذين عاصرهم ، وهو واحد من جيل الرواد ، ومؤسس وصاحب مجلة « الضاد » الأدبية ، فيقدم ذكرياته مع الشاعر القروي رشيد سليم الخوري ، وميخائيل نعيمة ، وأم كلثوم ، ومي زيادة ، والأخطل الصغير بشارة الخوري ، وأحمد حسن الزيات ، وإيليا أبو ماضي ، وغيرهم . والكاتب لا يكتفي بتقديم ذكرياته معهم ، بل يضيف إليها لمحة عامة عن كل شخصية منهم ، وآثارها الفنية أو الأدبية من وجهة نظره .

اسم الكتاب : تعليم المواطن الأمريكي من أجل المستقبل
اسم المؤلف : إعداد لجنة التعليم بالمجلس القومي للعلوم في الولايات المتحدة .
ترجمة مكتب التربية العربي لدول الخليج
الناشر : مكتب التربية العربي لدول الخليج
عدد الصفحات : ١٣٣ من القطع الكبير
سنة النشر : ١٩٨٧م

يقدم الكتاب خبرة الشعب الأمريكي في مجال الرياضيات والتقنية في مناهج التعليم العام ، متطرقا للظواهر المختلفة التي اعترت هذه العلوم في الآونة الأخيرة ، والظواهر المماثلة التي اتصفت به بعض دول العالم الأخرى مثل اليابان وبعض الدول الأوروبية . ويتكون الكتاب في أصله الإنجليزي من قسمين : خصص القسم الأول لعرض شامل للمشكلة التي تواجه التعليم في أمريكا ، والقسم الثاني عبارة عن مرجع ودليل عملي ، وورد ملخصات بعض الأبحاث التي تعنى بتدريس الرياضيات والعلوم والتقنية . وقد اقتصرت الترجمة العربية على تقديم القسم الأول من أصل الكتاب □

ولكن أبي

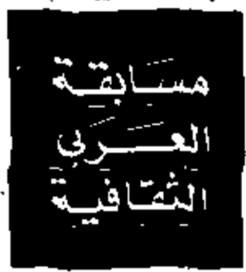
قال المدرس للتلاميذ : يجب في قواعد الجمع أن يجمع كل صنف على حدة ، ولا يصح جمع أصناف مختلفة معا .

وعلى الفور أجاب التلميذ : ولكن أبي يخلط رطل لبن مع رطل ماء ، ويبيع رطلين للمشترين على الحساب .

في سنتين

قالت الحماة لزوج ابنتها وهي تزن نفسها ، وزني الآن ستون كيلو غراماً أي أنني فقدت ٥ كيلو غرامات في شهرين .

قال الصهر : إذن استمري على ذلك ، كي تنتهي في سنتين !



العدد ٣٧١

أكتوبر ١٩٨٩

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الإجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الإجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الصفاة الرمز البريدي 13008 - الكويت «مسابقة العربي العدد ٣٧١» ، وآخر موعد لوصول الإجابات إلينا هو ١٥ نوفمبر ١٩٨٩ . والرجاء كتابة الاسم الثلاثي والعنوان البريدي بالتحديد ، ورقم الهاتف إن وجد .

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٧١

١ في سنة ١٩١٢م غرقت سفينة كبيرة عملاقة (٤٦٣٠٠ طن) في مياه المحيط الأطلسي ، حين كانت تقوم برحلتها الأولى من بريطانيا إلى أمريكا . ترى ما اسم تلك السفينة ؟
× التيتانيك .
× البلرني .

٢ نشبت الحرب بين روسيا واليابان في مطلع القرن العشرين . ترى أي الدولتين انتصرت ؟ وأيها هزمت في هذه الحرب ؟
× روسيا القيصرية هي التي انتصرت . ولا غرو لها في ذلك ، فقد كانت أكبر بكثير من اليابان .
× اليابان هي التي حققت النصر الساحق في تلك الحرب .
× اتفقت الدولتان على إنهاء الحرب دون أن يكون فيها منتصر أو مهزوم .

٣ من الحرائق الهائلة التي يذكرها التاريخ حريق لندن الذي وقع في القرن السابع عشر ، وحريق سان فرانسيسكو الذي وقع في القرن العشرين . ترى ما سبب اندلاع حريق سان فرانسيسكو ؟
× سيجارة ، عقب سيجارة ، ألقاه أحد المارة عن غير قصد .
× الحرب التي قامت بين الولايات المتحدة والمكسيك .
× الزلزال الذي ضرب سان فرانسيسكو فتسبب بالحريق .

٤ يذكر التاريخ أن النرويج لم تظفر باستقلالها إلا سنة ١٩٠٥م ، ترى أي الدول كانت تحكمها قبل ذلك ؟ .
× الدانمارك ، جارتها الصغرى .

× السويد ، جارتها الكبيرة .
× بريطانيا ، الدولة الاستعمارية الكبرى آنذاك .

[illegible] إميلين بنكهرست ، امرأة انكليزية ، لمع اسمها في الربع الأول من القرن العشرين . ترى ما الإنجاز الذي اشتهرت به هذه المرأة ؟ .
× تزعمت الحركة النسائية التي طالبت للمرأة حق الاقتراع .
× تزعمت الثورة على الأزياء النسائية القديمة التقليدية .
× أحدثت انقلاباً في ألوان الطعام وأساليب الطهي .

[illegible] من هو « صن - يات - سين » علماً بأنه اشتهر ولمع اسمه في أوائل القرن العشرين ؟
× كان صينياً ، وقد اشتهر بحماسه في مصارعة الكراتيه .
× كان يابانياً ذائع صيته ، لأنه أسس أول مصانع السيارات في اليابان .
× كان من زعماء الصين ، وقد قاد الثورة الوطنية التي أطاحت بسلالة مانشو التي حكمت تلك البلاد زمناً طويلاً .

[illegible] تم اكتشاف القطب الشمالي سنة ١٩٠٩م . ترى من مكتشفه ؟ .
× البريطاني روبرت بيري
× الأمريكي الدكتور فردريك كوك

[illegible] × تم اكتشاف القطب الجنوبي سنة ١٩١١م . ترى من المكتشف ؟
× المكتشف الانكليزي ، الكابتن روبرت سكوت ، كما يؤكد ذلك الانكليز .
× المكتشف النرويجي ، رولد أموندسن ، كما يؤكد ذلك أهل النرويج وسواهم .

[illegible] أين ظهرت الحركة الكشفية لأول مرة ؟
× في بريطانيا .
× في بلاد الصين .
× في فرنسا عقب الثورة الفرنسية .

[illegible] كم بلغت المسافة التي قطعها البث الإذاعي الأول ؟ وعلى بعد كم كيلومتراً سمع البرنامج الرائد الذي اشتمل على مقطوعات موسيقية وبعض الأحاديث ؟
× ٢٤ كيلومتراً .
× ٢٤٠ كيلومتراً .
× ٢٤٠٠ كيلومتر .

[illegible] اشتهر « هنري فورد » بصنع سيارته المعروفة بطراز (T) . ترى كم بلغ مجموع ما صنعه من هذه السيارة ، علماً بأنه بدأ إنتاجها في وقت مبكر (سنة ١٩٠٩ م) ، وتوقف سنة ١٩٢٧ .
× نحو نصف مليون سيارة .
× نحو ١٥ مليون سيارة .
× نحو مليون ونصف مليون سيارة .

[illegible] يذكر التاريخ ثورة الملاكمين في الصين ، تلك التي وقعت في مطلع القرن العشرين . ترى ماذا استهدفت تلك الثورة ؟
× كانت ثورة رياضية ، قام بها الملاكمون ضد المصارعين التقليديين .
× كانت ثورة شعبية داخلية ، استهدفت القضاء على الظلم والاستبداد ، شأنها في ذلك شأن الثورة الفرنسية .
× كانت ثورة شعبية سياسية ، استهدفت التحرر من النفوذ الأجنبي ، والعداء للنفوذ الأجنبي في الصين .



يوليـــو ١٩٨٩

١ العجيبتان السادسة والسابعة هما ضريح موسولوس ومعبد أرتميس ، وقد بني الضريح في بلدة هليكارناسوس ، وبني المعبد في بلدة إفيسوس ، في آسيا الصغرى (تركيا حاليا).

٢ رقم (٧) كان مقدسا في نظر الاغريق ، وفي نظر الكثيرين غيرهم من أهل التاريخ القديم والوسيط ، لذلك حرص انتيباتر على ألا تزيد العجائب التي عددها عن (٧).

٣ كانت منارة الاسكندرية أول منارة ظهرت في التاريخ . يعود بناؤها إلى سنة ٢٧٠ ق . م ، وقد بلغت من الارتفاع ١٢٢ مترا ، وكانت مقامة على جزيرة صغيرة ، تقع في مدخل مرفأ الاسكندرية .

٤ يبلغ عدد الكتل الحجرية التي يتكون منها هرم خوفو أكثر من مليوني كتلة ، (٢,٣٠٠,٠٠٠) كتلة بالتحديد .

٥ تمثال أبوللو هو الأضخم ، سموه كولوسوس أي العملاق ، فهو يبلغ من الارتفاع ٣٢ مترا وقد أقاموه في المدخل من مرفأ جزيرة رودس بحيث كان لا مفر للسفن من أن تمر من تحت التمثال وبين ساقيه إذا هي أرادت الدخول الى المرفأ .. تم انشاؤه فيما بين سنة ٣٠٥ - ٢٩٢ ق . م ودمرته الزلازل سنة ٢٢٤ ق . م ..

٦ إرضاء زوجته أميتس هو الباعث على إنشاء الحدائق المعلقة فقد كانت من ميديا ، حيث الجبال والمراعي والأشجار ،فبنى لها الحدائق المعلقة لتسلو بها عن مسقط رأسها ، إلا أنها لم تكن معلقة بسلاسل أو ما إلى ذلك ، بل لم تكن أكثر من مصاطب مهّدها على سفح تل مرتفع ، كان يقع على ضفاف نهر الفرات وضمن القصر الملكي . على أن أكثر ما يبعث على العجب في الحدائق المعلقة شبكة الري التي ابتكرت من أجلها ، فقد جرّت تلك الشبكة الماء من نهر الفرات ، بل قل ضخّته ودفعته إلى أعلى ، إلى مصاطب الحدائق المعلقة تلقائيا .

٧ الكاتب اليوناني (انتيباتر) هو الذي سبق غيره في التحدث عن عجائب الدنيا السبع ، وقد عاش في صيدا في القرن الثاني قبل الميلاد .

هرم المتود الحمر في شولولاريغا في المكسيك هو أضخم أهرامات العالم جميعا ، فهو يبلغ من الحجم ٣،٣ ملايين متر مكعب ، أي بزيادة نحو ٥٠٪ على حجم هرم خوفو البالغ ٢،٥ مليون متر مكعب .

سور الصين العظيم هو أضخم صروح التاريخ دون أدنى ريب ، اكتمل بناؤه في القرن الثالث قبل الميلاد (٢٤٦ ـ ٢١٠ ق.م) .
ويبلغ طوله ٣٤٦٠ كيلومترا أي ما يعادل ٣ أضعاف طول بريطانيا ، ولهذا السور فروع لا يقل طولها عن ٢٨٦٠ كيلومترا . أما إرتفاعه فيتراوح بين ٤،٥ ـ ١٢ مترا . وسمكه يزيد على ٩ أمتار (٩،٨ أمتار) .

يبلغ عدد تماثيل جزيرة (ايستر) حوالي ١٠٠٠ تمثال ، وقد اكتشف الجزيرة وتماثيلها (جاكوب روجفن) الهولندي وذلك صبيحة عيد الفصح سنة ١٧٢٢ ، ومن هنا كانت التسمية .

يجمع الكثيرون على أن تاج محل هو أجمل مباني العالم وأكثرها روعة وبهاء ، بناه امبراطور الهند (١٦٢٨ ـ ١٦٥٨) شاه جيهان في مدينة اكرا ، وذلك كي تدفن فيه زوجته ممتاز محل ، وكان الامبراطور ينوي بناء (تاج محل) آخر على الضفة المقابلة من نهر يامونا ، وذلك كي يدفن فيه جثمانه ، ولكنه لم ينفذ خطته هذه ، وقد جرى دفنه في ضريح زوجته وظهر بعيد عنها .

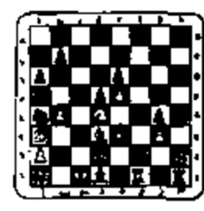
الفائزون في مسابقة العدد ٣٦٨ يوليو ١٩٨٩

الجائزة الأولى : توفيق محمد السملي / دمشق ـ سوريا

الجائزة الثانية : التيجي الوقلالي / منشين ـ تونس

الجائزة الثالثة : محمد عبدالله أبو زهر / عمان ـ الأردن

١) عبدالحفيظ عمر مناقر / كريتر ـ عدن ـ اليمن الديمقراطي
٢) شادية أحمد نصرة / دمنهور ـ مصر
٣) كنج محمد الكبل / كيرلا ـ الهند
٤) هاني أبوحسيلة / الجامعة الأردنية / عمان ـ الأردن
٥) شلبي يوسف محمد / طرابلس ـ ليبيا
٦) سليم صالح علي محمد البيماني / بهلا ـ سلطنة عمان
٧) سليماني محمد / الدار البيضاء ـ المغرب
٨) ماكنتير كامارا / غينيا ـ غرب افريقيا ـ كوناكري



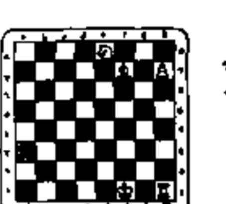


من المتفق عليه في الأوساط الشطرنجية أن أكبر صعوبة يلاقيها الأسود في الدفاع الفرنسي (١. هـ ٤ - هـ ٦) ، أن الأسود غالباً ما يجد صعوبة في نشر فيله الأبيض (فيل الوزير) الذي تشلّ حركته البيادق التي تحتل المربعات البيضاء المحيطة به في (د ٧) و (هـ ٦). ويرى العديد من المؤلفين الشطرنجيين أن استراتيجية الأبيض ينبغي أن تعتمد منذ البداية على التخطيط لنهاية الدور ، حيث يحتفظ الأبيض فيه بحصان نشط مقابل فيل الأسود المشلول ، ثم يزحف على البيادق السود بملكه لإحراز النصر في سهولة . غير أن فيكتور كورتشنوي السوفيتي الأصل السويسري الجنسية تحدّى نظرية الفيل الأسود الضعيف في مباراة بطولة العالم ١٩٧٤ ، واضطر كاربوف أن يلعب (٢. د ٤ - د ٥ - ٣. ح - د ٢) وينجم عن ذلك عدد من الأدوار المثيرة . ومع أن الأسود علق في نشر فيله الضعيف إلا أنه لم يخسر قط . وقد أفلح في نهاية الدور في تمكين فيله المشلول من القيام ببعض النشاط .

وقد تمكن كورتشنوي في السنوات الأخيرة من الخروج بتحريكات مثيرة ، تمكنه من تحرير فيله الضعيف ، ففي اثنين من مباريات البطولة لعام ١٩٨٤ ، استطاع كورتشنوي على الرغم من التقلبات الافتتاحية للدور التي كانت في صالح الأبيض من الناحية النظرية أن يلحق هزيمة ساحقة بخصمه بتعبئة الفيل عن طريق (د ٧) ثم (هـ ٨) .

وفي إحدى بطولات الشرق الأوسط المفتوحة المقامة في لوزان في سويسرا ١٩٨٥ لعب كورتشنوي بالأسود مع البريطاني جون نن الذي كان يفضل بدوره تحريكاً أكثر مضاداً للدفاع الفرنسي ، يهدف إلى استقلال فيل الوزير ، غير أن كورتشنوي سرعان ما أثبت قدمه في أفكاره حول الدفاع الفرنسي بتبادل الوزراء واثنين من القطع الصغرى ، والسماح لحصان « نن » باحتلال المربع المثالي (د ٤) ، ومرة أخرى استطاع الفيل الأسود الضعيف اختراق دفاعات الخصم والسير متبختراً بين صفوفه والتآزر مع بقية القطع السوداء لإحراز النصر .

● مسألة العدد ٣٧١



مات ٢

من إنشاء سعيد شكري (اليمن)

□ جون نن	■ فيكتور كورتشنوي
١. هـ٤	هـ٦
٢. د٤	د٥
٣. ح - جـ٣	ح - و٦
٤. هـ٥	ح(٦) - د٧
٥. و٤	جـ٥
٦. ح - و٣	ح - جـ٦
٧. ف - هـ٣	جـ × د٤
٨. ح × د٤	ف - جـ٥
٩. و - د٢	ح × د٤
١٠. ف × د٤	ف × د٤
١١. و × د٤	و - ب٦
١٢. و × ب٦	ح × ب٦
١٣. ث ث	ف - د٧
١٤. ف - د٣	حـ٥
١٥. ح - هـ٢	م - هـ٧
١٦. ح - د٤ (مربع مثالي) ز٦	
١٧. ز٣	ف - جـ٦
١٨. ر(د) - هـ١	ح - د٧
١٩. جـ٣	ر(أ) - ز٨

الأبيض يشتري (د٤) والأسود يهاجم جناح الملك .

٢٠. ر(ح) - و١	ز٥
٢١. و٥	ز٤
٢٢. ر - هـ٢	هـ٤
٢٣. ب٤ (م - د٢ أفضل) ح × ز٣	
٢٤. هـ × ز٣	ف - أ٤
٢٥. ح - ب٢	ر - هـ٣
٢٦. ر - ز١	ر(و) - هـ٨
٢٧. م - أ٣	ر - جـ٨ !
٢٨. م - ب٢ (في الأعلامات ٥) أ٦	
٢٩. ر(١) - ز٢	ف - د١ !
٣٠. ر - هـ٣	ح - ب٦
٣١. ر - و٢	ر - هـ٨
٣٢. و × هـ٦	و × هـ٦
٣٣. ر - و١	ح - أ٤ +
٣٤. م - جـ١	ر × جـ٣ +
٣٥. يستسلم (الشكل)	

□■□

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١) عبد الله سعيد عبد الله - المصرية/ الكويت
٢) جمال حسين الزروق - طرابلس/ الجماهيرية الليبية
٣) علي سعيد محمد - الأنبار/ الجمهورية العراقية
٤) نور الدين البوزيدي - سوسة/ الجمهورية التونسية
٥) محمد مهدي الشحة - عمان/ المملكة الأردنية الهاشمية

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١) صفية زين العابدين - قرية مناقلة/ المصاحيحا/ السودان
٢) فراس القلبيتاني - دير الزور/ الجمهورية العربية السورية
٣) خالد علي العميسي - صنعاء/ اليمن
٤) محمد اسحاق بن عيلي - نواكشوط/ الجمهورية الموريتانية
٥) الفرس علي صالح الجميلي - قضاء الفلوجة/ الجمهورية العراقية .

١. (ر - و٨ +)   (و × و٨)
٢. (و - هـ٧ +)   (م × هـ٧)
٣. ز × و٨ (حصان) مات



العربي - ص.ب ٧٤٨ الصفاة - الرمز البريدي 13008 الكويت

الأستاذ الدكتور رئيس التحرير ،
تحية طيبة وبعد ،

● لقد بهرت ، والحق يقال ، بالمجلة شكلا ومضمونا . كيف لا وقد رأيت فيها العديد من الفوائد ، من الناحية الحضارية والأدبية والثقافية والعلمية والتاريخية والدينية وغيرها .

إننا كثيرا ما نتداول المعلومات القيمة المنشورة التي تنمي العقل وتهذب الذوق ، وتزودنا بالجديد من العلم والثقافة ، والمجلة في كل زاوية من المدرسة والحي والمنزل ، ولقد عرفتنا بكثير من العادات والتقاليد لدى كثير من الشعوب والكويت ترعى هذه المؤسسة الثقافية ، وتعطيها من الإمكانيات ما ييسر لها الصدور كل شهر بموعدها وبالقوة والنشاط البارزين ، بل وتتطور يزداد يوما عن يوم ، وهذه شهادة من الجميع .

إن الدعم الذي تقدمه الكويت للثقافة العربية والمحافظة على نشر اللغة العربية وتزويد القارىء العربي بالمعلومات عن وطنه العربي،كلها ارتبطت باسم الكويت .

القارىء : غازي بوجلبان
صفاقس - تونس

□□

تعليق حول موضوع تطويل الأطراف

● في عدد أبريل من عام ١٩٨٩ المرقوم ٣٦٥ ، كتب الدكتور وليد السباعي مقالا عن قضية تطويل الأطراف التي تعالج مشكلة قصر القامة .

وقد كتب إلينا القارىء محمد الطحاوي من الشرقية ، جمهورية مصر العربية ، يسأل عن إمكانية نجاح عملية إطالة عظام الساقين ، وكذلك عن التكاليف المالية للعملية . وكذلك كتب القارىء أحمد محمد ، من الاسكندرية ، يسأل عن مدى انتشار إجرائها في الأقطار العربية ، وهل هناك احتمال للمضاعفات بعد العملية . أما القارىء علي دياب ، من دمشق ، سوريا ، فيسأل عن العمر المناسب لإجرائها . وقد وصل كثير من الرسائل في هذا الاتجاه .

وعلى ما يبدو أن المعاناة من قصر القامة قد أصبحت قضية شائعة عامة ، فقد حمل لنا البريد هذه الرسائل التي يسأل أصحابها عن تفاصيل دقيقة ، ربما لم ترد في المقال ، كما يسألون عن أمور ما زالت تنتظر الأيام والتجربة للإجابة عنها إجابة حاسمة ، فالعملية الروسية الرائدة حديثة عهد ، وهي بهذا بحاجة إلى خبرة

وتجارب ودراسات ، ولم تنل نصيبها من الشيوع والانتشار ، فلذا فهي ما زالت محصورة على البلدان المتقدمة . ولا شك أن مزيدا من الصبر سوف يتيح للأسرة الطبية وفرة في المعلومات عن مدى نجاحها ، وعن احتمال وجود مضاعفات ، (وكيفية التغلب عليها) ، كما يتيح فرصة لمزيد من الخبرة والمران . وهذا كله في صالح المرضى الذين يعلقون آمالا كبيرة على هذا الإنجاز الطبي الرائد ، لكنهم يستعجلون الأمر ، ويستبقون الأحداث ، ولهم في هذا عذرهم ، لكن الصبر والتروي ضروريان والأمل قريب بإذن الله في أن تشيع هذه العملية في أقطارنا العربية ، ويكتسب فيها أطباؤنا خبرة وتجربة ومهارة شاملة

□□

الأستاذ الدكتور رئيس التحرير ،

تحية طيبة وبعد ،

● أود أن أعرب عن إعجابي الشديد بمجلتنا الغراء « العربي » ، لما تحويه من مواضيع قيمة أدبية وعلمية ، تثري فكر القارىء العربي .

لقد اطلعت على العدد ٣٦٧ يونيو ١٩٨٩ ، وقد شدني عرض لكتاب « العالم والعرب سنة ٢٠٠٠ » لمؤلفه الدكتور محمد جابر الأنصاري في باب (من مكتبة العربي) ، ومن خلال قراءتي للعرض اتضح لي بأن الكاتب يتنبأ بمستقبل العالم ومستقبل العرب سنة ٢٠٠٠ ، معتمدا في ذلك على بعض الدراسات والأبحاث التي هي بمثابة مؤشرات للمستقبل القادم ، مستقبل القوة الصـ[illegible] ، والتي يقصد بها الدول الشرقية الآسيوية إذ جاء التعبير - اليابان ، الصين ، كوريا ، الهند ، ومن ثم يستطرد في عرضه حول دراسة في أحد فصول الكتاب ، تلقي الضوء على جذور التربية اليابانية ، وخصائصها المميزة . وكيف استطاعت أن تجمع بين شعبية التعليم وارستقراطيته العلمية والفكرية ، ولم تتوسع باللغات الأجنبية المتقدمة ، ولم تتميز بها على الرغم من مركزية التوجيه في النظام التربوي ، فإنه يقوم على مرونة ، ولا مركزية ملحوظة ، في تنظيم وزارة التربية والعلوم والثقافة .



فلو أمعنا النظر في ما كتبه الأستاذ رافع عبد الرحمن في عرضه سنجد أنه قد استخدم مصطلحات إدارية ، في حين أنه ينتقدها بشدة ، ويعتقد أنها معيقة للتقدم . وما أحب أن أؤكده هنا أنه لولا علم الإدارة لما وصلت اليابان إلى ما وصلت إليه حاليا ، ولما وصلت إلينا مجلتنا الغراء ، وذلك بغض النظر عن الأمور الأخرى ، أي بافتراض توافر كل الإمكانات المادية والبشرية . هنا يلزمنا العنصر



الإداري للتنظيم التكنو ، القادر على أن يكيف العلم الإداري الحديث حسب ظروف بيئته . إنما سيبقى أمام سؤال هو : كيف يمكن لنا أن نوفر هذا العنصر ؟ قد تكون الاجابة بافتتاح معاهد متخصصة ، وكليات تعمل على تدريب هذه العناصر ، وعقد الندوات . وهذا لا يكفي ، وبكل تأكيد نحن لا نقل عن شعوب العالم ذكاء ، بل يلزمنا الإطلاع ، والبحث المستمر في المراجع العلمية الحديثة ، وهنا تكمن مهمة مجلتنا الغراء ، لتضفي على نفسها حلة جديدة من حلل العلم والثقافة ، فماذا لو زودتنا مكتبة « العربي » ببعض المراجع العلمية في علم الإدارة ، وخصوصا الأبحاث والدراسات المستجدة في هذا المجال الفريد من مجالات العلوم الاجتماعية الذي لم يتجاوز عمره مائة عام ؟

القارىء : جلال محمد علي القيسي
صنعاء - الجمهورية العربية اليمنية

● تقوم المجلة بين فترة وأخرى بنشر ملخص لمجموعة من الكتب في باب مختارات من المكتبة العربية ، إضافة إلى الكتب التي يعرضها رئيس التحرير في حديث الشهر . ونحن نرحب بكل ما يردنا من عرض للكتب ، مع الأخذ بعين الاعتبار صلاحية المادة للنشر .

□□



الأستاذ الدكتور رئيس التحرير ،
تحية طيبة وبعد ،

● نحن طالبتان ألمانيتان ، تدرس اللغة العربية في جامعة « [illegible] » ، في (ألمانيا الاتحادية) ، ويتطلب الأمر اطلاعنا على بعض المجلات العربية الجيدة للقراءة العامة . وقد سمعنا كثيراً عن مجلة « العربي » ، وما تحويه من موضوعات جادة واهتمام واسع بأمور اللغة العربية ، وكذلك الانتشار الواسع والتنوع في الموضوعات المطروحة ، وهذا كله يساعدنا على إتقان العربية ، واكتساب معرفة واسعة عن التقدم الذي وصلت إليه الأقطار العربية . وعليه فنحن بحاجة لتزويدنا بالمجلة بشكل دوري ، حتى تكون بين أيدينا في جميع الأوقات للقراءة والاطلاع وقت الحاجة ، ومن وقت لآخر .

لذا نسألكم عن إمكانية توفير أعداد من المجلة في ألمانيا الاتحادية ، كي يتسنى لأمثالنا الاطلاع عليها واقتناؤها . وختاما نقدم لكم خالص الشكر على ما تقدمونه للغة العربية ولنا من خدمات جليلة .

القارئة : استفني روسن   القارئة : كرن فارمك
ألمانيا الاتحادية

□□

● القارىء عبد العزيز السعيد ، من الرياض - المملكة العربية السعودية - يطالب المجلة بأن تعمل على تجليد المجلة بشكل أفضل ، لأنها مجلة يحتفظ بها ، وهي ليست مجلة سيارة ترمى بعد قراءتها مباشرة ، فالاهتمام بالتغليف الجيد يعكس اهتمامكم بالمجلة نفسها ، وباحتفاظ القارىء بها .

● القارىء خالد عشري عبد ربه ، من امبابة - الجيزة - جمهورية مصر العربية - يقترح أن تقوم المجلة بالتوسع في الاستطلاعات عن قارة افريقيا ، لا سيما المناطق الجنوبية من القارة والمناطق الوسطى المدارية ، وتسليط الضوء على بعض القبائل الافريقية المشهورة هناك ، وعن عاداتها وتقاليدها ، وما سببته المجاعة من دمار وفقر ، وعن المحاولات الناجحة للقضاء على المجاعات .

● القارىء علاء بكري محمد ، من جامعة بنها - جمهورية مصر العربية - يقترح تخصيص باب للمواهب الشابة للتعبير عن آرائها وأفكارها ، وتنمية هذه المواهب ، خاصة الأدبية والعلمية منها .

● القارىء زوالي محمد - الوثابة ، حي بن جرمة ، الجلفة ، الجزائر - بعث برسالة يشيد فيها بدور المجلة ، ويقترح قيام المجلة باستطلاع عن الجزائر ، وعن النهضة الزراعية فيها على الأخص .

● القارىء ياسر علي عوض - محافظة لحج ، جمهورية اليمن الديمقراطية - يقترح إيجاد باب بعنوان « فنون وآداب » يخصص للسينما والمسرح .

● القارىء محمد علي ، من البحرين ، يقول : إن المجلة وصلت الى كوريا الجنوبية ، إلا أنها لم تدخل كوريا الشمالية ، كما أنها وصلت أمريكا الجنوبية ، إلا أنها لم تصل « نيكاراجوا » . ويتمنى لو تقوم المجلة باستطلاع شامل عن هذه المناطق .


نجيب محفوظ

● القارىء محمود منصور رمضان - محافظة المنيا ، جمهورية مصر العربية - يشيد بالملف الذي نشر عن حياة الأديب العربي الكبير نجيب محفوظ ، في عدد ٣٦٦ مايو ١٩٨٩ بمناسبة حصوله على جائزة نوبل للآداب ، ويثمن الجهود التي بذلت لإعداده .

● القارىء محمد أحمد الأمين - مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية - يشيد باستطلاعي المجلة عن موريتانيا وليبيا ، في عددي (٣٦٣ - ٣٦٤) ، (فبراير ، مارس ١٩٨٩) ، ويقترح أن تقوم المجلة باستطلاع عن مدينة « شنقيط » ، من مدن الصحراء الموريتانية .

عزيزي القارئ

● القارىء مصباحيها جواد ، من فاس ، المملكة المغربية ، يقترح زيادة المواضيع التي تتطرق لبعض الظواهر العلمية الخارقة ، مثل الأطباق الطائرة ، وزيادة المواد الأدبية مثل الشعر والقصة .

● القارىء أحمد محمد عبد الوهاب ، من كلية الطب ، بجامعة الأزهر ، بجمهورية مصر العربية ، يشيد بكتاب « العربي » وموضوعاته الشيقة ، ويطالب بزيادة كمية المرسل منه الى القاهرة ، لأنه يجد صعوبة في الحصول على نسخة منه في حالة تأخره في الذهاب للمكتبة التي توزع الكتاب .

● القارىء جمال أمين حسين - كلية الهندسة ، جامعة الاسكندرية - يقول : إنه قرأ بكل اهتمام ، في العدد ٣٦٥ ابريل ١٩٨٩ ، في باب من المكتبة العربية ، موضوع مراجعة كتاب « الآلات في حياتنا ، وكيف تعمل » ، ويرغب في شراء الموسوعة . ونقول له : إن الموسوعة من إصدار جمعية رعاية الطفولة العربية ، خيطان ، الكويت . ويمكنك مراسلتها مباشرة .

● القارىء سلالار مصطفى الجاف - بغداد ، الجمهورية العراقية - يشيد بالملف المنشور عن شركات توظيف الأموال في مصر - العدد ٣٦٥ ، ابريل ١٩٨٩ - فالقراء يفتقرون الى مواضيع كهذه .

● القارىء أسامة عبد المولى سند ، من القاهرة - جمهورية مصر العربية - يقترح تخصيص باب لتعلم لغة الحاسوب « الكمبيوتر » ، ومبادىء هذه اللغة .

● القارىء أحمد زيدان - حلب ، سوريا - يود لو أن المجلة قامت باستطلاع عن سوريا ، مدنها وقراها ، وما طرأ عليها من تطور عمراني وصناعي ملحوظ .



● القارىء محمد الأمجد سلامة - المرس ، الجمهورية التونسية - يشيد بالمجلة على نشرها مقال الدكتور شفيق التركزلي - « الانشطار النووي » في علمه الخمسين ، عدد ٣٦٥ ابريل ١٩٨٩ - خاصة ونحن نعيش عصر العلوم والتقنية المتطورة الخارقة ، ويود أن ينتهز الفرصة ليطلب من العلماء العرب أن يعملوا على ترجمة الكتب العلمية الأجنبية ، كي يستفيد منها جيل الشباب العربي .



● القارئة إيمان ياسين ، من دمشق ـ سوريا ـ تود لو أنه تم نشر مواضيع مشابهة لما نشرته المجلة في عدد ٣٦٤ مارس ١٩٨٩ للأستاذ عبد الرحمن حلاوي ، عن صورة العرب في السينما غير العربية ، نظرا لقلة المنشور في هذا المجال .

● القارئة حنان أحمد نعامنة ـ النعيمة ـ اربد ، الأردن ـ تقول : إنها قرأت في عدد ٣٦٥ ابريل ١٩٨٩م ، في باب « من دفتر الذكريات » ، للدكتور محمد جابر الأنصاري ، عن ذكرياته في مدينة المحرق ومدرسة « الهداية الخليفية » . فهل يمكن أن تقوم المجلة باستطلاع مصور عن هذه المدرسة الجليلة ؟ ونقول للقارئة : إن المجلة بصدد نشر استطلاع عن المدرسة وغيرها من المدارس القديمة في الخليج العربي في أعداد قادمة إن شاء الله .

● القارىء زكي أحمد عبده المخلافي ـ تعز ، الجمهورية العربية اليمنية ـ يقترح على المجلة أثناء القيام بالاستطلاعات أن تستغل الفرصة للقاء الجاليات العربية في البلاد التي تزورها بعثة المجلة ، لتقدم لمحة عن حياتهم في تلك البلاد ، وكيف يعيشون ويمارسون حياتهم اليومية ، والمعلومات الاحصائية العامة عن أعدادهم ونسبة مواطني كل قطر عربي من المجموع .

● القارىء محمود محمد عمر ، محافظة الجيزة ـ جمهورية مصر العربية ـ يقترح أن تخصص المجلة بابا ثابتا للفن التشكيلي . □



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

اكتوبر ١٩٨٩ م

مستقبلنا المشترك

ترجمة : محمد كامل عارف
وعبد الإله الجبل النعيمي
مراجعة : الدكتور علي حجاج



الكتاب ١٤٢

المراسلات : باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

من
المسرح
العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام - الكويت

العدد (٢٤١) أول أكتوبر ١٩٨٩

مطعم القردة الحية

تأليف: غونكور ديمان
ترجمة: نصرت مردان
مراجعة وتقديم: د. إبراهيم الداقوقي



- داخل المسجد ـ الفنان النمساوي رودلف سفوبودا